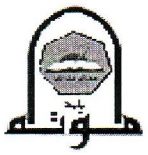

جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

راضـــي صـــــدُّوق... شاعراً

إعـــــــداد الطالب

معتصم دحيلان الضلاعين

إشـــــراف

الأستـــاذ الدكتـــور محمد أحمد المجالي

رِسَالـــة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليـــــــــا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
فـــــــي الأدب قســـــــم اللغـــة العربيـــــة

جامعة مؤتة، 2008م

بسم الله الرحمن الرحيم

MUTAH UNIVERSITY
Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (14)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب معتصم دحيلان الضلاعين الموسومة بـــ:

راضي صدوق شاعراً

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في **اللغة العربية.**

القسم: اللغة العربية.

	التوقيع	التاريخ	
أ.د. محمد أحمد المجالي		2008/08/03	مشرفاً ورئيسا
أ.د. محمد علي الشوابكة		2008/08/03	عضواً
أ.د. سامح عبدالعزيز الرواشدة		2008/08/03	عضواً
د. ابراهيم عبدالله البعول		2008/08/03	عضواً

عميد الدراسات العليا

أ.د. حسام الدين المبيضين

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :03/2372380-99
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهـــــــداء

إلى أمي..... رمز العطف و الحنان.

إلى أبي..... رمز التضحية والعطاء.

إلى أخواني وأخواتي.... ورفقائي في الحياة.

إلى مَنْ.....سكنـــت فؤادي.

إلى الشهداء والأحرار..... في كل زمان ومكان.

معتصم الضلاعين

الشكـــــر والتقديـــــر

يشرفني أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأستاذي الأستاذ الدكتور محمد المجالي ، لما قدمه لي من عناية وتوجيه، ولما لقاه من صبر عليَ طوال مدة الدراسة.

كما أتقدم بجزيل الشكر من الأستاذالدكتور سامح الرواشدة ، والأستاذ الدكتور محمد الشوابكة ،والدكتور إبراهيم عبد الجواد البعول،الذين تحملوا عبء قراءة هذه الرسالة ومناقشتها، لتقويم ما اعوج منها وإخراجها على أكمل وجه.

ولن أنسى أن أتقدم بالشكر والتقدير للأستاذ الشاعر راضي صدوق ، والـــدكتور إبراهيم الخطيب، والمهندس صفوان البخاري، ومحمد الذنيبات، ومحمود الضلاعين، وخالي أنس الضلاعينلما قدموه لي من مساعدات عظيمة ، سواء أكانت ملاحظات أو نصائح أفادتني في هذه الدراسة.

وأسال الله أن يكون هذا العمل خالصاً لوجه الكريم.

معتصم الضلاعين

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
الإهداء	أ
الشكر والتقدير	ب
فهرس المحتويات	ج
الملخص باللغة العربية	هـ
الملخص باللغة الإنجليزية	و
المقدمة	1
التمهيد	3
الفصل الأول: التكوين الأسري والشعري	**9**
الفصل الثاني: الدراسة الموضوعية	**46**
1.2 البعد الوطني	46
2.2 البعد الاجتماعي	65
3.2 البعد الوجداني	75
1.3.2 الغزل (المرأة)	75
2.3.2 الغربة والحنين	91
3.3.2 الحزن والتشاؤم	101
4.3.2 النزعة الفلسفية التأملية	109
الفصل الثالث: الدراسة الفنية	**121**
1.3 مفهوم التناص	123
1.1.3 التناص الديني	125
2.1.3 التناص الأدبي	134
2.3 مفهوم الرمز	141
1.2.3 الرموز الطبيعية	144
2.2.3 الرموز الخاصة	150

3.2.3 الرمز اللوني 155
3.3 الصورة الشعرية 159
1.3.3 مفهوم الصورة الشعرية 159
2.3.3 الصورة الشعرية عند راضي صدوق 162
3.3.3 أنماط الصورة الشعرية 164
1.3.3.3 الصورة البصرية 164
2.3.3.3 الصورة السمعية 169
3.3.3.3 الصورة اللمسية 175
4.3.3.3 الصورة الذوقية والشمية 177
الخاتمة 182
المصادر والمراجع 184

الملخص

راضي صـــــدوق شاعـــــراً

معتصم دحيلان الضلاعين

جامعة مؤتة،2008م

تتناول هذه الدراسة واحداً من أبرز الشعراء الأردنيين ، ممن أسهموا في إثراء الحركة الشعرية في الأردن في المرحلة التأسيسية في مطلع الخمسينات، من خلال إصدار مجموعة كبيرة من الدواوين الشعرية والروايات والقصص القصيرة والدراسات الأدبية والنقدية والمقالات المتنوعة.

وقد جاءت هذه الدراسة في تمهيد وثلاثة فصول ، وقفت من خلالها على الحركة الشعرية في الأردن وموقع الشاعر منها ، ومن ثم تناولت أهم الأغراض الشعرية الوطنية والقومية والاجتماعية والوجدانية ،مبيناً دوافع توظيفها في شعر راضي صدوق، تبعتها بدراسة فنية تناولت فيها :التناص بأشكاله ، والرمز بأنواعه، والصورة الشعرية بأنماطها ، موضحا قدرة الشاعر الفنية والشعرية.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على الدواوين الشعرية للشاعر ، واتكأت على المقابلات الشخصية التي أجريتها مع الشاعر ، إذ كان لها أثر واضح في أغناء هذه الدراسة وإثرائها.

Abstract

Radhi Sadoq As a Poet

Mu'tasem Dhelan Adhala-e'in

Mu'tah University, 2008

This study dealts with **Radhi Sadoq** well-known Jordanian poet who contributed in enrichment of the poetic movement in Jordan in the beginning of 50_s through publishing a considerable set of poetry, novels, short story, literary and critical studies, and other articles.

The study consistesof in introduction and three chapters which discussed the movement of poetry in Jordan and the poet's position of this movement. Then, the study discusses the important poetic themes such as: nationalistic, native, social, and emotional. In this study, I have shown the causes which made the poet, Radhi, to use it in his poetry. The study discussed forms of intertextuality, types of symbol, artistic unit and the poet's artistic and poetic ability.

The study depended on the poet's divans and personal interviews with the poet.

المقدمة

تتناول هذه الدراسة واحداً من أبرز شعراء الأردن ، ممن شاركوا مشاركة فعالة في دعم المسيرة الأدبية في الأردن، من خلال إصداره مجموعة كبيرة من الدواوين الشعرية والروايات والقصص القصيرة والمقالات الكثيرة التي تناول فيها جميع قضايا الحياة المختلفة.

وتهدف هذه الدراسة إلى التعريف بالشاعر (راضي صدوق)، الذي بدأ كتاباته في وقت مبكر، إذ بدأ كتابة الشعر ونشر منذ نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات، إلى جانب الأنواع الأدبية الأخرى فكتب الشعر والرواية والقصة القصيرة والمقالات التي نشرتها صحف ومجلات عربية وأجنبية.

ثم الوقوف على عدد كبير من القصائد التي كتبها الشاعر، لاسيما أن له سبعة دواوين شعرية تنوعت بين القصائد العمودية والحرة والنص النثري الذي أطلق عليه هو (شعر في نثر)، والكشف عن أبرز ما في شعر (راضي صدوق)، من قيم وقضايا وموضوعات تناولها بأساليب فنية مختلفة.

وقد دفعني إلى تناول هذا الموضوع إغفال كثير من الدارسين شاعراً مثل (راضي صدوق)، على الرغم من أن لديه نتاجاً شعرياً ونثرياً يشكل معيناً لا ينضب.

تنوعت مصادر دراستي في هذه الدراسة، إذ اعتمدت على الدواوين الشعرية، لا سيما أنها سبعة دواوين غنية بالقصائد العمودية و شعر التفعيلة، ووقفت على كثير من الدراسات والمقالات الأدبية والنقدية التي نشرتها الصحف والمجلات العربية والأجنبية، وقد عدت إلى كثير من الكتب التي تناولت الحركة الأدبية الأردنية ، وبخاصة مؤلفات الدكتور سمير قطامي، والدكتور عبد الفتاح النجار ، وغيرهما الكثير.

وقد اعتمدت على تقسيم الدراسة إلى تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

ففي التمهيد عرضت للحركة الأدبية في الأردن منذ تأسيس الإمارة وحتى الوقت الحاضر وحددت موقع الشاعر منها.

وأما الفصل الأول فقد تناولت فيه التكوين الأسري والشعري للشاعر ،إذ فصلت القول بموضوع المولد والنشأة ومصادر ثقافته وتكوينه الشعري ،وآثاره الأدبية ، ثم تحدثت عن بداياته الشعرية ،ورأيه في الشعر ،وشكل القصيدة عنده، وموقفه من حركة التأليف النقدي في ميدان الشعر العربي،ورأيه في حركة التجديد والمجددين في القرن العشرين.

وخصصت الفصل الثاني للحديث عن موضوعات مضمونية مختلفة أهمها:

الجانب الوطني والقومي عند الشاعر، والجانب الاجتماعي بما فيه من حديث عن الفقر والجوع والصدق والوفاء والظلم والاستبداد والفوارق الاجتماعية . ثم الاتجاه الوجداني، الذي يتضمن الحديث عن المرأة "الغزل"، والغربة والاغتراب والحنين،والحزن والتشاؤم، والنزعة الفلسفية التأملية عند الشاعر، مستشهداً بنماذج شعرية كثيرة ممثلة لكل جانب من هذه الجوانب لـ لتعبير عن عميق المأساة والمعاناة التي عاشها الشاعر.

أما الفصل الثالث من الدراسة، فقد تناولت فيه اللغة الشعرية من خلال : التناص بأنواعه المختلفة الدينية والأدبية ، والرمز من خلال أشكاله المختلفة : الرموز الطبيعة،والرموز الخاصة ، والرموز اللونية عند الشاعر ، والصورة الشعرية بأنماطها ، وقد كشفت لنا الدراسة الفنية عن قدرة الشاعر في التعبير عن رؤيته الشعرية وأبعاد التجربة الشعرية التي عاشها عبر مسيرة حياته الطويلة.

ثم أنهيت الدراسة بخاتمة، تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها بنهاية هذه الدراسة.

التمهيد

الحركة الأدبية في الأردن وموقع الشاعر منها

عاش الأردن بعد الحرب العالمية الثانية ونكبة فلسطين عام 1948م مرحلة حرجة من تاريخه السياسي، حيث الصراعات الحزبية والضغوط العربية والأجنبية والإسرائيلية، مما زاد في مكابدته الظروف الاقتصادية والتحولات الاجتماعية السريعة في شتى مرافق الحياة كالخدمات والتعليم والإسكان والصحة[1].

وقد ارتبطت الحركة الشعرية الأردنية ارتباطاً وثيقاً بالواقع الاجتماعي والواقع الاقتصادي والسياسي، إذ عبَّرت قصائد الشعراء في تلك الفترة عن هموم الناس الاجتماعية والاقتصادية والقومية، إذ إن هذه الظروف كان لها دورٌ كبير في نضج حركة الشعر المعاصر في الأردن.

وكان هنالك حركتان شعريتان قبل وحدة الضفتين، إحداهما في فلسطين والأخرى في شرق الأردن . وكان اتصال الحركتين على المستوى الشعبي يتم من خلال لقاءات الشعراء في القطرين المذكورين قبل عام 1948م وخروج قسم كبير من الشعراء الفلسطينيين إلى الضفة الغربية وإلى شرق الأردن[2].

وجاء عام 1950م ليتم التحام الحركتين الشعريتين في شرق الأردن وفلسطين ، وتوحيدهما في حركة شعرية واحدة بإعلان وحدة الضفتين، ومنذ ذلك الحين أصبح كل شعراء فلسطين في الضفة الشرقية أو الغربية شعراء أردنيين، ولذا أصبحت عبارة "الشعر الأردني" يعنى بها الشعراء الأردنيين في الضفتين الشرقية والغربية[3].

وقد اتفق معظم الباحثين على أن تاريخ الحركة الشعرية في الأردن بدأ مع قدوم الأمير عبدا لله بن الحسين من الحجاز عام 1921م وتأسيسه إمارة شرق الأردن،

---

(1) قطامي، سمير: الحركة الأدبية في الأردن (1948-1967)، منشورات وزارة الثقافة والتراث القومي، عمان، 1989، ص4.

(2)النجار، عبد الفتاح : التجديد في الشعر الأردني، (1950-1978)، ط1، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، عمان، 1980، ص17.

(3) المرجع نفسه، ص18.

فمن مجالسه الأدبية ولدت نهضة فكرية وأدبية أخذت تشق طريقها بالأجيال الصاعدة من الكتاب والشعراء، إذ أعطى الأمير جل اهتمامه ورعايته [1] لتلك المجالس الأدبية.

وقد كان الأمير قائداً ، سياسياً، وشاعراً يحب الشعراء ويحتضنهم ويجتمع في بلاطه عدد من الشعراء كان معظمهم في بداية الحركة الشعرية من خارج الأردن، جاءوا مع الأمير ضمن حاشيته أو جاءوا بعد ذلك بوقت قصير، ليسهموا في النضال الوطني في بلاد الشام حيث اعتبروا الأردن منطلقاً لتجديد الشعري في بلاد الشام[2].

وكان للملتقى الأدبية في بلاط الأمير عبدا لله بن الحسين دورٌ في انتعاش الحركة الأدبية الأردنية، فقد كانت مجالسه مجالس أدب وفكر وثقافة.

وقد وصف تيسير ظ بيان في كتابه "الملك عبدالله كما عرفته " تلك المجالس وصفاً دقيقاً؛ لأنه كان أحد المقربين إلى الأمير وأحد المشاركين في تلك المجالس.

يقول: "تكتحل عيناي في جميع سني حياتي بمشاهدة مجلس أجل شأناً ،وأشد هيبة، وأرفع قدراً، وأنبه ذكراً، وأطيب أثراً ، وأوقع في النفس، وأحب إلى القلب من تلك المجالس الخاصة التي كانت تعقد من حين لآخر ف ي قصر(رغدان) أو(بسمان) أو(المشتى) في "الشونة" برعاية الملك عبدا لله بن الحسين لما كان يدور فيها من مساجلات شعرية، ومطارحات أدبية ومناقشات أدبية وعلمية ،وحوار سياسي على مستوى رفيع"[3].

ولعل من أبرز شعراء البلاط :خير الدين الزر كلي، وعادل أرسلان، وعبدالمحسن الكاظمي، وإسعاف النشا شيبي ، وكامل شعيب، وعمر أبو ريشة، ومصطفى وهبي التل،وتيسير ظبيان وغيرهم.

---

(1) قطامي، سمير: الحركة الأدبية في الأردن (1921-1948) وزارة الشباب، عمان، 1981م، ص19.

(2) ياغي، هاشم وآخرون: ثقافتنا في خمسين عاماً، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ص80.

(3) ظبيان، تيسر: الملك عبدا لله كما عرفته، المطبعة الوطنية، عمان، 1967، ص60.

أما الشعراء الأردنيون الذي ن انحدروا من أصل أردنـــي فلـــم يظهـــر نـــشاطهم الشعري بشكل واضح قبل هذه الفترة، وكان مصطفى وهبي التـــل أكبـــرهم ســـنا، وأقواهم شاعرية،إذ إن شعره الذي سبق عام 1923م لا قيمة له إلا باعتباره جـــزءا من تاريخ الحركة الشعرية في الأردن[1].

وغير عرار فقد عرف من الشعراء :صبحي أبو غنيمة، وعبد المنعم الرفـــاعي ، وحسني فريز،وحسني زيد الكيلاني ،وشكري شعشاعة ،ومحمد الشريقي وغيـــرهم ممن تحدثوا عن المأساة الفلسطينية عام 1948م.

وقد شارك الشعر في هذه الفترة في صنع الحياة الأدبية والسياسية معـــا . وفـــي الوقت الذي كان فيه شعراء الأردن يكتبون شعر الحب والطبيعة كانوا يكتبون الشعر الوطني والسياسي ويساندون دعوة الوحدة العربية حيث حمل الـــشعراء الأردنيـــون هموم القضية الفلسطينية باعتبارها قضيتهم وقضية أمتهم وكانت المأساة الفلـــسطينية مصدرا غزيرا للأدب الأردني[2].

وقد كان للصحافة دور كبير في تطوير الحركة الشعرية في الأردن وكان الفضل يعود إلى الأمير عبد الله بن الحسين حيث صدرت مجموعة كبيرة مـــ ن الـــصحف والمجلات منذ تأسيس الإمارة وحتى إطلالة الخمسينات ومن هذه الـــصحف التـــي قدمتورا كبيرا في الحركة الفكرية والأدبية : الجزيرة، الشرق العربي، وجزيـــرة العرب، والشريعة، والأردن، والرائد[3].

أما المجلات فأهمها : مجلة القلم الجديد، ومجلة الأفق الجديـــد، ومجلـــة أفكـــار وغيرها.

---

(1) حداد، نبيل:الحركة الشعرية في الأردن (1921-1948)،(رسالة ماجستير)، جامعـــة عـــين شمس، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، القاهرة، 1976م، ص44.

(2) الناعوري، عيسى:الحركة الشعرية في الضفة الـــشرقية، ط 1، وزارة الثقافـــة والـــشباب، 1980، ص6.

(3) شهاب، أسامة:صحيفة الجزيرة الأردنية، ط 1،منشورات وزارة الثقافة والتـــ راث القـــومي، عمان، 1988، ص48.

وقد اطلع الشعراء الأردنيون على الشعر الجديد من خلال مجلتي (الأديب) (والآداب) "البيروتيتين" في بداية الخمسينات . إذ أخذ شعراء حركة الشعر الحر الرواد في العالم العربي أمثال : نازك الملائكة، والسياب، والبياتي، وأحمد عبدالمعطي حجازي ينشرون أدبهم، فيها وقد تأثر جيل الرواد في حركة الشعر الحر في الأردن بالشعراء العرب إذ اقتفوا آثارهم ونسجوا على منوالهم ومن أهم هؤلاء الشعراء : نزهة إسماعيل، وراضي صدوق، وأيوب طه، وناجي علوش، وعبد الرحيم عمر، وتيسير السبول، وأحمد أبو عرقوب، وحكمت العتيلي.

وكانت حركة الشعر الحر في الأردن قد اكتملت ملامحها، وشخصيتها قبل ظهور مجلة (الأفق الجديد)، وهناك دواوين شعرية كثيرة صدرت لشعراء أردنيين ، من الشعر المحدث قبل ظهور هذه المجلة لكن فضل هذه المجلة وتأثيرها اقتصر فقط على جيل منتصف الستينيات.

واستمرت اندفاعه الشعر الحر، وكان لنكسة حزيران عام 1967م أثر واضح في ذلك إذ استطاع الشاعر أن يلتحم بقضيته بدل التعبير عنها فحسب . وهكذا تميز الشعراء بالعمق والبعد عن الذاتية، وعن وصف المشاعر المباشرة البسيطة، وأصبحت القصيدة لا تقدم معالجة وحلولا للواقع بل تتمرد عليه .كما ابتعد شعراؤنا عن الرومانسية التي اشتهر فيها شعراء الخمسينات وبداية الستينات من هذا القرن[1].

كانت المضامين التي طرقها الشعراء بعد هزيمة حزيران عام 1967م بمنزلة الزلزال الذي هز المجتمع العربي في كافة مناحي الحياة السياسية ،والاقتصادية، والاجتماعية، إذ ظهر الشعر الباكي الحزين الذي تسوده نزعة الحزن والتشاؤم ، وجلد الذات واليأس.

وقد أعطت نكسة حزيران الشعر الأردني دفعة قوية نحو الابتكار والتجديد ، في محاولة تمردية على الماضي إلى حد التطرف والرفض الكامل لكل ما سبق ، فضلا

---

(1) العدوان، أمينة: دراسات في الأدب الأردني المعاصر، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، ص6.

عن البحث عن الهموم عن أشكال ومضامين جديدة، مما أدى إلى الالتصاق بالواقع ومعالجة قضاياه[1].

ولعل من أبرز شعراء النكسة في الأردن: وليد سيف، وعز الدين المناصرة، ومحمود الشلبي،ونزيه القسوس، وحيدر محمود ،وخالد محادينوخالد الساكت . ومع مطلع السبعينات ظهر عدد آخر من الشعراء منهم : عبد الله منصور ومحمد عطيات، وخالد الساكت، وفواز طوقان، وإبراهيم العجلوني.

كما ظهرت أصوات شعرية جديدة حاولت التجديد على الساحة الأردنية ومن أبرزها: غسان زقطان ومحمد الظاهر، ومؤيد العتيلي ، ومحمد إبراهيم لافي وغيرهم[2].

وقد واكبت الحركة الشعرية الأردنية أحداثالأمة العربية ، فمع اجتياح القوات الإسرائيلية لجنوب لبنان ، وحصار بيروت عام 1982م،عبر الشعراء الأردنيون عن مشاعر الصدق والحزن من عظم المصيبة فنظموا في بيروت شعرا كثيرا واتخذت قصائدهم بعدا قوميا واضحا ومن أبرز الشعراء الذين كتبوا قصائد في بيروت: يوسف العظم، وإبراهيم نصر الله، ومؤيد العتيليوسليمان المشيني، وخالد محادين، ومنصور البطاينة[3].

وقد كان للأحداث العامة التي مرت بها الأمة العربية في الثمانينات أثر كبير في سيطرة الهم القومي على الشعر العربي المعاصر، فكانت الحرب العراقية الإيرانية[4]التي شغلت مساحة واسعة من دواوين الشعراء الأردنيين ، ومن أبرز الشعراءالذين تحدثوا عن هذه الحرب : حيدر محمودوخالد محادين ، ومحمود فضيل التل، ومؤيد العتيلي، وإبراهيم نصر الله وغيرهم الكثير.

---

(1) الضمور،عماد: محمود فضيل التل حياته وشعره، ط1،وزارة الثقافة، 2001م، ص21.

(2) النجار، التجديد في الشعر الأردني، (1950-1978)، ص59.

(3)الوحش، إبراهيم محمدمأساة بيروت في الشعر العربي المعاصر، ط 1، المطبعة الاقتصادية، دبي، 1992م، ص454.

(4) الضمور، محمود فضيل التل حياته وشعره، ص25.

وفي عام 1987م انفجرت الانتفاضة الفلسطينية ، واستطاعت أن تدخل القضية الفلسطينية مرحلة جديدةوقد استثارت الانتفاضة عواطف الشعب الأردني ، وتفاعل الأدباء مع هذا الحدث العظيم . وكان للشعرالدور الأبرز في ذلك ، حيث أفرزت أحداث الثورة شعرا كثيرا ، كما كشفت الانتفاضة عن شعراء مجهولين تركوا بصمة واضحة في مجال الحديث عن صمود الشعب وتحقيق التضحيات [1].

يقول عبد العزيز المقالح : "ولعل تجليات الانتفاضة في حياة المجتمع العربي تتوقف في خلق مناخ إ بداعي واسع النطاق يتابع بالشعر والنثر، بالقصيدة والقصة والمسرحية نبض الانتفاضة ويحاول التقاط صورة هذه اللحظة التاريخية المتميزة[2].

وفي خضم هذه الأحداث كان الشاعر (راضي صدوق)، أحد الذين دخلوا حلبة التجديد في الشعر الأردني في النصف الأول من الخمسينات من القرن الماضي.

وكانت إسهامات راضي صدوق المبكرة واضحة في الشعر الأردني، لا سيما فيما يخص قصيدة التفعيلة ، كما نلاحظ أن كثيرا من شعراء السبعينيات والثمانينيات فد أفادوا من التجربة الشعرية والفنية لهذا الشاعر ، إذ إن بعضهم يذكر بصراحة مدى تأثره بشعر صدوق وبخاصة أن أثر النكبة كان واضحا في نتاج صدوق الشعري والنثري معا.

---

(1) خليل، صالح: الانتفاضة الفلسطينية في الشعر الأردني والفلسطيني الحديث، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ص2.

(2)المقالح، عبدالعزيز:الصوت الفلسطيني في قصيدة الانتفاضة، مجلة الآداب، ص2.

الفصل الأول

راضي صدوق

التكوين الأسري والشعري

المولد والنشأة:

ولد راضي صدوق في مدينة "طولكرم" بفلسطين عام 1938م، اسمه الكامل مُحمد راضي صدقي صدّوق " من أسرة من الملاك الزراعيين تعود أصولها إلى عشائر الحويطات[1]، وكانت تستوطن قرية "سفّارين" بقضاء طولكرم، ثم نزحت إلى طولكرم منذ مائتي سنة، وعمادها الزراعة، لكن النكبة الفلسطينية الأولى طوحت بها إلى بلدان عربية أخرى، ففقدت بذلك الأرض والثروة الزراعية[2].

وتنتمي والدته إلى أسرة (الدسوقي) الدينية التي ترجع إلى المتصوف الشيخ إبراهيم الدسوقي الذي تُنسب إليه مدينة "دسوق" في مصر، وقد رحل بعض أفرادها إلى فلسطين واستقروا في بعض القرى الشمالية من فلسطين ، وخاصة قرية "داليةالروحة" وقرية "المكر"، ولقد ورث راضي صدوق كثيراً من الصفات الشخصية من والدته التي اشتهرت بصوفيتها ونقاوتها وإيمانها وصراحتها[3].

وكان جدّ والدته قد جاء في جيش إبراهيم باشا إلى فلسطين واستقر في إحدى القرى بقضاء "عكا" وتزوج وأنجب وتكاثر أبناؤه وأحفاده وانتشروا في عدة قرى بشمال فلسطين[4]. كما أقام بعضهم في مدينة "يافا".

وبعد أن عصفت النكبة الأولى بما تملك أسرته في سهل طولكرم الساحلي الذي انتزعته "إسرائيل"بموجب اتفاقيات الهدنة ،عاش راضي صدوق عيشة ضنك

---

(1) صدوق، راضي: شعراء فلسطين في القرن العشرين، توثيق أنطولوجي، دار كرمة للنشر، روما، 2000م، ص249.

(2) العودات، يعقوب: البدوالهلثم، أعلام الفكر والأدب في فلسطين، ط 1، 1968م، ص354-355.

(3) المرجع نفسه، ص355.

(4) مقابلة شخصية مع الشاعر، 2007/8/20م.

ومعاناة، وعكف على تثقيف نفسه بنفسه، فدرس تاريخ الشعوب وآدابها وفلسفاتها في مختلف العصور، كما عكف على دراسة الكتب السماوية وقرأ "التوراة" بعمق بطبيعتها الكاثوليكية والبروتستانتية، كما قرأ (العهد الجديد) و(القرآن الكريم) وغاص في دراسة اليهود تاريخاً، وحضارة، وسياسة، وانكفأ على الدراسة الخاصة يعارك الدهر حتى أتيح له نوال شهادة المعلمين والتربية وعلم النفس [1]، مما أتاح له أن يشتغل بالتدريس مدة عامين [2]، وقد شرع في نشر قصائده الشعرية في الصحف والمجلات وغيرها، وكذلك في دور الإذاعة العربية الناطقة باللغة العربية.

تخرج إلى العمل ليعيل أسرة ضخمة، فمضى بآماله وطموحه

بعد التدريس عمل صدوق في الميدان الصحفي فبدأ محرراً، ثم سكرتيراً للتحرير لإحدى الصحف اليومية التي كانت تصدر في القدس إبان الخمسينيات وهي جريدة "الجهاد" وانتقل منها إلى ا لعمل سكرتيراً للتحرير في جريدة "الدفاع"، ثمَّ أنشأ جريدة "المنار" اليوميّة في القدس في أواخر عام 1959 لحساب بعض العاملين في الحقل السياسي، وانسحب منها لخلافه السياسي مع أصحابها . ثم سافر إلى الكويت في مطلع عام 1960م، حيث عمل رئيساً للدائرة الثقافية العسكرية بالجيش الكويتي ،ورئيساً لتحرير مجلة "حماة الوطن" الشهرية الناطقة بلسان الجيش، ولم يكن يصدر في الكويت في خلال تلك الفترة سوى مجلة "العربي" فأصدر ملحقاً لمجلة "حماة الوطن" باسم "هنا الكويت" وقد أصبح هذا الملحق فيما بعد مجلة شهرية مستقلة تصدر عن وزارة الإعلام باسم الكويت.

خلال وجوده في الكويت وحتى منتصف عام 1966م أسهم بقسط كبير في النهضة الصحفية والأدبية ، فأنشأ جريدة "الهدف" الأسبوعية عام 1962، ثم جريدة "الوطن" اليومية عام 1963، ثم جريدة "السياسة" اليومية التي صدرت أسبوعية مؤقتة عام 1964م،، وعمل مديراً لتحرير هذه الصحف إلى جانب عمله الرسمي في وزارة الدفاع، كما أسهم في إنشاء مجلة "البيان" الناطقة بلسان رابطة الأدباء الكويتيين، وكان العضو غير الكويتي الوحيد في هيئة تحريرها، اعتقل في الكويت

(1) العودات، البدوي الملثم، أعلام الفكر والأدب في فلسطين، ص355.

(2) صدوق، شعراء فلسطين في القرن العشرين، ص249.

من دون توجيه أية تهمة له ، وسجن في زنزانة صحراوية ثم جرى إبعاده سياسياً عن البلاد إلى لبنان ومنه إلى الأردن . ولدى عودته إلى الأردن في حزيران عام 1966م عمل في وزارة الإعلام مستشاراً ثقافياً للإذاعة، ثم كلف بتحويل مجلة "رسالة الأردن" الشهرية التي تصدرها الوزارة إلى مجلة أسبوعية، وكلف أيضا بإنشاء مجلة شهرية للإذاعة باسم "هنا عمان"وقد تولى رئاسة تحرير المجلتين إضافة إلى عمله الأساسي مستشارا ثقافيا.[1]

في أعقاب نكسة (حزيران 1967م)، توجه للعمل في "قطر" حيث أسهم في إنشاء الإذاعة، وهناك كان أول صوت انطلق من الأثير من إذاعة قطر ثم غادرها واتجه لاستكمال دراسته حيث نال شهادة البكالوريوس في اللغة العربية (1971م). عمل في الإعلام السعودي (إذاعة جدة) منتجا، ثم مشرفا على إدارة الأحاديث والثقافة عدة سنوات،واختير لتأسيس منظمة إذاعات الدول الإسلامية هناك ، ثم انتخب من قبل الجمعية العامة للمنظمةخلال انعقادها في "أبو ظبي"، مديرا برامجيا عاماً للمنظمةوبعدها نقل نائباً لأمين عام وكالة الأنباء الإسلامية الدولية، ثم اضطر للخروج منها عام 1980مفتوجه إلى "روما "حيث انشأ أول جريدة يومية باللغة العربية باسم "الأيام"لم تعمر طويلاً، وقد اضطر بعدها للعوإلقى عمان عام 1985مبعد أن خسر ما جمعه من كفاح الغربة بين الكويت، وقطر و السعودية، وايطالياطوال عشرين عاماً ، وعانى من الجحود وضيق ذات اليد والحصار والضغوطالتجويع نتيجة حرصه على استقلالية الرأي والفكر والموقف ، ثم أتيح له أن ينشىء مجلة أسبوعية باسم "الرائد العربي" بالتعاون مع احد الممولين وتولى رئاسة تحريرها زهاء أربع سنوات . عاد بعدها إلى السعودية للعمل في الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض[2].

وكان قد شارك خلال وجوده في الكويت في النشاط الوطني القومي ،فانشأ مع نخبة من الشباب الفلسطينيين منظمة سرية للعمل الفلسطيني عام 1963م، ثم اعتقل وتعرض للسجن والتعذيب في بلدان العربية نتيجة ذلك. كما اختير سكرتيراً

---

(1) صدوق، شعراء فلسطين في القرن العشرين، ص450

(2) المرجع نفسه ، ص451.

لأول مؤتمر شعبي فلسطيني في ا لكويت، وجرى انتخابه عضوا في الفريق الـذي مثل الجالية الفلسطينية بالكويت للقاء السيد أ حمد الشقيري المكلف بإنـشاء منظمـة التحرير الفلسطينية، وحضر المؤتمر الأول للمجلس الفلسطيني التأسيسي الذي انعقد برياسة أحمد الشقيري في القدس، وكان عضوا في المؤتمر التأسيسي الأول لاتحـاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين الذي انعقد في غزة ، لكن الظروف القاهرة حالـت دون سفرة للمشا ركة. وهو عضو في اتحاد الكتاب الآ سـيويين الإفـريقيين ومثـل الأردن بالمؤتمر الثاني لهذا الاتحاد في بيروت عام 1967م، إضافة إلى عـضويته في منظمة "بن "العالمية لحرية ا لفكر والثقافة في لندن والجمعية العربية للدراسـات الدولية في واشنطن، كما قام بتأسيس أول رابطة أدبية فـ ي الأردن باسم "رابطة القلم الحر" عام 1956م بمشاركة نخبة من الأدباء عام 1964م ، وقد فاز بجائزة القصة القصيرة للكتاب العرب من مجلة "الحوادث " اللبنانية ،كما منحه المجلـس الثقـافي الاقتصادي الأوروبي بروما الجائزة الدولية لقادة الفكر العالميين لعام 1983م. [1]

بدا حياته الشعرية في الثانية عشرة من عمره، ونشر نتاجه في كبريات المجلات الأدبية العربية وهو دون العشرين ، واختارته وزارة التربية والتعليم الأردنية عـام 1958م ليمثل الشعر الأردني في تقويم الشعر الحديث الذي أصدره المجلس الأعلى للآداب والفنون في القاهرة ، بإشراف لجنة من كبار الأدباء والشعراء برئاسة عباس محمود العقاد.

يكتب الشعر العمودي والحر، والرواية والقصة والدراسـات الأ دبية،والنقديـة والتاريخية، إلى جانب المقالة والخاطرة . وله عشرات البرامج الإذاعيـة والثقافيـة والمنوعة والمسلسلات الدرامية ، وما يزال بعضها تعاد إذاعتـه مـن العديـد مـن الإذاعات العربية. وهو من المتخصصين بالدراسات التوراتـ ية واليهودية. وقد ترجم بعض شعره إلى الانكليزية والفرنسية والروسية والايطالية.

استقر به المقام في عمان بعد عودته من أمريكا بعد غربة استغرقت أكثر مـن نصف قرن من الزمان، قطعها من القدس إلى بلدان الخارج ،من شطّ العرب إلـى البحر الأحمر. وهو يعاني من مرض في القلب ، لكن ذلك لم يؤثـ ر علـى نـشاطه

(1) صدوق، شعراء فلسطين في القرن العشرين، ص455

الثقافي والعلمي، إذ تحدّى المرض بقوة وعزيمة، فقد علمته الغربة أن يكون قويّاً متحدياً للصعوبات.

مصادر ثقافته وتكوينه الشعري:

استقى راضي صدوق ثقافته من مصادر متنوعة، تراثية وحياتية، استطاع من خلالها تكوين إرث ثقافي وظَّفه من خلال تجربته الشعرية التي عبر من خلالها عن قضايا أمته وهمومها.

يقول صدوق عن مصادر ثقافته وتكوينه الشعري : " وكنت دائماً أردُ مصادر ثقافتي إلى الكتاب . نعم. فأنا قارئ مُنهم منذ البداية. كنت أهرب من الكتاب المدرسي إلى الكتاب الذي لا ينتمي إلى المدرسة . وأنا أعتبر علاقتي بالكتاب رفقة أصيلة وحميمة تفتحت في نفسي مع بداية وعي القراءة. كنت أضيع عن أصدقائي فلا يجدونني إلا في مكتبة المدرسة، وما أزال أذكر أن نهمي بالقراءة كان في ذروة حرارته في وقت لم نكن فيه نملك حتى ثمن الكتب المدرسية، وقد ظلت القراءة تعمل في نفسي حتى كنت أحسبها ظاهرة مرضية تلازمني"[1].

وبهذا فأن صدوق لم يكن لديه منهج واضح ومحدد في القراءة، كان يقرأ كل ما يقع تحت بصره ،سواء أكان رواية أو شعراً أو مقالا أو دراسة إسلامية أو لاهوتية أو دراسة تاريخية .

وشرع صدوق يكتشف نفسه وطريقه من خلال هذه القراءة الفوضوية ، وتوجه إلى وضع برنامج محدد للقراءة وفق مراحل زمنية معينة، بعد أن شعر بأنه بحاجة إلى التركيز والكثافة والعمق وضرورة أن تكون له رؤية واضحة للأشياء، ونظرة فكرية محددة الملامح إزاء قضايا الإنسان والوجود.

ثم قرر أن يدرس تاريخ العرب والإسلام بعمق وشمول –من مصادر عربية وأجنبية- قديمة وحديثة، حتى يتبين مواطن الحق من مواضع الشبهة والدَّس . وعكف على قراءة الأدب العربي من مصادر شتى عبر عصوره الطويلة، وجد

---

(1) مقابلة مع الشاعر، عمان، 2007/9/4م.

بعدها أنه لابد من قراءة آثار الفلاسفة الإسلاميين ووجهات نظر الفرق الإسلامية واجتهاداتها وتخريجاتها.

وقد ساقه هذا إلى العودة إلى قراءة الفلسفات الإغريقية القديمة، وعبر منها إلى التراث الفلسفي الأوروبي . ثم عاد إلى قراءة تاريخ الشعوب والأمم وآدابها وأساطيرها، وقاده هذا إلى التعمق بدراسة كتاب "التوراة" وما وقع بين يديه من كتب ودراسات عن "التلمود"، وكذلك قرأ "الإنجيل" بمختلف رواياته حتى النسخة غير المعترف بها والمسماة "أنجيل برنابا"، وساقه ذلك أيضا إلى قراءة الشرائع والقوانين، وأُعجب صدوق بكتاب "روح الشرائع" لمونتيسكو. كما شغف بعلم النفس، لكنه وجده اسماً كبيراً مُفرغاً من المضمون الفكري الحقيقي، فكل ما فيه نظريات آنية ما أسرعا ينتهي مفعولها لتحل محلها نظريات جديدة ،مماجعله يشعر بأنه "علم" أشبه ما يكون بالرمال المتحركة في صحراء سافية...." [1].

قرأ صدوق في الشعر كثيراً . إذ بدأ بالشعر الجاهلي حيث المعلقات السبع " للزوزني، والقصائد العشر، وجمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام لأبي زيد القرشي، وطبقاتللشعراء لابن سلام الجمحي، وفحول الشعراء للسجستاني، وكتاب الصناعتين "الكتابة والشعرلأبي هلال العسكري، وديوان الـ معاني للعسكري أيضاً، وطبقات فحول الشعراء مرة ثانية بعد أن قام بتحقيقه العلامة الشـ يخ محمود شاكر، وقرأ أيضاً حماسة أبي تمام ، وحماسة ابن الشجري، ومختار الشعر الجاهلي، وكتب تاريخ الأدب العربي لمؤلفين قدامى ومحدثين ومستشرقين ، إضافة إلى قراءته كل ما وقع تحت يديه من دواوين الشعراء العرب القدامى ، كذلك قرأ الكتب التي ألفها الأقدمون في نقد الشعر والفقه، واللغة، وعلم الكلام والتفسير، وكتب الحديث النبوي الشريف، إلى جانب كتب عبد الحميد الكاتب ،وابن المقفع،والجاحظ، والتوحيدي والأصمعي والزمخشري والثعالبي والقالي وبديع الزمان الهمذاني والحريري، و ابن الأثير والأصفهاني، وابن عبدربه، والمقري الأندلسي ، وابن رشد، وابن حزم، وابن خلدون، وغيرهم كثير.

---

(1) مقابلة مع الشاعر، عمان، 2007/9/4م.

في الوقت نفسه حرص على قراءة كل ما يتعلق بالشعر العربي الحديث منذ بداية عصر النهضة، وتعرف إلى روافد الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر كالرافد التراثي "القرآن الكريم"،وظاهرة التدوير ، والتكرار وظاهرة الفواصل والتعابير الفنية الجديدة . والموشحات، والأساطير،ثم الرافد الأوروبي الذي نجم وشاع بعد الاتصال ببعض الدول الأوروبية كالرومانتيكية، والبرناسية، والرمزية، والسريالية، والواقعية .... التي أدَّت كلها إلى ظهور قصيدة الشعر الحر "أو قصيدة التفعيلة، والقصيدة المدورة أو ما يسمى بـ (قصيدة النثر) [1].

وعكف صدوق بعد ذلك على التفرُّغ لقراءة الشعر والتعرف إليه عند الأمم الأخرى، حيث قرأ الشعر الإغريقي قديمه وحديثه عند هسيودوس وسافو وبنداروس وتيرتايوس وغيرهم.

وقرأ الشعر اللاتيني عند فرجيليوس أمير الشعر اللاتيني وعند بيرتراكه .. وقرأ الشعر الروماني عند هوراتيوس وأوفيديوس شاعر الحب والأساطير، وقرأ الشعر الأوروبي: الإنجليزي والفرنسي والروسي والألماني والإسباني والإيطالي واليوناني، وكذلك الشعر الأمريكي اللاتيني عند بابلونيرود، واوكتافيوباز.

واطلع صدوق على شلاعر التركي الحديث الذي يمثله :ناظم حكمت، أ صاف شلبي، بدري أوغلو، سعاد طاشر وكذلك الشعر الفارسي ويمثله : الفردوسي (صاحب الشاهنامة) وعمر الخيام (صاحب الرباعيات)،الشعر الإفريقي ويمثله : أوجستينونيتو من (موازمبيق) وشوينكا من (نيجيريا) وأوكولي من (كينيا) وغيرهم كثير.حتى الشعر العبري سعى إلى متابعته وتوقف عنده طويلاً.[2]

إن ثقافة راضي صدوق ثقافة شاملة ،متكاملة، متنوعة المصادر، ساعد على تشكيلها أكثر من عامل، فقد أحاط بمجموعة من العلوم و المعارف المختلفة، ساعدت على تشكيل تجربته الشعرية، مما جعلها تجربة ناضجة ومتكاملة .

---

(1) مقابلة مع الشاعر، عمان، 2007/9/4م.

(2) المرجع نفسه .

آثاره الأدبية:

ظهرت عند صدوق مجموعة من الدواوين الشعرية :

1. ديوان "كان لي قلب":

صدر هذا الديوان عن(دار الكاتب العربي) في بيروت عام 1962م، إذ إن القصائد كتبها الشاعر بين سن الرابعة عشرة والثامنة عشرة من عمره، ونشرت أولاً بأول في الصحف المحلية، حيث ضم هذا الديوان أربعين قصيدة.

و قد تحدث زكي المحاسني عن هذا الديوان حيث قال : "ولقد فرغت من النظرة بهذه المجموعة من شعرراضي صدوق، فأمنت أنه شاعر، ورأيتها ليست ديوان شعر وإنما هي مأساة نفسية يمور لهيبها في قلب صاحبها فيطلع أبيا تاً وقصائد كلها فيض ألم وعتاب، وتبيان لإرهاق روح جريح وجد في الشعر العزاء والوفاء، والديوان جميعه صدى صوت عميق ما زال يصرخ من ألم خيانة المرأة ، ومن الحب وانسكاب الحسرات عليه . وكنت أوثر أن أجد قصيدة واحدة ذات وجهة في غير هذه الأصداء الشوارد"[1].

وكتب للديوان مقدمة تحليلية الكاتب قدري قلعجي حيث يقول فيها : "والذي نتخيله بعد مطالعة هذه المجموعة التي ذاب فيها راضي صدوق قلبه، إن الحياة أثقلت كاهل الشاعر الشاب قبل الأوان، وأن براعم حبه لم تكد تتفتح كؤوس أكمامها في أنفاس الربيع حتى دهمتها رياح الشتاء الجليدية، ولم تعد تمثل من الربيع سوى حضور طيفه في دنياه وما ذلك الحضور غير الذكرى، ذكرى نقرأ فيها الختام "من وحي اللقاء الأخيرو"لا نعرف من ذاتها وواقعها إلا ذلك المرور الطيفي وإن تلك المرأة التي نعتها في صفات مشابهة (بالقطة الذليلة) تنفض وبرها عن ريش قبره غنت الربيع أنغاماً ليس أشدى منها أو أشجى وكانت ريحانة الأحلام والسائحة التي لا تلامس شغاف القلب إلا غمرته النشوة"[2].

---

(1) محاسني، زكي: كان لي قلب(كورة شعر راضي صدوق)، مجلة المعرفة، العدد الرابع، دمشق، 1963م، ص150.

(2) صدوق، ديوان كان لي قلب، مقدمة قدري قلعجي، ص14.

2. ديوان "ثائر بلا هوية":

صدر عن (ار الكاتب العربي) في بيروت عام 1966م. وهذا الديوان مفقود وغير متوفر، إذ تمت مصادرته من قبل دوائر المطبوعات في الدول العربية لأسباب سياسية .

3. ديوان "النار والطين":

صدر عن (دار الآداب) في بيروت عام 1966م، إذاشتمل هذا الديوان على سبع عشرة قصيدة .وضم قصائد كلاسيكية، وقصائد من ذات التفعيلة الواحدة التي كان قد نشرها في منتصف الخمسينيات، وهي من أوائل قصائد التفعيلة الواحدة التي نشرت لشاعر من الأردن في ذلك الوقت المبكر.

ويتضح، من عنوان الديوان، الثنائية التي تحكم الإنسان و تمزقه شر ممزق، فهو مصوغ من نارٍ وطين، والطين كمادة كثيفة تشد الإنسان إلى الأرض، والنار كمادة شفافة تشعل هذا الطين وتمنحه أجنحة يطير بها لتجعله كائناً سماوياً ، ويبقى صراع النار والطين صراعاً أزلياً أبدياً هو الذي يمنح الإنسان هويته الوجودية، بوصفه كائناً صغ من الممكن والمستحيل ، من المطلق والمحدود، من الثابت والمتحول، من المادي واللامادي. ومن جديد يصبح هذا العنوان "النار والطين" عبارة عن شيفرة تفتح على عوالم الإنسان المحيرة وتناقضاته وانفتاحه اللامحدود على المجهول. [1]،

4. ديوان "بقايا قصة الإنسان":

صدر هذا الديوان عن دار العودة في بيروت عام 1974م، حيث ضم اثنتين وعشرين قصيدة.

وراضي صدوق في ديوانه هذا يختصر قصة الإنسان ،ومعاناته على الأرض، إنه الإنسان الذي يقف متحدياً الطبيعة والذي يختصر صراع البشر على الكون في محاولتهم الدائمة لترويض الحياة، وكسب المعرفة ،في النهاية فيجمع طرفي الصراع الإنسان والطبيعة معاً[2].

---

(1) ممدوح، مجدي: التعبيرية في شعر راضي صدوق، مجلة أفكار، العدد224.

(2) الرواشدة، سامح: النزوع الأسطوري في ديوان بقايا قصة الإنسان، أفكار، عمان، العدد224، ص89.

جعل راضي صدوق القصيدة الأولى في الديوان "بقايا قصة الإنسان" إذ يعبر فيها عن تجربته الخاصة وتجربة الإنسان عامة.

فتجربة الإنسان الفردي في مواجهة الحياة لا بد أن تنتهي على هذا النحو، لكن الإنسان لا يستسلم للنهاية ، ولا بد أن يكون هناك الملايين ممن يزرعون رماحهم في عيون الذرى، ويواجهونها غداً لتبقى أسطورة الإنسان قائمة إلى الأبد[1].

5. ديوان أمطار الحزن والدم:

صدرت الطبعة الأولى من هذا الديوان في بيروت عام 1978م ، والطبعة الثانية في نيقوسيا عام 1988م ، والطبعة الثالثة في الرياض عام 1992م.

ضمَّ هذا الديوان ثلاثين قصيدة كلاسيكية ، وهي قصائد تمثل أقسى مراحل الاغتراب التي عاشها صاحب الديوان، وتعرض خلالها للكثير من المعاناة والاضطهاد والقمع، نتيجة مواقف أخلاقية وسياسية وقومية كان يحرص على الالتزام بها.

6. ديوان "الحزن أخضر دائماً":

صدر هذا الديوان عن (دار كرمة للنشر) في روما عام 1991م ،حيث ضم عشرين لوحة اختلط فيها الشعر بالنثر، وهي نصوص سبق إن نشرت في الصحافة الأردنية والعربية منذ منتصف الخمسينيات وحتى منتصف الثمانينات وقد أطلق عليها صاحبها اسم (شعر في نثر).

إن راضي صدوق بحديث الروح صنع لنا منظومة من الحزن الدفين في النفس الشرقية فضلاً عن هذا الحزن الأخضر الذي تواصل مع واقعنا العربي . ورغم أن هذا الديوان لراضي صدوق يقع في 77 صفحة من القطع المتوسط، فإن مساحة الحزن والأسى ونيران اليأس والإحباط نجدها تمتد كثيراً لتسود أضعاف هذه المساحة من الكتاب ، ذلك أن المؤلف غمس ريشته في عذابات الإنسان العربي المعاصر المحاصر بعشرات القضايا والمشاكل والذئاب والمكائد حتى قصص الحب البسيطة، والآمال الصغيرة التي يحلم بها الإنسان العادي البسيط لا تجد متنفساً وإنما

---

(1) الرواشدة، النزوع الأسطوري في ديوان بقايا قصة الإنسان، ص90.

تواجه جدراناً يابسة جلمودية تتحطم على صخورها الأحلام البسيطة أو الآمال التي تشرق في النفس.[1]

يقول راضي صدوق في قصيدة "الحزن أخضر دائماً":

7. ديوان "رياح السنين":

صدر هذا الديوان عن (دار كرمة للنشر) في روما عام 1998، حيث ضم هذا الديوان سبعاً وعشرين قصيدة.

وفي هذا الديوان ، يتحدث راضي صدوق عن الرياح فهي مضادة للسكون، وقد تكون رياح رخاء داعية للاسترواح أو عاتيه تنذر بالقلق والانزعاج، لكن هذه الرياح عربيدة تحمل في هبوبها العطب والفساد، لذلك فإنها تلجم فم الشاعر عن إيصال صوت مأساته فهي قوة كابحة للتغيير.

ب. الكتابات والدراسات الأدبية:

كتب راضي صدوق الشعر، والقصة القصيرة ،والرواية، والدراسة النقدية، والدراسات التاريخية، والتوراتية ،والسياسية. وقد نشر الكثير من هذا النتاج ومن أهم مؤلفاته:

1. كتاب ديوان الشعر العربي في القرن العشرين (توثيق أنتولوجي وأنطولوجي للشعراء العرب المعاصرين):

لمعت فكرة هذا الكتاب في ذهن راضي صدوق سنة 1990م، حيث يقول :"بعد أن أعياني البحث وأجهدني التنقيب في رفوف المكتبات، وبين أطواء الكتب ،عن شاعر عربي معاصر، ليس بغمرٍ ولا بخامل الذكر، قرأت له ما أغراني بالتعرف أكثر وأعمق إلى شعره وسيرته فما وجدت له ذكراً لدى دارسٍ، ولا أثراً في دراسة، على كثرة ما يزحم المكتبات من كتب ودراسات ومؤلفات أنثولوجية وأنطولوجية " حول شعرنا الحديث وشعرائنا المعاصرين . وأخذت الفكرة تلحُّ عليّ وتكبر وتصعد حتى لتكاد تملك عليّ أقطار نفسي كلما وقع في يدي كتبجديدة في هذا الموضوع ، فلا أجد فيه ما يلبي البُغية ويشفي الغليل ، وربما وقفت في هذه الكتب أو بعضها على

(1) راضي صدوق يرى الحزن أخضر دائماً، مكتب جريدة الشرق الأوسط، الرياض، 1992م.

نقص أو خلط في المعلومات عن هذا الشاعر أو ذاك ممن أعرفهم حق المعرفة شخصا وشعرا وشاعرية"[1].

تحدث راضي صدوق في مقدمة الكتاب عن منهجه في تأليف هذا الكتاب، حيث وثق في الكتاب للشعراء العرب في القرن العشرين الميلادي ، في جميع الأقطار العربية والمهاجر ابتداءً من عام 1900م، وذلك من خلال التأريخ بإيجاز لكل شاعر وتحديد موقعه على خريطة الشعر العربي ودوره في النهضة الشعرية ، وأعماله المطبوعة وغير المطبوعة والمخطوطة ، مع إيراد نموذج أو أكثر من إبداعه الشعري بحيث تمثل هذه النماذج المختارة مختلف مراحل تطوره الفني ، وقد حرص صدوق على إبراز أهم المواقف الوطنية والقومية والإنسانية لكل شاعر ، كما قام بتصحيح المعلومات المغلوطة الرائجة في بعض الكتب والدراسات عن كثير من شعراء العرب المشهورين ، وتهذيب هذه المعلومات من المبالغات الفضفاضة الناجمة عن معايير غير أدبية غير متوازنة [2]. وقد اختار صدوق الشعراء الذي تضمنهم الكتاب وفق الأسس التالية:

أ. **الشعراء الراحلون:** اختار صدوق الشعراء الذين كان له دور ملموس في مسيرة الشعر العربي المعاصر بعامة، وفي نهضة الشعر في بلادهم بخاصة دون النظر عما إذا كانت للشاعر دواوين مطبوعة أم لا ، واكتفى بإبراز نماذج قليلة من شعر الشعراء الأعلام الذين لهم حظ وافر من الذيوع والانتشار في الأوساط الأدبية والأكاديمية،في حين حرص على إيراد نماذج أكثر من شعر الشعراء المغمورين، زيادة في التعريف بهم من خلال أشعارهم[3].

ب. **الشعراء الأحياء:** اختار صدوق كل شاعر له ديوان مطبوع أو وردت مختارات من شعره في مجموعات أو دراسات أدبية مطبوعة بعد إطلاعه الدقيق على نتاج هولاء الشعراء ، وأستبعد كثيرا ممن لهم دواوين شعرية مطبوعة بعد دراسة

---

(1) صدوق، راضي: ديوان الشعر العربي، دار كرمة للنشر، روما، ط 1994، ص9.

(2) صدوق، ديوان الشعر العربي، ص13.

(3) المرجع نفسه، ص 13.

متفحصة لدواوينهم، معتمدا على تقويمه الشخصي ومستندا إلى رأي الثقات من النقاد والدارسين في مستواهم الفني[1].

ج**شعراء القصيدة العمودية والقصيدة الحرة** : وقد أورد لكل منهم نموذجا "أو أكثر من الشعر العمودي ونموذجا "أو أكثر" من الشعر الحر.

كما أشار صدوق إلى عدد من الشعراء المتميزين ممن لم تتوفر لهم نماذج شعرية وقد أدرجاسماءهم في الكتاب دونماذج ، على أمل أن يتدارك ذلك في الطبعة الثانية من الكتاب[2].

د. **شعراء قصيدة النثر**استبعد صدوق كل الذين كتبوا قصيدة النثر ، على اعتبار أن قضية ما يسمى بـ "قصيدة النثر" ما تزال موضع خلاف بين الدارسين والباحثين ولم يحسم أمرها بعد[3].

تحدث راضي صدوق عن تقنية الكتاب حيث يقع الكتاب في نحو خمسة آلاف صفحة، وقد رتب أسماء الشعراء في أجزائه جميعا على حروف الهجاء وفق الاسم الأول للشاعر وحسب اللقب والكنية التي غلبت عليه واشتهر بها بين الناس بالنسبة لشعراء كأبي سلمى ،والأخطل الصغير،وبدوي الجبل، وأدونيس ، وذلك بغض النظر عن بلدانهم وأجيالهم والمذاهب الفنية التي يندرجون في أطرها[4].

وأرخ للولادة والوفاة مبتدئا بالتاريخ الهجري الذي أشار إليه بحرف (هـ) وما يقابله من التاريخ الميلادي، إذ أشار إليه بحرف (م) وحرص على ذكر اليوم والشهر إضافة إلى سنة الولادة والوفاة ، كما حرص على تشكيل النماذج الشعرية وربط حركاتها وبخاصة الكلمات التي تقضي الضرورة اللغوية والعروضية ضبطها تلافيا لأي لبس قد يقع فيه القارئ ، كذلك حرص على ضبط أسماء الأعلام من أشخاص وأماكن وبلدان، ووضع شروطا ومعلومات موجزة عنها في الحواشي حيث يرى

---

(1) صدوق، ديوان الشعر العربي، ص14.

(2) المرجع نفسه، ص 14.

(3) المرجع نفسه، ص15.

(4) المرجع نفسه، ص16.

ذلك ضروريا ومفيدا ، كما حرص على الإشارة إلى المصادر والمراجع مع ذكر مركز النشر وتاريخه[1].

2. كتاب شعراء فلسطين في القرن العشرين:

صدر هذا الكتاب عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت، حيث يوثق هذا الكتاب للشعراء العرب الفلسطينيين في القرن العشرين ، بداية من عام 1900م وحتى تاريخ إنجازه ، وذلك من خلال التعريف بإيجاز وافٍ لكل شاعر وأعماله المطبوعة فقط.

أعد صدوق قائمة بأسماء الشعراء الفلسطينيين في كل مكان مستندا إلى معلوماته الشخصية لدراسات الجادة التي عكفت على دراستهم ، وقد قام صدوق بقراءة المؤلفات الرائدة والدراسات القيمة التي تناولت الحياة الأدبية ،وبخاصة الشعرية في فلسطين، وفي مقدمتها كتاب (الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن)، وكتاب (الشعر الحديث في فلسطين والأردن) للدكتور ناصر الدين الأسد ، وكتاب (الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة)، وكتاب (دراسات في شعر الأرض المحتلة) للدكتور عبد الرحمن ياغي، وكتاب (الأدب العربي المعاصر في فلسطين)، وكتاب (الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر) للدكتور كامل السوافيري، وكتاب (الشعر الفلسطيني في شعر النكبة) للدكتور عبدالرحمن الكيالي، و(ديوان الوطن المحتل) هو مختارات أعدها يوسف الخطيب ، و(أدب المقاومة في فلسطين المحتلة) لغسان كنفاني، وكتب الدكتور حسني محمود ، والدكتور صالح أبو إصبع وغيرها من عشرات الكتب[2].

3. كتاب (هوامش في الفكر والأدب والحياة):

صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة في عمان عام (1989م)، هو خلاصة لقراءات شتى في أزمنة متباينة ، في مختلف مجالات الفكر والأدب والحياة، كان يسجل على هوامشها بعض الملاحظات والنقدات والأفكار العفوية ، دون عودة إلى

---

(1) صدوق، ديوان الشعر العربي، ص16.

(2) المرجع نفسه، ص4.

رجع أو كتاب إلا حين تقتضي ضرورة العلم و واجب الأمانة، ولقد حظي لدى نشره في الصحافة العربية بأصداء متباينة تجتمع بين القبول والإعجاب[1].

4. كتاب "نظرات في الأدب السعودي الحديث":

صدر هذا الكتاب عن دار طويق للنشر والتوزيع في الرياض عام 1993م.

يتوقف راضي صدوق في هذا الكتاب أمام بداية النهضة الأدبية الحديثة في السعودية التي واكبت قيام ورسوخ الدولة، حيث نشأت الصحف وشيدت المدارس ودارت عملية التحديث والنهضة، إذ لم يكن قبل ذلك نشاط ثقافي منظم وإن تمثل فردياً بما حفظه كتاب "وحي الصحراء"، وكتاب "شعراء الحجاز" لعبدالسلام الساسي وكتاب "المعرض" لمحمد سرور الصبان، وكتاب "خواطر مُصرَّحة" لمحمد حسن عواد وكتاب "المرصاد" لإبراهيم هاشم الفلالي[2].

وغير هذه المؤلفات فأن لراضي صدوق مئات من المقالات والدراسات الأدبية والفكرية والسياسية والتاريخية والنقدية، وتحقيق التراث ، وحوار مع المستشرق الألماني ويندفور حول نظرية نشوء اليهود ونزول التوراة، منشورة في الصحف والمجلات العربية البارزة في العواصم العربية والصحافة المهاجرة.

كما أن له مجموعة من الأعمال الروائية من مثل رواية "منفيون للأبد" "وعندما تجف الينابيع"، و(سقوط المواطن حفر) ،و(صبا نجد)، وله مجموعة قصصية بعنوان "الرغيف المحروق" وقد نالت إحدى قصص هذه المجموعة، وهي بعنوان "البرشامة" الجائزة الأولى للقصة القصيرة في المسابقة التي أعدتها مجلة الحوادث البيروتية الشهيرة، لكتاب القصة القصيرة في مطلع الستينات.

البدايات الشعرية:

كانت بدايات صدوق الشعرية متزامنة مع الجرح الفلسطيني الأول ، وكان ما يزال على مقاعد الدراسة في مدرسة تربض علىجبل يطل على الساحل الفلسطينيوقد رأى بأم عينه من مسافة غير بعيدة ، أقدام الجيش الإسرائيلي وهي

---

(1)صدوق، راضي: هوامش في الفكر والأدب والحياة، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط 1، 1989م، ص7.

(2) صدوق، راضي: نظرات في الأدب السعودي، دار طويق للنشر، ط1، 1993م، ص14.

تتقدم لتسرق السهل الساحلي الذي يدر لبنا وعسلا . في تلك الأيام تخلقت في داخل صدوق أول بذرة للشعر، إذ كتب العديد من القصائد وهو ما يزال على مقاعد الدرس، ونشرت في الصحف اليومية التي كانت تصدر في "القدس" (آنذاك في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي).

ولعل أولى قصائد صدوق التي ما زال يذكر بعضا من أبياتها هي:[1]:

ماذا وراءكَ... قل لي أيها الشفقُ أقطعةٌ من سواد القلبِ تحترقُ؟!

وفيها يقول أيضا:

فكيف ينبضُ عرقٌ بينما دمهُ على التراب كماء المُزن يندفقُ؟

لم نجقصيدة بعينها قدمت صدوق اً للقراء، إلا أن هناك قصيدة لقيت قبولا حسنا من قطاعات واسعة بين القراء ... وهي قصيدة (إلى أمي). وفيها كان يعبر عن فاجعة أمه بشقيقين عزيزين أغتالهما ا لاحتلال اليهودي في أيام السواد، وقد أدرجت هذه القصيدة فيما بعد في منهاج النصوص والمطالعة في الأردن وفي بعض البلدان العربية.... [2]

أصبح صدوق، فيما بعد ، يشكل لونا جديدا في الشعر الناشط على الساحة الأردنية، فحظي بحفاوة خاصة لدى الصحف اليومية الثلاث التي كانت تصدر آنذاك، ثم خطر على بال صدوق أن يتوجه بنظره إلى خارج الحدود....

كانت مجلة "الأديب" اللبنانية هي المجلة الأدبية الأولى في ذلك العهد، بل إنها كانت ذات انتشار واسع في ديار المهجر في الأمريكيتين . فبدأ ينشر قصائده في"الأديب" إلى جانب كبار الشعراء وهو في الثامنة عشرة من عمره، وكانت أول قصيدة نشرت في "الأديب" هي قصيدة "سآتي غدا...." من شعر التفعيلة[3]، ثم انطلق انطلاقة واسعة عبر سائر الأقطار العربية، وأصبح ينشر نتاجه الشعري في مجلة (الرسالة) التي كان يرئس تحريرها الأديب أحمدحسن الزيات، و (مجلة الثقافة) التي كان يرئس تحريرها الأديب محمد فريد أبو حديد ومجلة "الشعر" القاهرية و "الفكر"

---

(1) مقابلة شخصية مع الشاعر 2007/11/4م.

(2) المرجع نفسه.

(3) المرجع نفسه.

التونسية و "المعرفة" السورية و "الأقلام" العراقية و "الآداب" اللبنانية... إلى جانب الشعراء بدر شاكر السياب، وبلند الحيدري، وعبد الوهاب البياتي، ونازك الملائكة، وصلاح عبد الصبور.... وقد أصبح أكثرهم من أصدقائه الحميمين فيما بعد[1].

كانت بدايات صدوق الشعرية كلاسيكية من حيث الشكل، وقد تجاذبها ومضات من النزوع إلى التمرد على القصيدة الموروثة، وكان من حسن حظه أنه من أوائل من أسسوا لحركة التجديد الشعري على الساحة الأردنية في النصف الأول من خمسينيات القرن الماضي ، إلى جانب يوسف الخطيب، وكمال ناصر، وفدوى طوقان،وناجي علوش ... قبل أن يظهر على الساحة الشعرية الأردنية عبد الرحيم عمر،ومحمد القيسي الذي كان صدوق أول من رعاه وشجعه في بداياته الشعرية ، وهو ما يزال يعد في "مخيم الجلزون"قرب رام الله ، حيث كان ينشر له صدوق بواكيره –على تواضعها-في الملاحق الأدبية في الصحف اليومية التي تولى مسؤولية التحرير فيها[2].

بعد اغتراب صدوق عن الأردن عام 1960م إلى الكويت ، قام بتأسيس مجلة عسكرية ثقافية للجيش الكويتي صدرت باسم "حماة الوطن" وتولى رئاسة التحرير فيها ، وأتيح له من هناك الانفتاح على الأوساط الأدبية الراقية الراسخة في العديد من الأقطار العربية ، وحظي بصداقات طيبة مع نخبة من كبار الشعراء والأدباء، وكان في مقدمتهم الأديب والسياسي الكبير (قدري قلعجي) الذي أصرَّ على أن يصدر لصدوق عن دار الكاتب العربي التي يملكها أول مجموعة شعرية باسم "كان لي قلب" ، وكتب بقلمه مقدمة قيمة لهذه المجموعة، وكان ذلك قبل أن يظهر للشاعر المصري "أحمد عبد المعطي حجازي ديوانه "مدينة بلا قلب"[3].

وديوان "كان لي قلب " كان يحمل قصائد البواكير الأولى للشاعر صدوق أيام كان على مقاعد الدرس في الإعدادية والثانوية، إلى جانب بعض القصائد الأخرى التي نشرت في الصحف المحلية، والمجلات الأدبية العربية الكبرى في فترة

---

(1) مقابلة شخصية مع الشاعر 2007/11/4م.

(2) المرجع نفسه.

(3) المرجع نفسه.

الخمسينات من القرن الميلادي الماضي .... وهذا الديوان ينطوي على قصائد عمودية وأخرى محدثة، ولعله يعد وثيقة تاريخية بالنسبة لحركة التجديد في الشعر على الساحة الأردنية، فهو يحتوي على أول القصائد من النمط الجديد المحدث التي نشرت في الأردن ، مثل قصيدة "عودة إلى الصومعة "، وقصيدة "هل يعود الربيع "، وقصيدة "سآتي غدا..."، وغيرها.

والحقيقة، أن صدوق ا لم يكن أول شعراء التجديد على الساحة الأردنية لكنه يعدّ من أهم المغامرين في هذا المجال ، ففي تلك الفترة كان الشعراء يوسف الخطيب، وكمال ناصر، وفدوى طوقان وناجي علوش يحملون لواء التجديد في القصيدة .... على الساحة الأردنية، لكن صدوق كان الأكثر من بينهم تصديا لممثلي الشعر التقليدي، وذلك بحكم موقعه مسئولاً عن الملاحق الأدبية في الصحف اليومية التي عمل فيها،إلى جانب مسئولياته كسكرتير تحرير لهذه الصحف.

ولقد اطلع صدوق على معظم الكتب والدراسات المنشورة التي تؤرخ للحركة الشعرية في الأردن، طوال النصف القرن الماضي ، وقرأها بعناية وتمعن حيث يقول:"أنني أستطيع القول بكل أمانة ومسئولية ، وعن مواكبة ومتابعة للمسيرة الشعرية على الساحة الأردنية منذ النصف الأول من الخمسينيات في القرن الماضي،أنه ليس بين هذه الكتب والدراسات ما يمكن أن يأخذه مثلي مأخذ جدّ واحترام، ولعل أفضل هذه الكتب وأقربها إلى المنهجية والدقة والأمانة والجد في البحث كتابان أحدهما من تأليف الدكتور سمير القطامي ، وثانيهما للدكتور محمد عطيات، في وقت كانت حركة التجديد قد رسخت واستوت واشتدَّ عودها، ثم نجد في بعض من هذه الكتب والدراسات من ينسب فضل الريادة في الحركة التجديدية للشعر على الساحة الأردنية لهؤلاء النفر الذين لم يظهروا إلا في النصف الأول من الستينيات"[1].

(1) مقابلة شخصية مع الشاعر 2007/11/4م.

رأيه في الشعر:

يقول صدوق يس للشعر عند أيما شاعر تعريف ، لأنه لو كان لديه تعريف واحد محدود متفرد فإنه – أي الشاعر- يخرج من آفاق الشعر إلى دائرة النظم، إنه يصبح كذلك الذي ينسج الثوب عن معرفة بمقاس واحد، وهيئة واحدة، وهندسة معروفة متداولة يتكالب على تعاطيها سائر أبناء هذه المهنة، والشعر ابن الغيبوبة الجميلة الشفيفة الشاعر ة الطاهرة، وكلما تحرر الشاعر من مواصفات الوقع المحسوس.وبدخل إلى عالمه وتداخل في باطنه لحظة الكتابة ، اقترب من جوهر الشعر وحقيقته كما هو، وكما يجب أن يكون ويظل : طائراً أخضر، طازجاً محلقاً لا تدري أي الذي هو الأجمل فيه، هيئته ، لونه؟ لحنه..؟ أم كل ذلك فيه! والشعر ككل شيء جميل لا يمارس إلا على السجية والموهبة والثراء المعرفي والخصب الباطني المنصهر المتداخل المتآلف لكأنه فلذة من كبد واحدة وبضعة من قلب واحد .. ينبع خارجاًتمرداً على الثابت والمقيم والموجود ، غير قابل للتصنيف والتجديد وتقدير الماهيات، طبيعة الشعر عند صدوق لحظة كتابته، ليس له مقاييس ومواصفات كما يقول دائما: الشعر لا يحدد أصلا، لأنه روح قائمة في جسدها اللفظي والصوري[1].

إن الشعر عند صدوق هو : ما ينتج عندما يجد الإنسان الحساس بأنه مغلوب على أمره يوجد لديه قلم وورق .قد تغلبه أنواع العواطف والإحساسات كافة : الحب، الفرح، اليأس، الوطنية، الإيمان، الشهوة، الرغبة في الموت .... وقد يكون مصدر العاطفة أي شيء، يحرك وينعش ويفجر، ويكون رد الفعل دائما متماثلا ... وما أسرع ما يخرج الشاعر الورقة والقلم وسرعان ما يكتب الشعر. أعماق المعنى – وليس المعنى نفسه - هي كل ما يهم الشعر ويتطرق إليه الشعر، وإذا استطعت أن تفهم الشعر لأول وهلة فهما مباشرا محددا ، فإنه ليس شعرا بل إنه نظم منظوم وكلام مرسوم[2].

وأما عن الشعر الأردنيفيرى صدوق أن الشعر على الساحة الأ ردنية في النصف الأول من الخمسينيات في القرن الماضي، كان على أروع ما يكون

---

(1) مقابلة شخصية أجريتها مع الشاعر بتاريخ 2007/11/1م.

(2) المرجع نفسه.

الازدهار والحيوية والانطلاق، وكان في الساحة آنذاك شعراء يقفون في الصف الأول من شعراء العروبة في العراق وسورية ولبنان .... وكان من بين هؤلاء الشعراء الأردنيين من شارك في حركة التجديد في القصيدة العربية التي كانت في بداياتها الناشطة على أيدي نازك الملائكة وبدر السياب وبلند الحيدري وصلاح عبد الصبور وأدونيس ومحي الدين فارس ومحمد الفيتوري وغيرهم....

كان فرسان تلك المرحلة المبكرة التي يمكن أن نعتبرها مرحلة التأسيس للحركة الشعرية الأردنية هم: يوسف الخطيب الذي فاز ديوانه"العيون الظلماء للنور " بالجائزة الأولى بين الشعراء العرب في المسابقة الكبرى التي أجرتها مجلة "الآداب" الشهيرة التي كانت تحمل لواء التجديد في الشعر العربي آنذاك" .

ثم جاء بعدهم فوج آخر ضم :تيسير سبول ،وعبد الرحيم عمر ، وإبراهيم الخطيب ومحمد القيسي ، وفي أواخر النصف الثاني من الستينيات ظهر عز الدين المناصرةوحيدر محمود وخالد محادين ، وفي السبعينات برز إبراهيم نصر الله ويوسف عبد العزيز ،ومحمد لافي وغيرهم الكثير، وتتابعت المسيرة عبر العقود التالية فظهرت أسماء أكدت حضورها الشعري على الساحة الأردنية.

وقد تحدث صدوق عن رواد التجديد من أوائل من كتبوا "قصيدة التفعيلة الواحدة" في الأردن وتبنوا نشرها ورعايتها والدفاع عنها ،وأشار إلى أنه كان هناك حضور شعري بارز وناشط على صفحات الصحف اليومية الثلاث التي كانت تصدر في الخمسينات لعدد من الشعراء وفي مقدمتهم : خالد نصره، عبد المنعم الرفاعي ومحمود الأفغاني ،وحسني فريز ،وسيف الدين الكيلاني ،ووهيب البيطار ، ومحمد العمد ، وواصف الصليبي وغيرهم... [1].

أما على صعيد المرحلة الراهنة فإن صدوقا يعترف، بأنه لا يقرأ الملاحق الأدبية التي تصدرها الصحف اليومية المحلية، إذ قرأها لفترة قصيرة ليتعرف إلى الواقع الأدبي والثقافي في الأردن ، وبخاصة واقع الشعر الذي يعنى به أكثر من سواه،

---

(1) مقابلة شخصية أجريتها مع الشاعر بتاريخ 2007/11/1م.

حيث يوثق للشعراء العرب في القرن العشرين منذ أكثر من خمس عشرة سنة، ويهمه مواكبة ومتابعة كل جديد في عالم الشعر[1].

ويعترف صدوق بأنه لم يجد شعرا حقيقيا إلا فيما قرأه للدكتور إبراهيم الخطيب وراشد عيسى وعدد آخر ضئيل... [2].

وهو يجد في معظم الشعراء الأردنيين المعاصرين ما يجده في سائر الشعراء المعاصرين الحاضرين في مختلف البلدان العربية .حيث هجروا الشعر العربي، هوية وروحا ونسقا، وتجاوزا القصيدة العمودية وقصيدة التفعيلة الواحدة إلى ممارسة النثر السائب على عواهنه، اللغة فيه ضعيفة منتهكة القواعد مشوشة الصورة مطفأة الموسيقى، لقد دخلوا عوالم التجديد من دون أهلية أو كفاية أو خبرة أو دراية، وأغلب الظن أن أكثرهم دخلوا في هذا الباب تملُّقاً للعصرية أو ت ملقا للحداثة حتى لا يقال عنهم إنهمتخلفون عن ركاب العصر، أكثرهم لا يمتلك أدوات الشعر الحقيق ، من لغة وثقافة ومعرفة كافية بأصول الإبداع الشعري وشروط القصيدة العربية الأصيلة، فاندفعوا يـ تخبطون في متاهة الشعر المحدث بكل أخطائهم اللغوية وقصورهم العروضي، واهمين أن لا ضرورة للقواعد والأصول والشروط في هذا النص الجديد من الشعر الوليد الفريد[3].

إن الحركة الشعرية الراهنة في الأردن، اليوم كما يرى صدوق ، شأنها شأن الحركات الشعرية في سائر أقطار العروبة، تندفع إلى طريق غائم غاشم لا نهاية له، بعد أن تسلل إلى الساحة كل من هبّ و دبّ، بغير قدمين، فاختلط الحابل و النابل، وأخذ الدخيل يزاحم الأصيل في غيبة شبه كاملة من النقد الخبير المسؤول والنقاد المؤهلين الجادين المخلصين[4].

---

(1) مقابلة شخصية أجريتها مع الشاعر بتاريخ 2007/11/4م.

(2) المرجع نفسه.

(3) مقابلة شخصية أجريتها مع الشاعر بتاريخ 2007/11/1م.

(4) المرجع نفسه.

شكل القصيدة:

وأما عن شكل القصيدة، فيرى صدوق أن الشعراء في الماضي يتحملون قسطا كبيرا من المسؤولية في هذا الركود والجمود، ذلك أنهم لم يقدموا للدارس والراوي والمتلقي إلا نوعا واحدا من الشعر شكلا ومضمونا رغم وجود نماذج نادرة ومحددة حاول فيها أصحابها من شعراء الماضي أن يتفلتوا من قيود القصيدة المتوارثة في الموضوع والنوع والشكل والوزن والأسلوب.

ويدلل صدوق على ذلك بقصيدة للشاعر العباسي "سلم الخاسر" وهو من شعراء القرن الثاني الهجري، قالها في مدح الخليفة (موسى الهادي)، ويحسب أنها كانت أول محاولة لكتابة ما سمي فيما بعد بـ "قصيدة التفعيلة الواحدة". فقد جاء كل بيت في تلك القصيدة على وزن "مستفعلن" واحدة، وهي التفعيلة التي يقوم عليها بحر الرجز.[1]

قال فيها:

موسى المطرْ
غيث بكرْ
وكم قدرْ
ثم انهمرْ
ألوى المررْ
ثم غفرْ
عدلُ السيرْ[2]

ويرى صدوق أن من محاولات التفلت من الموروث الشعري القديم ، في الشكل والوزن على وجه الخصوص، بروز عدد من الشعراء اتجهوا إلى الإكثار من النظم في البحور القصيرة وابتداع أوزان أخرى مثل بحر سمي بـ "المستطيل" وهو عكس "الطويل" وبحر سمي بـ "الممتد" وهو عكس "المديد" ، ثم جاء بعد ذلك الموشح

---

(1) مقابلة شخصية أجريتها مع الشاعر بتاريخ 2007/11/15م.

(2)القيرواني، ابن رشيقأبو العباس الحسن،العمدة في محاسن الشعر ونقده،ط 1،السعادة، 1955 م،ص185

الذي ابتدعه المقدم بن معافر " والزجل، والدوبيت، والمواليا .... وابتدعوا جديدا في القافية مثل "المسمط" و "المزدوج" الذي جاء به أبو العتاهية [1]. فصدوق كان على وعي تام بأن لا شيء ثابت في الأشكال الشعرية، هناك قواعد وأصول، و لكن هناك قيود وجمود. وقد كتب صدوق القصيدة الكلاسيكية في مطالع تجربته الشعرية وكتب قصيدة التفعيلة الواحدة في الوقت ذاته ، وقد نشرت قصائد له من هذا الشكل أو ذاك في الصحف المحلية وفي مجلة "الأديب" اللبنانية التي أخذت مكان ومكانة "الرسالة" التي كان يصدرها أحمد حسن الزيات[2] ، ثم مجلة (الآداب) التي كادت لا تنشر إلا قصيدة التفعيلة الواحدة.

لم يتعصب صدوق لشكل القصيدة القديم الموروث ولم يمتهنه أو يلغيه أو يتنكره طوال حياته الشعرية ، التي بدأها في النصف الأول من القرن الميلادي الماضي، إذ ظل عبر مسير ته الشعرية، يكتب الشعر وفق الشكل القديم الموروث عندما تدعوه دواعيه النفسية مثلما يكتب القصيدة المحدثة عندما يفرض عليه المناخ النفسي ذلك....[3].

كان صدوق ينتقل عفويا من القصيدة العمودية إلى قصيدة التفعيلة الواحدة كمن يخرج من فناء بيته إلى حديقة هذا البيت نفسه، فالشعر أولا وآخرا العمودي منه والتفعيلي يظل شعرا .... واللحظة الوجدانية، وكذلك المعاناة النفسية، هي التي تفرض وترها ومناخها وإطارها [4]؛ المهم عند ه أن لا تكون عملية الإفراغ أو الإبداع الشعري لحظة الكتابة متعمدة، أو مفتعلة.

وقد كتب صدوق في وقت مبكر جدا في الخمسينيات من القرن الماضي ما يسمونه في هذه الأيام بـ "قصيدة النثر"[5].

---

(1) القيرواني، ابن رشيق: أبو العباس الحسن، العمدة في محاسن الشعر ونقده.

(2) المرجع نفسه.

(3) المرجع نفسه.

(4) المرجع نفسه.

(5) المرجع نفسه .

وله مجموعة كاملة تضم الكثير من مثل هذه النصوص نشرت باسم "الحزن أخضر دائما" لكنه لا يدرجها تحت مسمى "قصيدة"، لأن "القصيدة"مصطلح فني تمخضت عنه العبقرية العربية الشاعرة في عصر ما يسمى بـ "الجاهلي"، ولهذا المصطلح أصوله وقواعده وشروطه وهي جميعا غير متوفرة في النص الذي يطلقون عليه جهلا، مسمى "قصيدة النثر" فصدوق ليس ضد هذا النص، لكنه ضد هذه التسمية له، لأنها غير علمية وغير دقيقة حيث أطلق عليها تسمية "شعر في نثر"[1] حيث يرى انه من العبث ومن التخلف والقصور الإبداعي ،أن نطلق على نص مبتدع في نهايات القرن العشرين الاسم أو المصطلح ذاته ،الذي كان يطلق على النص الشعري قبل زهاء سبعة عشر قرنا من الزمان.

مذهبه الشعري:

وفيما يتعلق بالمذاهب الشعرية، ومذهبه على وجه التحديد ،فإن صدوقا في الأصل ضد المذاهب الشعرية ،لأن المذهب الفني والمذاهب الشعرية في صميمها تعني تحديد الطريق الذي يمشي على هديه صاحبه الملتزم به ...وفي ذلك قتل للشعر وتزوير للعاطفة وإضعاف لقيمة الخيال الشعري[2].

يقول صدوق بأن بداياته وقراءاته الأولى في حدائق الشعر العربي، وغير العربي،عبر عصوره ومواسمه كلها ،هي التي كتبت الشعر –وما تزال تكتبه من داخله وبقلمه على أوراقه[3].

لقد قرأ صدوق شعر الجاهلية كله، وعبر إلى عمالقة الشعر وصعاليك الشعراء طوال الأجيال الماضية ، ويسكن في أعماقه القراء – طرفة بن العبد والشنفرى، ومالك بن الريب، وامرؤ القيس ، وأبو ذؤيب الهذلي وجرير، والأخطل، والفرزدق، والأحوص، وديك الجن ،وابن هانئ ، وابن زيدون، مثلما يسكنه البارودي، وأحمد شوقي، ومطران ومن بعدهم ، عمر أبو ريشة، وبشارة الخوري وإيليا أبو ماضي، وجبران خليل جبران، وإبراهيم طوقان، وفي زاوية أخرى ..يغفو هوميروس،

---

(1) القيرواني، ابن رشيق: أبو العباس الحسن، العمدة في محاسن الشعر ونقده.

(2) مقابلة شخصية مع الشاعر بتاريخ 2007/10/15م.

(3) المرجع نفسه.

وشكسبير، وشيلي، وكيتس، وبودلير،ورامبو، وباوند إليوت، ودانتي والخيام، وغيرهم من شعراء الأمم الأخرى.

إن الشاعر الحقيقي عند صدوق لا يفصل قصيدته عن معايير ومقاييس مذهبية فنية محددة عندما يعقد للكتابة . الشاعر يكتب والدارسون والنقاد هم من يتولى عملية تصنيف هذا المبدع أو "المنتج الشعري" في إطار المذاهب والنظريات السائدة والمتعارف[1] عليها مثل: الواقعية،والرمزية والبرناسية، السريالية.

وهو يرى أن كل هذه المذاهب أو المدارس الشعرية ليس من بينها مدرسة عربية واحدة، لقد وصلت كلها من خارج الحدود : من بريطانيا وفرنسا خصوصاً، ومن البلدان الغربية بشكل عام.

فالرومانسية الأوروبية حملها إلى شعرنا العربي المعاصر شعراء المهجر ومدرسة الديوان ومدرسة أبولو، وخل يل مطران (و الثقافة الفرنسية). والمذهب الواقعي بكل تفرعاته دخل شعرنا العربي المعاصر عن طريق الشعراء العرب الملتزمين حزبياً وعقائدياً، والمذهب الـ رمزي استورده الشعراء اللبنانيون من فرنسا، وكذلك المذهب السريالي الغامض وما تلاه وسيتلوه، كله أوروبي، غربي المنشأ والمصدر.

ولهذا يقول صدوق : "أنا عربي أكتب بالعربية روحاً ولغة، وأفيد من تجارب الآخرين ما استطعت إلى ذلك سبيلا، لكني أرفض أن أكون عبداً تابعاً لهـ م أو عبداً لمدارسهم ومذاهبهم، وليقل بي الدارسون والنقاد والكتبة بعد ذلك ما يقولون، وليصفني الدارسون في أي مذهب فني يشاؤون"[2].

موقف صدوق من حركة التأليف النقدي في ميدان الشعر العربي:

لقد تراكمت لدى راضي صدوق ملاحظات كثيرة حول الكتب والدراسات والمؤلفات التي تتناول الشعر والشعراء في القرن العشرين، ومن أهم هذه الملاحظات:

---

(1) مقابلة شخصية أجريتها مع الشاعر بتاريخ 2007/10/15م.

(2) مقابلة شخصية أجريتها مع الشاعر بتاريخ 2007/11/1م.

أ. الافتقار إلى رؤية شمولية نابعة من تصور متكامل لمجمل الحركة الشعرية المتطورة المستمرة في إطار السياق الثقافي العربي العام ،حتى أن المكتبة العربية تخلو تماماً من أي كتاب لباحث عربي يتناول مسيرة الشعر العربي المعاصر الشاملة، ومراحلها ورموزها وأعلامها بحيدة وتوازن وروح علمية خالصة[1].

ب. بروز ظاهرة التعصب القطري لدى بعض من الدارسين والباحثين والنقاد إلى حد الجناية في أحيان كثيرة على الأمانة العلمية الحقيقة الموضوعية بصورة أقرب ما تكون إلى نمط من "القبلية الأدبية"، ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة في كثير من الكتب والدراسات الأدبية التي يبدو مؤلفوها وكأن كلا منهم معني بإبراز موقع بلده على خريطة الشعر العربي العام[2].

ج. ثمة عديد من الكتب والدراسات التي تتناول الشعر العربي المعاصر أو بعضاً من فرسانه، تقوم على ذوقية انطباعية لدى مؤلفيها تستند إلى اندفاع عاطفي أو اعتبارات أيديولوجية أو معرفية خاصة تطغى على المعايير الأدبية الخالصة سواءأكان ذلك في تناولها حركة الشعر العربي الحديثة أو بعضاً من الشعراء أم في تقويمها آثارهم الإبداعية، وفي هذا السياق يمكن ملاحظة أن هناك شعراء برزوا في الصفوف الأولى ونالوا اهتماماً واسعاً من الدارسين نتيجة لهذه الاعتبارات، وقد لاحظ صدوق أن الشعراء المستقلين الذين نأوا بأنفسهم عن التحزب والتبعية و "الشللية" تعرضوا لعملية تعتيم مجحفة.

كما يلاحظ أن هناك شعراء نجحوا في أن يحققوا لأنفسهم حضوراً إعلامياً براقاً لا يتناسب وقيمتهم الفنية، وقد تحول ذلك في كثير من الأحيان إلى حضور أدبي غير موضوعي في بعض الدراسات والمؤلفات المتداولة[3].

---

(1) صدوق، ديوان الشعر العربي في القرن العشرين، ص9.

(2) المرجع نفسه، ص10.

(3) المرجع نفسه، ص10.

د. محاولة نفر من الدارسين إخضاع حركة الإبداع الشعري العربي المعاصرة للنظريات والمدارس الـ نقدية المستوردة، وتقويمهم هذه الحركة ومراحلها ورموزها وأعلامها وإيقاعها على أساس هذه النظريات[1].

ه. تركيز الباحثين والدارسين في أبحاثهم على بضعة أسماء بعينها في مجمل الشعراء العرب المعاصرين ، كما لو أن أصحاب هذه الأسماء وحدهم دون سواهم هم المتفوقون في مسيرة الشعر العربي المعاصر مع أن أكثرهم في ميزان التقويم النقدي العادل ليسـ وا كذلك.ويلاحظ في هذا السياق أن معظم الباحثين والدارسين يأخذون عن بعضهم بعضاً ويتداولون في مؤلفاتهم ودراساتهم عن حركـ ة الشعر العربي المعاصر، الأسماء ذاتها والمعلومات والنماذج الشعرية ذاتها بصورة أقرب إلى ما يشبه "تداعي الأفكار" دون أن يشعروا أنفسهم عناء البـ حث الجادوالإبحار في صميم هذه الحركة وسـ بـ ر أغوارها والسعي لإنصاف أولئك النفر من الشعراء المبدعين الذين لم ينالوا حقهم الوافي أو بعضاً من حقهم من البحث والدرس والاهتمام لأسباب عديدة ، ربما يكون منها ترفـ عهم عن تزلف النقاد والدارسين أو ميلهم إلى العزلة وزهدهم بالأضواء[2].

أكثر الكتب والدراسات المتداولة حول الشعر العربي المعاصر ، هي في الأصل رسائل جامعية أعدها أصحابها لنيل درجات علمية من جامعتهم وفق شروط ومناهج بحثية اقتضتها طبيعة هذه الرسائل ، ثم دفعوا بها إلى الطبع بنصوصها الأصلية دون نـ ظر أو تعديل فيها، أو إضافة إليها مما تقتضيه طبيعة البحوث والدراسات الأدبية الحرة الشاملة، وقد تبيّن أن كثيراً من الدراساتالرّسائل الجامعية في الأصل "ينطوي على مجاملة – قد تقترب من التزلف أحياناً - من أصحابها للأساتذة المشرفين على هذه الرسائل أو أعضاء اللجان الفاحصة[3].

---

(1) صدوق، ديوان الشعر العربي في القرن العشرين، ص11.

(2) المرجع نفسه، ص11.

(3) المرجع نفسه، ص12.

ز. بعض من هذه الكتب والدراسات ينطوي على أغاليط مستهجنة تتم على قصور في إلمام أصحابها بمبادئ نحو اللغة العربية وصرفها وقواعد الإملاء وأصول العروض، بصورة لا تشجع على الاطمئنان إلى كفايتهم للاضطلاع بهذا النوع من الدراسات الأدبية[1].

ح. وفي حقيقة الأمر إن هذه الملاحظات كانت ماثلة في ذاكرة صدوق عندما عزم على التوثيق للشعراء في القرن العشرين مع إدراكه جسامة هذا العمل الموسوعي الشاق الذي يفترض أن ينهض به فريق من المتخصصين، و لم يغب عن صدوق ما يتطلبه القيام بهذا العمل الجليل من إحاطة بمجمل حركة الشعر العربي في هذا القرن من الزمان ومتابعة حقيقة وجادة لمراحلها وتطورها وأعلامها ورموزها وفرسانها، بداية من مرحلة الإحياء التي عادت بالشعر العربي إلى منابعه الأصلية الصافية وحررته من الـ جمود والصناعة المتكلفة ومروراً بمرحلة التجديد الأول التي حافظت على الشكل الموروث للقصيدة العربية مع الانفتاح الممدود على آفاق الآداب الغربية والإفادة من أساليبها وعبوراً بالاتجاه الإبداعي الجديد الذي نقل الشعر العربي من أغراضه الاتباعية القديمة إلى الأغراض الإبداعية الجديدة، وشكل إرهاصا بتطور جذري عميق مهد للمذهب الرومانسي الذي بشرت به مدرسة الديوان واحتضنته من بعدها جماعة أبولو التي دعت إلى "سمو الشعر العربي وتوجيه الشعراء توجيهاً شريفاً ومناصرة النهضات الفنية في عالم اللغة والابتكار في الأساليب والمعاني ثـ م انتهاء بحركة الشعر الحر التي ظهرت في أواخر الأربعينيات، وتبلورت في الخمسينيات من هذا القرن وما تخللها وما تلاها من اتجاهات ومدارس تتراوح بين ما يمكن تسميته بـ "السلفية الجديدة"الرومانسية وما اصطلح على تسميته بـ "التخطي والتجاوز" مع مواكبة ما تقذفه المطا بع إلى يومنا هذا من نتاج الأصوات الشعرية الطالعة في مختلف أرجاء الوطن العربي الكبير[2].

---

(1) صدوق، ديوان الشعر العربي في القرن العشرين، ص13.

(2) المرجع نفسه، ص12.

وصدوقإنما يأتي بهذه الملاحظات لأنه ، عاش قريباً من الحركة الشعرية العربية المعاصرة، وحافظ على اقترابه منها منذ مطلع الخمسينيات حتى الوقت الحاضر: قارئاً متذوقاً ومشاركاً في إنتاج الشعر وصحفياً وإعلامياً قريباً من صميم حركة النشر والاتصال الجماهيري في عديد من البلدان العربية والأجنبية[1].

رأيه في حركة التجديد والمجددين في القرن العشرين:

يعد راضي صد وق صاحب رؤية في التجديد والمجددين، ويظهر ذلك من خلال أعماله التي تشتمل عناصر رؤيته في التجديد الشعري، من مثل كتابه "هوامش في الفكر والأدب" وكتابه "نظرات في الأدب السعودي" وموسوعته "ديوان الشعر العربي في القرن العشرين " وكتابهشعّراء فلسطين في القرن العشرين " وكثير من محاضراته ومقابلاته الصحفية.

وقد تحدث عن حركة التجديد هذه حيث قال : إن حركة التجديد الشعري في هذا القرن تختلف اختلافاً جوهرياً عن حركة التجديد الشعري في زهو العصر العباسي، فالتجديد أيام العباسيين انطلق من موقف قوة سياسية وأدبية وثقافية في زمن كان فيه السلطان العربي الإسلامي هو الأول والنافذ وصاحب السطوة بين الأمم والشعوب .

وكان فرسان التجديد من الشعراء العمالقة الأعلام الذي يدركون عظمة الدولة التي تُظلهم ويعرفون سلطانها على الأمم، إضافة إلى اتصالهم الوثيق بمنابع التراث الشعري والأدبي الذي يمثلونه، ولـ هذا كانوا يقدمون على التجديد والخوض في مغامرته بثقة مطلقة، لا يخشون أن يجرفهم تيار وافد أو تغريهم بضاعة مستوردة، على عكس حركة التجديد الشعري العربي في عاصرنا الراهن، فهي لا تملك أي عنصر من عناصر القوة اللازمة لإبداع نمط شعري خالص من الهُجنة، والنَّحل، والشوائب التي تشوّه ذاتيّته، وتلغي شخصيته كنوع أدبي عربي مميَّز[2].

وهو يرى أن شعراءنا من روّاد التجديد ومُجترحيه ومغامريه، طوال القرن العشرين، ليس لديهم أو بصورة أدق ليس لدى أكثرهم إلا النيّات الطيبة والأماني

---

(1) صدوق، ديوان الشعر العربي في القرن العشرين، ص12.

(2) صدوق، راضي، مسيرة الشعر العربي في القرن العشرين، ندوة الشيخ سعود المريبض، الرياض،2001م، ص2.

والأحلام الوردية في تحقيق التجديد أو قدر منه لشعرنا العربي في عالم يموج بالتغيير في العادات والتقاليد والدول والشعوب، ويمور بالمنجزات المذهلة في الاختراع والاكتشاف والتكنولوجيا، مثلما يمور بشتى التيارات والمذاهب الفكرية والفلسفية والأدبية التي تطرأ وتزدهر وتتلاشى، يقوم بعضها على أنقاض بعض.

ويؤكد صدوق أنه في الماضي كان التجديد ينطلق من قاعدة السيادة في السياسة والنفوذ والأدب والفكر والثقافة، وفي الوقت الحاضر تنشأ حركات التجديد الشعري عندنا في مناخ التبعية المطلقة لقوى خارجية أكبر من إخلاصنا ونيّاتنا الطيبة وقدراتنا[1].

وأما عن محاولة الخروج بالشعر العربي من دائرة القصيدة العمودية التقليدية المتوارثة والمتداولة عبر القرون والأجيال الماضية، فهناك من ينسب الريادة في هذا المجال إلى الشعراء العراقيين نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وشاذل طاقة وبلندر الحيدري. إذ تقول نازك الملائكة إنها هي التي سبقت هؤلاء جميعاً وكانت أول من كتب قصيدة "التفعيلة" عندما نشرت قصيدتها "الكوليرا" من الوزن المتدارك (الخبب) في أواخر عام 1947م، وبعد ذلك بأسبوعين صدر ديوان السياب بعنوان "أزهار ذابلة" وفيه قصيدة بعنوان هل كان حباً " من بحر الرمل علَّق عليها في الحاشية بأنها "من الشعر المختلف الأوزان والقوافي[2].

ويرى صدوق أن هذا الكلام ليس دقيقاً ولا يؤخذ به في المعايير المنهجية. فالتجديد بصورة عامة، لا يأتي على يد واحدة بمفردها، بل يبدأ في العادة نتيجة جملة من العوامل والظروف، فيشكل إرهاصاتٍ وبوادر تأتي وتبزغ وتتلامح من هنا وهناك، ثم يأتي الدأب والمتابعة والمواصلة والتواصل، إلى أن تنضج وتصبح ظاهرة عامّة، وهذا هو تماماً ما حصل بالنسبة لقصيدة التفعيلة في الشعر العربي في القرن العشرين،فقد سبقت هذا النمط أو الشكل الشعري محاولات عديدة، على أيدي نخبة من المبدعين العرب في غير قطر عربي، لكسر حدة البيتية المقفلة " في القصيدة العمودية الموروثة، فظهرت قصائد لميخائيل نعيمة (في المهجر) وإسعاف

(1) صدوق، مسيرة الشعر العربي في القرن العشرين، ص3.

(2) المرجع نفسه ، ص4.

النشاشيبي (في فلسطين)، كما سعى أمين الريحاني إلى الخروج بالقصيدة العربية من مقوماتها وشروطها الأساسية (العروض الخليلي، القافية والرويّ) وكتابة نثر فني ينطوي على شعرية داخل النص .. ثم تطوّرت هذه البدايات إلى شكل "قصيدة التفعيلة".

ويشير صدوق إلى أنه وجد قصيدة على هذا الشكل باللغة العربية الفصحى للشاعر(بيرم) التونسي، نشرها عام 1936م في صحيفة "الزمان" بتونس، وإن الشاعر والمسرحي الحضرمي المتمصّر (علي أحمد باكثير)، نظم مسرحيته "أخناتون ونفرتيتي" سنة 1943م على البحر المتقارب على طريقة الشعر الحر، وأطلق عليه اسم "الشعر المرسل".وفي الأردن فإن عرار (مصطفى وهبي التل) كتب قصيدة من الشعر الحر سنة 1943م المنشورة في ديوانه بعنوان "متى". وفي السودان أيضا كتب الشاعر السوداني (محمد أحمد محجوب) قصيدة من الشعر الحر سنة 1945م.

وعليه فان صدوق يرى أن قصيدة التفعيلة قد نضجت وشكّلت تياراً إبداعياً جديداً شق مجراه بوعي وثبات على أيدي نخبة من شعراء العراق (نازك الملائكة، والسياب، وشاذل طاقة، والبياتي، وبلند الحيدري) في أواخر الأربعينيات الميلادية، ثم شاعت الموجة عموم الأقطار العربية بترتب زمني وفق ما سمحت به المناخات الأدبية والثقافية لكل قطر، حتى تشكل في النهاية تيار عام واحد جديد[1].

ويمكن أن أجمل ملاحظات صدوق حول حركة التجديد في الشعر العربي على النحو الآتي:

أ. يرى صدوق، أن أكثر محاولات التجديد الشعري العربي في هذا القرن، صدقاً مع النفس والتزاماً بالذات وإخلاصاً للغاية، هي محاولة مدرسة الإحياء بزعامة محمود سامي البارودي . ففي تلك المرحلة اتجه المجددون إلى العودة بالشعر العربي إلى أصوله الأولى وتجاهلوا النماذج الأوروبية تماماً، وقد استطاع البارودي أن يعود بالشعر إلى منابعه الأولى الصافية، وحرَّره من الركود والجمود، فصاغ بعضاً من تجاربه الخاصة وسجّل بعض الأحداث

(1) صدوق، مسيرة الشعر العربي في القرن العشرين، ص3.

السياسية في زمانه بشعره، كما وصف الطبيعة حوله والآثار والحياة في مصر، فكان النهج الذي سلكه منسجماً تمام الانسجام مع طبيعة المرحلة وشرف الغاية.

ب. يؤكد صدوق، أن حركات التجديد التي جاءت بعد محمود سامي البارودي وزملائه، بداية من مدرسة الديوان التي قادها العقاد وشكري والمازني، ودعت إلى نبذ الأفكار التي تقوم عليها القصيدة العربية التقليدية .. ومروراً بشعراء المهجر من أعضاء الرابطة القلمية (في أمريكا الشمالية) والعصبة الأندلسية (في أمريكا الجنوبية) الذين دعوا إلى الابتكار في الأساليب والمعاني، ثم جماعة أبولو (1932م) برئاسة الدكتور أحمد زكي أبو شادي، التي حددت أغراضها بالسمو بالشعر العربي وتوجيه الشعراء توجيهاً شريفاً وترقية مستوى الشعراء أدبياً واجتماعياً، والدفاع عن مصالحهم وكرامتهم، ومناصرة النهضات الفنية في عالم الشعر، ثم شعراء التيار الواقعي الذين ظهروا مع نهاية الحرب العالمية الثانية، ونهاية رواد ما اصطلح على تسميته بالشعر الحر والقصيدة الحداثية وقصيدة النثر ... نقول إن جميع حركات التجديد هذكما يرى صدوق، كانت أسيرة للتأثيرات الأوروبية، خاضعة لمعطياتها، وتحتذي النموذج الشعري الأوروبي احتذاء التابع للسيد[1].

فالرومانطيقية الأوروبية دخلت شعرنا العربي المعاصر على أيدي شعراء المهجر والديوان وأبولو والمذهب الواقعي بكل تفرعاته دخل شعرنا العربي المعاصر عن طريق الشعراء العرب الملتزمين حزبياً وسياسياً . والمذهب الرمزي دخل شعرنا العربي عن طريق بعض شعراء لبنان أمثال : بشر فارس وأديب مظهر وصلاح الأسير وسعيد عقل وإلياس أبو شبكة وكلهم تلاميذ الثقافة الفرنسية ، والسريالية الغامضة التي أسَّسها الفرنسي أندريه بريتون ، وقد دخلت شعرنا العربي عن طريق أدونيس وأنسي الحاج وبعض شعراء جماعة مجلة "شعر" اللبنانية.وفي هذا السياق نستطيع أن نجد قصائد كثيرة لبعض أعلام التجديد في الشعر العربي

(1) صدوق، مسيرة الشعر العربي في القرن العشرين، ص3.

المعاصر مثل السياب وخليل حاوي وأدونيس تكاد تكون مقتبسة أو منسوخة حرفياً، شكلاً ومضموناً من قصائد لبعض أعلام الشعر الإنجليزي والشعر الفرنسي.

وقد أشار الشاعر عبدالرحمن شكري إلى أن زميله إبراهيم المازني قد نقل حرفياً عدة قصائد لشعراء إنجليز صاغها بالعربية ونسبها لنفسه، إذ كتب شكري في مقدمة ديوانه الخامس عام 1918م يقول: "لفتني أديب إلى أن قصيدة المازني التي عنوانها "الشاعر المحتضر" مأخوذة عن قصيدة "أدوني" للشاعر شيللي الإنجليزي، كما لفتني أديب آخر إلى قصيدة المازني التي عنوانها "قبر الشاعر" وهي منقولة عن قصيدة هايني الألماني، ولفتني آخر إلى قصيدة المازني "فتى في سباق الموت" وهي للشاعر هود الإنجليزي ".. ثم عدد شكري قصائد أخرى للمازني أخذها عن شعراء إنجليز ونسبها لنفسه .وكتب شكري مقالاً آخر نشرته مجلة المقتطف، يواصل فيه تعريته للمازني قائلاً : "اطلعت على مقالات المازني في ابن الرومي والجزء الأكبر منها ليس في ابن الرومي بل في العبقرية و العظماء..فإذا أجزاء كبيرة منها مأخوذة بعضها من كتاب عنوانه "شكسبير"، تأليف الشاعر الفرنسي فيكتور هوجو، وبعضها الآخر من مقالات توماس كارليل الإنجليزي"[1].

أما بدر شاكر السياب فقد اعترف بنفسه بتأثره الكبير بـ الشاعر الإنجليزي تإليوت، وتأثيره أيضاً على غيره من الشعراء العرب المحدثين . ففي المحاضرة التي ألقاها السياب في مؤتمر روما حول الأدب العربي المعاصر، والمنعقد في تشرين الأول أكتوبر عام 1961م، يقول: "لا بد لنا من الإشارة إلى ما كان للشاعر الإنجليزي الكبير ت.إس.إليوت، وخاصة في قصيدته "الأرض الخراب" من أثر كبير على الشعر الملتزم في الأدب العربي الحديث الشيوعي منه وغير الشيوعي، والرديء منه والجيد على السواء ... وهناك فئة من الشعراء العرب الشباب قرأت إليوت وفهمته وتأثرت بروحه وتكتيكه على السواء ". وما لم يقله السياب أن قصيدته الشهيرة "أنشودة المطر" وكذلك قصيدته "المومس العمياء" كتبها طبق الأصل على غرار قصيدتين مشهورتين للشاعر ت.إس.إليوت[2].

---

(1) صدوق، مسيرة الشعر العربي في القرن العشرين، ص4.

(2) المرجع نفسه، ص5.

أما الشاعر خليل حاوي فهو في شعره، روحاً وبناءً، يكاد يكون صورة طبق الأصل عن الشاعر إدجار آلان بو، وفي بعض قصائده الأخرى يتحوّل إلى صورة من الشاعر بودلير.

أما بالنسبة للشاعر علي أحمد سعيد (أدونيس)، فيرى صدوق انه قد اعترف بتأثره الكبير ببعض الشعراء الفرنسيين حيث يصرح في مقال بعنوان "سان جون بيرس وأنا"، نشره في مجلة "مواقف" قائلاً: أعلن أنني أتأثر بكل ما يجري في العالم، والشعر العظيم هواء العالم . كل من يتنفس يتأثر". وهذا في رأي صدوق كلام جميل لا اعتراض عليه لو أن أدونيس تأثر بالشعر الإنساني العظيم فقط، لكن الحقيقة أنه في جميع قصائده الحداثية وتنظيراته في الحداثة، كان عالة على شعراء الحداثة الفرنسيين، اقتبس ونقل وأخذ ونسخ عنهم قصائدهم وتنظيراتهم الفكرية والنقدية، ونسبها إلى نفسه وروَّج لها في محيط الشعر العربي المحدث، دون أدنى إشارة إلى أصحابها ومصادرها[1].

وقد تصدَّى شاعر ودارس مقيم في المغرب الشقيق، كان من تلاميذ أدونيس ومريديه الخُلَّص، لكشف أستاذه في كتاب كامل بعنوان "أدونيس منتحلاً" نشره عام 1990م في الدار البيضاء، وقد تناول كاظم جهاد فيه الانتحال الفكري والانتحال الشعري وانتحال الشكل الشعري عند أدونيس متهماً إياه بالسرقة من الشاعر الفرنسي ميشونيك والشاعر بونفوا، كما اتهمه باستقاء تنظيراته من طروحات فلسفية وفكرية لكل من هايدجر واكتافيوباث وصلاح ستيتية وبونو .كذلك كشف الشاعر والباحث العراقي سامي مهدي نصوصا عديدة لأدونيس نشرها في كتاب كامل بعنوان أفق الحداثة وحداثة الحداثة، وقد عمد هذا الباحث في كتابه إلى مقارنة نصوص عديدة لأدونيس بنصوص فرنسية سطا عليها أدونيس وصاغها بالعربية بأسلوبه الخاص. كما ورد في كتاب سامي مهدي: "إن أدونيس كان عيالاً في مفاهيمه على التراث السوريالي ولا سيما تراث رامبو الأب الشرعي للسوريالية وبريتون معلّمها الأول، حتى أنك لن تجد بين تلك المفاهيم شيئاً من خارج ذلك التِّحداث. وجليّ أن هذه المفاهيم التي تشكّل جوهر السوريالية وأهم عناصر تقنياتها،

(1) صدوق، مسيرة الشعر العربي في القرن العشرين، ص6.

هي في الوقت ذاته، العمود الفقري الذي تستند إليه الحداثة الأدونيسية، فما من مقال نظري لأدونيس، وما من حديث صحفي إلا وتردِّد فيه شيء، يزيد أو ينقص منهـا .

وإذا أضفنا إلى ذلك ما يريده أدونيس من أفكار الـرفض، والانقطـاع، والتمـرد، والهدم، والتجاوز، والمغامرة، واستقصاء المجهول، ورفض ما هو عقلاني ومنطقي، وتحرير المكبوت، وتسمية اللامـسمَّى، والاختفـاء بالحـب والجـسد، وجـدنا أن الأدونيسية ليست شيئاً سوى السوريالية[1].

أ. ويؤكد صدوق أن بعض الدارسين والنقاد اليساريين أمثال : محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس (ناجي علوش في مقدمة ديوان السياب) يذهبون إلى أن الشعر الحر نتاج ما قام به المذهب اليساري من نشاط اجتماعي وسياسي أدى إلى بلورته وإيجاده لكنه لا يشاطرهم هذا الرأي بجملته، بل يوافق علـى أن حركة الشعر العربي حظيت بحضانة أكثر من جهة أجنبية لأهداف متباينة[2].

ب. يشير صدوق إلى إن حركات التجديد الشعري العربي المتـأخرة، ويقـصد جماعة الشعر المحدثين انطلقوا في مشروعهم التجديدي من منطلق رفـض الواقع الشعري العربي بكل أشكاله، بمضمونه وفكره وقيمه الثقافية، وبنائـه التعبيري، وفي هذا السياق دعوا إلى الانسلاخ عن التراث العربـي جملـة وتفصيلاً، تحت ستار حجة العيش في الحاضر والنظر إلى المـستقبل . وقـد تزعم هذا الاتجاه يوسف الخال وأدونيس في الدعوة إلـى إلغـاء القـصيدة العربية الأصلية شكلاً ومضموناً . وتطورت دعوته إلى تأسيس كتابة جديـدة وليس إلى تأسيس قصيدة جديدة فقط، بمعنى أنه يدعو إلى تحطـيم الحـاجز الفني بين الشعر والنثر في الأدب العربي، والقضاء على ثنائية الكتابة الفنية (الشعر والنثر)[3].

ج. يرى صدوق أن دهاقنة هذا التيار الجديد (في مقدمتهم الخـال وأدونـيس) توسعوا في نطاق دعواهم لما أسموه بالحركة الإبداعية التجديديـة ليـشملوا

---

(1) صدوق، مسيرة الشعر العربي في القرن العشرين، ص7.

(2) المرجع نفسه، ص8.

(3) المرجع نفسه ص 9.

الدين، وقد دعا أدونيس ويوسف الخال علانية إلى رفض كل موروث سلفي بمفهومه الديني والسياسي ومـ عارضة كل مؤسسة سلفية دينية كانت أم أدبية...

د. ويؤكد صدوق أن أدونيس الذي يرفض كل موروث سلفي يعلن في دعواه باسم الإبداع ثورته الشعواء ، أنه يحرص على الارتباط بكل الحركات الشعوبية التي لعبت دوراً معارضاً مدمّراً في التاريخ العربي الإسلامي، ويعد نفسه امتداداً لهذه الحركات، فهو يجد مثله الأعلى في القرامطة والإسماعيلية الباطنية والحركات الصوفية الرافضة للواقع، وقد بلغ من تأثر أدونيس بالاتجاه الصوفي أن سمّى مجلته "مواقف" نسبة إلى كتاب المواقف " للنفَّري"، وسمى ديواناً من دواوينه "مفرد بصيغة الجمع"نسبة إلى موضوع الليلة الثلاثين في كتاب "الإمتاع والمؤانسة" للتوحيدي، وهو بعنوان "مفرد بصيغة الجمع". ثم أن قصيدة أدونيس التي تحمل اسم المفرد بصيغة الجمع " كتبها مقلداً للشاعر الفرنسي السوريالي أبولينير في قصيدته "منطقة أرضية"[1].

ه. يرى صدوقومن خلال قراءته لمئات القصائد للشعراء الذين حاولوا التجديد أو غرقوا في محيط الجديد، في مختلف المراحل التي عبرتها مسيرة الشعر العربي في القرن العشرين، أن القلة القليلة منهم كانت تُقدم على فعل التجديد وهي تمتلك الأدوات تؤهلها لخوض هذه التجربة، وعن اقتناع بضرورة التجديد وإخلاص للشعر والأمة، لكن الكثرة الكاثرة من شعراء الشعر الحر والحداثي، إنما دخلوا في هذا الباب تملّقاً للعصرية أو تملّقاً للحداثة، حتى لا يقال عنهم أنهم متخلفون عن ركاب العصر، وهناك فئة أخرى لم تقو على امتلاك أدوات الشعر الحقيقي من لغة وثقافة ومعرفة كافية بأصول الإبداع الشعري وشروط القصيدة العربية الأصيلة، فاندفعوا يـ تخبطون في متاهة الشعر المحدث بكل أخطائهم اللغوية وقصورهم وضحالتهم الثقافية[2].

---

(1) صدوق، مسيرة الشعر العربي في القرن العشرين، ص7.

(2) المرجع نفسه، ص8.

ثم يؤكد صدوق أن جميع تجارب التجديد والحداثة التي مورست وما تزال تمارس إلى اليوم على ساحتنا الشعرية، لم تهتدِ حتى هذا التاريخ إلى شكل فني للقصيدة المنشودة أو النص الشعري المنشود الذي يمكن أن يصطلح عليه الشعراء والنقاد، رغم مرور أكثر من نصف قرن من الزمان على هذه التجارب التي أرهقت الشعراء والدارسين والقراء.

الفصل الثاني

الدراسة الموضوعية

1.2 البعد الوطني:

وردت لفظة الوطن في تعريفات متعددة منها "الوطن هو الذي تقيم فيه ،وهو منزل الإنسان ومحله ، وأوطنت الأرض ووطنتها توطينا واستوطنتها أي اتخذت وطنا "."ووطن بالمكان وأوطن: أقام "[1].

وجاءت أيضا أن الوطن : "هو المكان الذي يقيم المرفيه ويألفه "،ووطن المكان أخذه وطنا يقيم فيه ووطن نفسه على كذا ،أي مهدها له وحملها عليه، وأوطنه اتخذه وطنا. والوطن "هو المنزل الذي تقيم فيه"[2].

ويقصد بالوطنية حب الوطن والشعور بارتباط نحوه ، وهي أيضا ارتباط الفرد بقطعة من الأرض تعرف باسم الوطن[3].

أما الاتجاه الوطني في الشعر فهو المنحى الذي يعرض فيه الشعر شؤون الوطن والمواطنين فيدعو إلى حب الوطن وحمايته ، والحفاظ على حقوق المواطن ورد كيد العدو ، وحفظ عهد الصديق، ويعكس مواقف النضال والقوة والعزة ضد المستعمرين، ويعالج مواطن الضعف والتقصير، ويدافع عن الجماهير وحقوقها وتراثها، وينافح عن مقدساتها وحريتها واستقلالها بجرأة وعناد من غير أن يؤثر فيه ترغيب أو ترهيب ، وهو ينبعث من عاطفة صادقة وشعور داخلي بحيث تلقاه يتفاعل مع القضايا ويترجم الأحداث والتطورات التي تحدث في بيئته وتلك التي تحصل في محيطه[4].

---

(1) ابن منظور:لسان العرب، تقديم الشيخ عبد الله العلايلي ، إعداد وتصنيف يوسف خياط، المجلد الثالث ، دار لسان العرب، بيروت،ص949

(2) رضا، أحمد: معجم متن اللغة،المجلد الخامس،دار مكتبة الحياة، بيروت،1960م، ص777

(3) الحصري، ساطع آزاء وأحاديث في الوطنية والقومية ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984، ص9.

(4) عطوات، محمد : الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر من 1918 إلى 1968، ط1، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1998، ص257.

والشاعر الوطني هو الذي يلتزم تصوير آلام أمته وآمالها ،ويتغنى بأفراحها وأتراحها، يدافع عن وطنه ويتمسك بقوميته ويعبر عن مواقفه الثابتة بصراحة وشجاعة ولا يثنيه عن سبيله تهديد أو وعيد، ويبدو في هذا كله الالتحام الصادق بين الطرفين الشاعر ووطنه، بحيث يكون الشاعر هو الثائر الرائد[1].

لقد أصبحت قضية الوطن تملك على الشاعر كل لحظات حياته، وأصبحت كالدم في جسده فلم يعد بحاجة إلى مناسبة حتى يتحدث عن هذا الوطن ، ففي كل لحظة يتذكر هذا الوطن ويتحدث عن قضاياه، إنيعيش قضيته في كل نبضة من نبضات قلبه، ويرى أن واجبه يملي عليه أن يكون صوت الشعب ، ولذا أصبح الشاعر لا يمس القضايا من الخارج بل تعمق في تلمس الجراح، وصار يعالجها من خلال حمله فكرا تحوليا يستبدل الواقع الرديء [2].

ولعل من المواضيع والمضامين الوطنية التي دارتحولها قصائد الشعراء الأردنيين، العودة إلى فلسطين وحب الوطن والأرض وتحليل أسباب النكبة ، والتحدث عن المصائب والمجازر التي انزلها الاحتلال الصهيوني بالأهل ، وعن صمود المواطنين ومقاومتهم وعن رفضهم الأمر الواقع ، وعن هدم المنازل أو إجلائها، وهدم القرى، والدعوة إلى تحرير الأرض[3].

ومن الشعراء الذين تحدثوا عن الجانب الوطني في قصائدهم الشاعر راضي صدوق ؛ وذلك لارتباطه الوثيق بالقضية الفلسطينية وبجهاد الشعب الفلسطيني المناضل لاسترداد حقه السليب ، ففلسطين منذ بداية القرن وحتى الآن وهي تعيش ظروفاً مأساوية عظيمة ومراحل نضالية مختلفة.

لقد كشف صدوق من خلال شعره عن اعتزازه وحبه لوطنه، و دعا لرفع الظلم والأذى عنه. إذ يقول في قصيدة "البراكين أفاقت":

نحنُ أشبال فلسطين هنا

لم نزلْ نصغي كهولاً وشباباً

---

(1) عطوات، الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، ص258.

(2) النجار، التجديد في الشعر الأردني، ص220.

(3) المرجع نفسه، ص221.

نرقب الصورَ لنمضي جحـــفلاً

بارق الومضةِ ينصب انصبابـــا

إن دعتْ ((يافا)) إلى الموت نكن

كلنا يا صاحِ للموتِ الجوابـــا[1]

ويتحدث صدوق عن صفات الشعب الفلسطيني المناضـــل جامعـــاً بـــين الأنـــا والجماعة،لا سيما أنفرد من أبناء الشعب الذي نفض عنه قتام اليـــأس، وغبـــار الاستكانة،ورفع رأسه وصوته عالياً منتفضاً من الجراح والدماء،لينهض واقفاً مـــن جديد على طريق البطولة والصمود والمواجهـــة، منطلقـــاً إلـــى اســـتعادة حقوقـــه المغتصبة.

يقول صدوق:

نحن في كل ظلامٍ مشعلٌ

يهتك الليل ويجتاحُ السحابا

من خيام الذل فجرنا المنى

وأحلناها رحيقـــاً وشرابـــا

وسقينا الأرضَ من أكبادنا

وملأناها جراحات خضابـــــا

ورزايا الدهرِ لما أظلمت

شحذتْ أضلعنا الحرَّى حرابـــا

وفلسطين وإن ضاعتْ سدىً

نحن نبنيها حصوناً وقبابـــــا

لم نهنْ حتى يُوارى قدسها

سوف نعلوها نجوداً وهضابـــاً

الدمُ الحرُّ تلظَّى هادراً

زلزل الروح جنوناً واصطخابا

---

(1) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص19

البراكينُ أفاقت، لن ترى

في فضاء الله صرحاً أو يبابـــا

يا فلسطينُ أنظرينا نلتظي

قد صهرنا الأحرفَ الحمرَ كتابا[1]

وفي قصيدة فلسطين ويهوذا الثاني "يصور صدوق حالـــة الـــشعب الفلـــسطيني الغريب المشرد من خلال تجربته مع الغربة والتشرد، فيصف انعكاسات الغربة على ذاته، روحاً وجسداً ومكاناً ومكانة في الحياة وبين الناس، فالليالي السود تصفعه ..... بل أن الليل ينكره، فتسمعه يخاطب وطنه ويسأله هل ما زلت تذكرني؟! على ســـبيل الاستفهام الإنكاري:

أنامُ على شفير الجُرح مجدولاً بلا كفنِ

وفي عيني تخفق أغنيات الشوق والشجنِ

أسائل في متيه الأرض: أين غدوت يا وطني؟

وتصفعني الليالي السودُ..... حتى الليل أنكرني؟

أفيءُ إليك يا وطني.....فهل ما زلت تذكرني؟ [2]

ويتغنى صدوق بوطنه الذي يضفي عليه أسمى النعـــوت ، فهـــو أرض الـــسلام والهدى، الأرض التي يعانق بها الهلال الصلـ يبـتجسيداً لروح التسامح الـــديني ، إذ يقول:

سلاماً سلاماً لأرض السلام وأرض الخلودِ ومهد الهدى

يعانق فيها الهلالُ الصليبَ ويحضنُ عيسى بها أحمدا

ويكتب فيها الدم المستباح على جبهة القدس أسمى نِدا

ألا أيها المؤمنونَ سلاماً..... سلاماً إلى أن يحين الردى

تسامت على الجرح أسطورةً

أذلَّ أباها حرابَ العدا [3]

---

(1) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص20.

(2) المرجع نفسه، ص 65.

(3) المرجع نفسه، ص83.

ويحث صدوق الشعب الفلسطيني على الجهاد والنضال، وبث الروح القتالية في نفوس الفلسطينيين ليرفعوا راية الوطن المحرر ، مستلهمين البطولة والشجاعة والفداء من جراح وطنهم الحبيب السليب،التي لا تنجب إلا الرجال والبطولة والنصر. يقول في قصيدته:

فلسطينُ هذا ربيعُ الضياء
تبسَّم في حالكات الظلمْ
أطل على الكون نيسانهُ
وقد كان أسطورةً في العدمْ
طلعنا من الليل نوراً وناراً
وأنشودة من كفاح ودمْ
وسوف نُسطرُ عبر المدى
ملاحم لم يبتدعها قلمْ
ونرفع فوق جبين الذُرى
على قمم المجدِ أسمى علمْ
لك المجد يا تربةً لم تزلْ
على الدهر تُنجبُ غلب الرجالِ
إذا انحسر الفجرُ عن أرضنا
وغُيب في حالكات الليالي..
فإنّا سنقشع عنه الظلام
ونسقيه من شفراتِ النضالِ
ونشعله جذوةً من لظىً
توهج في غمراتِ النضالِ..
فجرحكِ يا أمُّ ميلادُنا
ولن يُنجبَ الجرحُ إلا المعالي [1]

---

(1) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص15-16.

ويصور صدوق أساليب اليهود وممارستهم الرامية إلى تهويد الـــشعب والـــبلاد، وطردهم من ديارهم، وتهجيرهم إلى أنحاء العالم.

ثم يلتقط مشهداً من ممارسات اليهود ضد الشعب الفلسطيني وهدمهم منازلهم، إذ يرسم لنا صورة إجلاء عائلة عن بيتهالقوة، حيث قعد عساكر اليهود في مكتبته م، يسكرون على أوراقهم، ساخرين مستهزئين بالدار وأهلها. يقول:

ستظلُ الكاساتُ تدور
هذا زمن الري
أطفئ في أمعائك نار العطشِ التاريخيّ
الساعةَ تشربُ في بيتي
الساعة تمضغ أعصابي... تطعنني... تسرقني
تصنعُ لي موتي
لكن غداً يومٌ آخر
ستظلُ الكاساتُ تدور
ويظل الزمنُ المطعون يدور
بيتي قد يصبح بيتك
موتي... لا بدَّ... غداً يصنع موتك!
مزق أوراقي وحروفي
واعصر أحداق الأطفال خمور
إشربْ.. إشربْ... حتى العيّ
هذا زمن الري[1].

ويتحدث صدوق عن الممارسات الصهيونية التي تجسدها الوســائل والأســاليب القمعية التي ارتكبها الاحتلال الصهيوني ضد العرب في الأرض المحتلة، هــادفين

(1) صدوق، ديوان بقايا قصة الإنسان، ص30-31.

إلى تحطيم إنسانية الإنسانعلى أرضه، وتجريده من مثله وقيمه وتراثه واقتلاعه من أرضه وبلده. [1] يقول في قصيدة "دم الفداء":

يرنو إلى الوطن الجريح، وقلبه
طيّر على الوطن الجريح مُحومُ
أضحت قداسته مباءةَ طُغمة
والطهرُ في شرع الطّغام محرمُ
وإذا الصهاينةُ اللئام، ورجسهمْ
يختال في الحرمِ الأبي ويجثمُ
لو كان فيهم بعض دين ما بغوا
في القدس أرض الأنبياء وهدَّموا
أيعربدُ الذئبان في جنباتها؟!
قد هان خطبٌ لو يعربدُ ضيغُم!
يا للدهاقين البغاة لو أنهـــــم
قرأوا من التاريخ ما لا يُكتمُ
لدروا بأن الدهر أصدر حكمهُ
إن الزمان غداً يدور عليهمو!
ما نام ليثٌ عن حماهُ ولم يهن
شعبٌ له القرآن روحٌ ملهمُ![2]

ويعبر صدوق عن كراهيتهلليهود وحقده عليهم ، فهم شعب أستحق اللعنة من الله والناس أجمعين. يقول في قصيدة " لعنة على الشعارات الكاذبة":

عليكم لعنةُ الإنسان والأحرارْ
عليكم لعنةُ الشهداءِ والأبطالِ والثاراتِ والعودةِ والغارِ!
عليكم لعنةُ المذبوح ضيفاً في مغانيكم غريب الدارْ

---

(1) خليل، صالح: الانتفاضة الفلسطينية في الشعر الأردني الفلسطيني الحديث، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، 1996م، ص23.

(2) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص5.

عليكم لعنة الأطفالِ زُغب الريشِ يرتعشون أيتاماً [1]

وتحدث صدوق عن حلم الرجوع والتفاؤل والأمل بالعودة إلى الديار، فقد انتظر الإنسان الفلسطيني يوم العودة طويلاً وذرف الدموع غزيرة عليه ، وأنتظر عودته إليه على أحر من الجمر ، ولطالما داعبت الأحلام مخيلته وهو يعود إلى وطنه وجنته[2]. يقول في قصيدة "هل يعود الربيع ":

يزورنا الربيعُ يا صديقي غداً
وسوف يفرش التلالَ بالزهورْ
وسوف يعبقُ الوجودُ بالعبير
يزورنا الربيع في وداعة الصغارْ
ويسأل الطيورَ عن ملاحنِ الهزارْ
وسوف يزرع القلوب بالأملْ
ويسكب العطاء في معاقد الثمارْ[3]

وإشاعة التفاؤل والبشرى جزء من الرسالة التعبوية التي أهتم بها الشعراء، والتي تهدف إلى رفع الروح المعنوية للفلسطيني المقاتل وتربطه بوطنه بصورة يكون فيها دائم الأمل ببزوغ فجر جديد [4]فقد كان صدوق من السباقين إلى ذلك .

حيث يقول في قصيدة "بكائية ":

صوتكم يا أخوتي الطالعُ من خلف الظلامْ
صرخةُ الميلادِ في الأرض السليبةْ
أرضنا الخضراءُ ما عادتْ غريبةْ
صوتكم أطلعها كالفجر من خلف القتامْ
دمكم يمنحها نبضَ الحياة
يا أحبائي الذينْ

---

(1) صدوق، ديوان النار والطين، ص55.

(2) المرجع نفسه، ص211.

(3) المرجع نفسه، ص47.

(4) خليل، الانتفاضة الفلسطينية في الشعر الأردني والفلسطيني الحديث، ص185.

رفضوا ذلَّ السنينْ
يا بشاراتِ الندى تَسقي الروابي
يا دماً حراً يصب النارَ في روح الصغارِ الحالمينْ
يطلع الفجرُ على وهج الحرابِ[1]

وفي موضع آخر يشيع صد وق لنا جواً من التفاؤل والبشرى بقــدوم الأبطـــال المنقذين الذين يحملون في صرخاتهم النصر والحرية. يقول:

نعم يأتونْ
خيولاً كانطلاق اللمحِ كالبشرى السماويةْ
نعم يأتونْ
مع الريح الشماليةْ
وفي صرخاتهمْ وعدٌ بميلاد
بنادقهم تباشيرٌ تزفُّ النصرَ للوادي
قبابُ القدسِ تعرفنا
وتذكرنا البساتينُ
غسلنا سوأةَ الماضي، وإنا دائماً آتونْ
فداءً عبقريَّ الفجرِ ليس يهون
وسوفُ يزغرد الوادي وتعبقُ في مرابعنا الرياحينُ
وتزهر غابةُ الليمونْ... [2]

وهو يرى أن العودة مرتبطة بالجهاد المقدس من أحرار هذه الأمة الذي يبعــثهم التاريخ. إذ يقول في قصيدته لعّنه على الشعارات الكاذبة "مستنهضاً التــار يخ مــن رقاده الطويل، لعله يصنع ما تعجز الأجيال المعاصرة المهزومة عن صنعه:

تفجرْ يا دمَ التاريخِ صُبَّ الموتَ واللَّهبا
وزلزلْ صخرةْ الأقدارْ
لعلك تبعثُ الأحرارْ

---

(1) صدوق، ديوان بقايا قصة الإنسان، ص62.

(2) المرجع نفسه، ص76.

لعلك تُخصب الأرحامَ تُنجبُ من حشايا الموت أسطورةْ
لعلك يا دمَ التاريخِ تُشعل شعبنا غضباً
لعلك تصنعُ العجبا
لعلّ....عسى.....تعود الدارْ! [1]

ويعاهد صدوق بلاده ووطنه بأن يظل مخلصاً لها ،حتى لو كثرت الأقاويل بـــأ ن الشعب الفلسطيني قد باع أرضه ووطنه بثمن قليل.

يقول في قصيدة "وداع عند الشريعة ":

وقد يقال ضيَّعوا إننا
نحن الذين الترابَ والوطنْ
وإننا بعنا القرابَ والسيوفْ
وقد يقال إننا
نُزّيف النضالَ..... نكذبُ الكفاحَ.... نقبض الثمنْ
وليس في عروقنا دمٌ شريفْ [2]

ويفند صدوق كل هذه الاتهامات والدعاوى الزائفة المغرضة. فيقول:

وتزعم أنني أحرقتُ تاريخي قتلتُ أبي شربتُ دماءَ
أحبابي وإخواني
سحقتُ عظامَ موتاهم بلا رحمة
وأني بعتُ أوطاني
سدىً يا لعنةَ التاريخِ، يطلع فجرنا الأزليُّ في آفاقِ
دنيانا
لقد قتلوا ضمير الفجر بُهتانا [3]

ثم يخص صدوق البطل الفلسطيني بالحديث' ويقول في مدحه في قصيدة بعنوان "احتفالية في انتظار البطل ":

---

(1) صدوق، ديوان النار والطين، ص56.
(2) صدوق، ديوان بقايا قصة الإنسان، ص49.
(3) صدوق، ديوان النار والطين، ص52.

عوذتُ مدحكَ أن يكون رياءَ
يا واهبَ المجدِ القديمِ ضياءَ

طلقٌ جبينك كالصباح سماحةً
لكأنَّ فيه من الضحى سيماءَ

صمتٌ على ألقِ الجبينِ منورٌ
إعجازهُ قد حيَّر البلغـــــاءَ

يا ابن العظامِ أرومةً وسجيةً
المجدُ يورثُ لا يكون عطاءَ

أعليتَ في الميراث شهماً باذلاً
وسلكتَ دربــك هادياً بــنــاءَ

العاملون كلامهم أفعالهـــــمْ
لا يسألون المدحَ والإطــراءَ

عفو الكبيرِ إذا تقاصرَ مِقــولٌ
فالشعرُ يلثغ في فمي استحياءَ

لا يُنصف البطلَ العظيمَ قصيدةٌ
مهما تكن عربيةً عصمـــاءَ

لكنّها كالدمع من حدق الأسى
رقرقتها أنشودةً خرساءَ [1]

وقد احتل المكان الفلسطيني حيزاً مهماً ومؤثراً في القــصيدة العربيــة وعنــد الشعراء الأردنيين أمثال راضي صدوق على وجه الخصـ وص، وذلك لأهمية هــذا المكان في اعتبارات الكرامة والحرية وكافة الرموز في الهوية الوطنية القومية.

وقدتحدث صدوق عن مدينة القدس حديثا شائقاً، إذ كان لها حضورٌ بارز فــي التاريخ والشعر، لأنها مدينة الله على الأرض، وأولى القبلتين، وثالث الحرمين.

(1) صدوق، ديوان رياح السنين، ص112

يقول في قصيدة " جموح ":

أنا من القدس هل يدري الورى لغتي

يكـــاد ينكرنـــي الأهلون والغيـــرُ

يكذبُ الناسُ أنبائـــي وما صنعـــتْ

يداي بالأمس... لاشاهتْ لهم صورُ

لكنني في صميـــم النـــار معتكـــــفٌ

صلاتي اللهَ أنَّ الحقَّ منتصـــر![1]

ويصور صدوق في قصيدته (من قلب النار) اليوم الذي سقطت فيه القدس فـــي أيدي الثعالب "اليهود"، إذ بدت القدس حزينة، مطفئة الأنوار يخيم عليها الظلام مـــن كل جانب، يقول:

بالأحمر الناريّ أكتبُ..... من سيقرأُني

وفي عينيَّ مجمرةُ اللهيبِ

الريحُ تهجمُ..... والجرادُ يمصُّ أحداقي ويُمطر في

دروبي

وأراك وهماً في الغيوب

ودماً تخثر في الشرايين الصديئةِ، في القلوبِ

وأراك عيناً أطفأتها الريح باردةَ الشحوبِ

وأراك كالشفة اليبيسة ليس تبسمُ في

انتظارِ فمٍ رطيبِ.

وأراكِ حانيةَ القبابِ، خفيتةَ الأجراسِ، تائهةَ

الدروبِ

---

(1) صدوق، ديوان رياح السنين، ص43.

يا قدسُ.....يا تاريخُ.....أيُّ غدٍ يطلُّ وراء عالمك

الرهيبِ؟[1]

ويشير صدوق في قصيدته (هزيمة النصر) إلى جهاد القدس الأصيل والموصول ضد الاحتلال الصهيوني، فهي مدينة صابرة على البلايا والمصائب على مر العصور والأزمنة، لأنها مدينة المجد والكرامة، يقول:

يا قـــــدسُ صمتكِ قاتـــلٌ

كم تصبرينَ على الرَّزايـا

لو تنطقيـنَ..... لعلَّهـــــم

قد يخجلون من الخطايـــا

يا قدسُ.... طاهرةَ الدمـــاءِ

أكاد أغرقُ في دمايـــــــا..

قصفوا المآذنَ والقبـــــــابَ...

وأسمعوا الدنيا حكايـــــــا

النصرُ؟.... تلـك هزيمـــــةٌ

ستظل ترجمهـم منايـــــا..

ويظـــل صمتـــــك سيـــداً

يُعلـي إلى الدنيـــا نِدايـــا

ويظل مجدكِ في الضميـــــرِ

سناً يُضوىءُ في الحنايـــــا [2]

ولأن القدس رتتظلوع الفجر والشروق بعد الظلام الحالك الذي أحاط بهـا ، فالثورة عند الشاعر هي القادرعلى زرع الرعب في قلوب الأعداء ، كـي تعـود القدس حرة عربية إلى أهلها. يقول في قصيدة "احتفالية في انتظار البطل":

هتفتْ بنا الأمجادُ تنشد ثأرهـا

فغدوتَ أنت السمعَ والإصغـــاءَ

---

(1) صدوق، ديوان بقايا قصة الإنسان، ص32

(2) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص17.

القدسُ تنتظر الشروقَ فكن لهـــا
يا ناصرَ الدين الحنيف ضيـــــاءَ
وارفعْ نداء الحقِ إنـــك رائـــــدٌ
أسمى الحناجر صرخةً ونـــــداءَ
النصرُ بالإسلام ليـــس بغيـــــره
إنا عرفنا الزيفَ والأخطـــــــاءَ
والفجرُ يعرف صانعيه، ولم يزلْ
مُذ كان، يشرق بالهدى وضاءَ [1]

تحدث صدوق عن التلاحم بين المدن الفلسطينية، فالقدس رمز لـ لإسلام و"بيت لحم"رمز للمسيحية، و كلاهما يتشوق للقاء بعد بزوغ الفجر وطرد الا حـــتلال مـــن فلسطين، يقول في قصيدة "سلاماً لأرض السلام":

أيها الذين يحلمون بافترارة الصباحْ
الفجرُ رايةٌ ترفُّ حرةً على ذُرى الرماحْ
القدس في انتظاركم تحنُّ للعناق والقبلْ
كطفلةٍ سبيةٍ يتيمةٍ.... حزينةِ المقلْ
وبيتُ لحم دمعةٌ على الخدود نارها نداءْ
ومذودُ المسيح مهجةٌ جريحةٌ تحن للقاء .[2]

وركز صدوق على المحور الديني في حديثه عن المدينـــة القدســـية ، فتغنـــى بمكانتها الدينية، لأنها موطن الأنبياء، ومسرى النبي علية السلام، وهي لذلك مهوى الأفئدة والقلوب،فتحدث عن " قبة الصخرة " و"حائط البراق" و"كنيسة القيامة"، ممـــا يدل على أنها مدينة المحبة والسلام. حيث يقول في قصيدة "سلاماً لأرض السلام":

يا صخرةَ المعراج قادمون..... قادمونْ
فكحلي بالنور مقلةَ البراقْ
قيامةَ المسيحِ قادمون.... قادمونْ

---

(1) صدوق، ديوان رياح السنين، ص116.

(2) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص84 .

فانتظري بشائرَ الإشراقْ
الحبُّ والسلامُ في ركابنا
فاقرئي السلامْ
لكل طفلةٍ يتيمةْ
وكل مهجةٍ كليمهْ
إنا غداً آتون يا مدينةَ السلامِ والصفاءْ
والنصرُ في انتظارنا
إلى اللقاءْ....
إلى اللقاءْ.....[1]

ولا ينسى صدوق مدينته ومسقط رأسه، ومرتع صباه "طولكرم"، حيث ذكرها في قصائد متعددة، إذ يصفها بأنها "المدينة الصامتة"بسبب ما أصابها من الظ لم عندما وقعت تحت وطأة الاحتلال يقول:

هذه هي المدينةُ الصامتة.....
تطل من وراء الربوة كما يطلُّ القمرُ على الكون من وراء
الأسداف.
كل ما فيها صامتٌ لا يتكلم.....
الحجارةُ جامدة
الرياحُ صامتةٌ تخجل من الهبوب!
وأغصان الشجر لا تتناوح ولا تتمايل
أما العصافير الساذجة فهي تحلقُ في السماء وتطير إلى الحقول
والجنائن المحيطة بالمدينة، ودون أن يُسمعَ لأجنحتها أدنى رفيف!
صمتٌ في صمت.....
تلك هي الحياة في المدينة الصامتة[2]

---

(1) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص85

(2) صدوق، ديوان الحزن احضر دائما، ص76

ويكشف لنا صدوق عن صفات أهل طولكرم، فهم نــبلاء يتمــسكون بمكــارم الأخلاق، ويغفرون ويصفحون عن زلات الآخرين:

إنها نبيلةٌ، لأنها صامتة... ولذلك كان أهلها نبلاء يتمسكون بمكارم الأخلاق

يغفرون لمن يسيئون، ويصفحون عن الزلَّة والهفوة....

ويغسلون ما علقَ بالناس من وحل بما وهبهم الله من نقاء!(1)

كما أن أهلها يتمتعون بالرحمة والحنان والحب والخير للناس ، حيث يقول:

دموعهم السخية ممزوجة بالرحمة والحنان

وعيونهم السود تنطق بمعنى الحب الأ بدي، يرضون أنفسهم على حب الخيــر للناس(2).

وفي قصيدة (المدينة الصامتة)، يرسم صدوق لطولكرم لوحة فنية جميلة، حيث يضفي عليها صفات معنوية ومادية، تعكس لنا صورة الحياة التي كانت في طولكرم. حيث يقول:

المروجُ الخضراءُ تتنفَّس شعاع الشمس بملء أعشابها...

والعصافير الغريرة تترقرق حالمة، سعيدة.....

أما الحمائمُ البيضُ في بيت جدتي، فإنها تنقر الحب، بينما يدلجُ

الفلاحون إلى مزارعهم وفي أيديهم الفؤوس العقفاء....

وهناك، حيث الأسلاك الشائكة،

الأسلاك التي تشطر السهل الفلسطيني اليانع إلى شطرين....

يعمل هؤلاء الفلاحون بحب، ونشاط، ولكن في صمت....

لأنهم في المدينة الصامتة(3).

ويخاطب صدوق مدينته "طولكرم" طالباً منهاأن تبقى شـ امخة مشرقة، فهي بلد مباركة وطيبة. يقول في قصيدة "إلى طولكرم":

---

(1) صدوق، ديوان الحزن احضر دائما، ص77

(2) المرجع نفسه، ص87

(3) المرجع نفسه، ص75

أطلي على الكون... لا تغربي

تباركت من بلـــــدٍ طيَّبِ...

تباركَ فيكِ ضميرُ الحيـــــاةِ

وأفرخَ في روحك المخضبِ

ترامتْ، حواليك دنيـــا رؤى

ترف على أفقك الأرجـــبِ

وأهدتْ لكِ الطير ألحانهـــــا

أغاريدَ من وحيك المعجبِ[1]

ثم يباهي بها لأنها تتصف بالمجد والعزة والكرامة ولا ترضى بالذل والهون. يقول:

لكِ المجدُ لا تطرقي ذلـــةً

تسامي على الأفقِ... لا تغربي

ولا يُرهبنك هذا الزمـــانُ

ونحن، حواليكِ، لم نرهـــبِ...

فإن أسدلَ الليلُ أستـــارهُ

أطلي على الكونِ في موكـــبِ

ففي وجنتيك شروقُ الحيـــاةِ

وفي خافقيكِ صلاةُ نبـــي![2]

ويشير إلى صمودها ضد الإحتلال، رغم نوائب الدهر ومصائبه. يقول:

صمدتِ على زعزع النائباتِ

صمودَ كريمٍ، شجاعٍ، أبي...

وروَّيت من دمكِ العبقـــريَّ

سهولكِ، يا للثَّرى المخضبِ

قوافلُ من مهـــجٍ حـــــرةٍ...

سفحت دماها على السبَّسبِ

---

(1) ديوان، أمطار الحزن والدم، ص77 .

(2) المرجع نفسه، ص78 .

قرابينَ للعُرب.. يا للفـــــــداءِ..

ويا لخلود الدم اليعرُبـــــي![3]

يطلب منها أن تبقى ثابتة صامدة في وجه التيا رات العاتية والأمواج المتلاطمة، حيث يشير هنا إلى عمليات التهجير اليهودية إلى الديار المحتلة. يقول:

وهذه دموعـــــكِ لما تـــــزل

تنزُّ على جفنك الأهـــــداب؟

أفيقي على الدهرِ.. يا طولكرم...

أطلي على الكونِ لا ترهبـــي!

فإن سلبوكِ ثراكِ الخصيـــــب

وأخنوا على سهلكِ المعشـــبِ

وحطُّوا الرحالِ على أرضنـــا

وجاءوا بكل دخيلٍ غبـــي... [1]

ثم يبشر بالنصر القادم، إذ يقول:

فأنـــا سنلفظهـــم كالنُّـــــــواة

وليس لهمُ، بعدُ، من مهرب!

فإن أقبلوا في إهاب الأســـود

لسوف يفرّون.... كالأرنبِ![2]

وأما في المجال القومي فإنالشاعر لم يعد يكتفي بالتغني بالأمجاد كما كان يفعل الشعراء السابقون، بل أ خذ يدرس الواقع وينقده، ويتطلع للمستقبل في صدق والتزام بقضايا الأمة العربية، ولم يعد الشعر القومي شعر مناسبة، بل أصبح الشاعر يكتـــب هذا الشعر من منطلق التزام بقضايا الوطن التي هي قضاياه.[3]

---

(3) المرجع نفسه، ص78

(1) ديوان، أمطار الحزن والدم، ص79

(2) المصدر نفسه، ص78

(3) النجار، الجديد في الشعر الأردني، ص235

Click Here & Upgrade
Expanded Features
Unlimited Pages
PDF Complete

حيث يقول في قصيدة (دم الفداء):

يا مستعيرَ السيف من أسيـــــــاده
ومُناطحَ الهيجاءِ وهو ملثَّـــــــمُ
مستجدياً في الأرض تحلب ضرعها
بالسيف في أرض العروبةِ تُفطــمُ!
إنـــا بلونكـــــم، فكنتـــم حيـــــةً
رقطاءَ تنهش في الظلام وتهزمُ [1]

ويكشف صدوق للسائلين بأنه من مضر وينحدر من أصول عربية خالصة، فكل العرب عاشوا في الصحراء وانحدروا منها، فهم من منبت واحد وصحراء واحـــدة وتاريخ حافل بالجراحات والمعجزات. يقول في قصيدة "جموح":

أقولُ للسائلين الأهل: من مُضرٍ
أخوكمو فيقول القومُ: مَنْ مضرُ؟
عشيرتي في عيوني فانظروا غضبي
ألستُ من لهب الصحراء أنحدرُ؟
عروبتي في جراحي فانظروا كبدي
تمورُ بالأحمر القاني وتنصهـــــرُ
جمعتُ كل جراحي واستخرتُ دمي
فكان من معجزاتي النارُ والحجرُ![2]

ويقول مؤكدا هذه الفكرة في قصيدة "عربي في روما":

ذكرتني نبضَ العروبةِ في دمي
ولقد نسيتُ النبضَ في أوطانـــــي[3]

---

(1) صدوق، الديوان أمطار الحزن والدم، ص11
(2) صدوق، ديوان رياح السنين، ص35
(3) المرجع نفسه، ص105

وهكذا يتبين لنا أن الجانب الوطني قد شغل مساحة واسعة من حجم دواوين الشاعر، وأنه جاء التزاماً عفوياً جياشاً في كل قصائده.

2.2 البعد الاجتماعي:

إن الجوانب الاجتماعية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالشعر وبالأدب بشكل عام ، حيث أن الأدب يتداخل مع الدراسات الاجتماعية حتى أفرد له باب خاص عرف باسم (علم الاجتماع الأدبي)وهو دراسة الأعمال الأدبية وربطها بعوامل التفكير الاجتماعي المختلفة.ومن هنا فقد ارتبطت الدراسات الاجتماعية للأدب بالواقعية بوصفها اتجاها نقديا يسعى لربط الأدب بالواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للمجتمع[1].

إن الشاعر لا بد أن يكون مرآة يعكس من خلال شعره الظواهر والجوانب الاجتماعية التي تحدث في مجتمعه ويكون له موقف يقوم على النقد الاجتماعي البناء الذي يعرض إلى الإصلاح والقضاء على مختلف العلل والأمراض الاجتماعية من أجل الرقي والنهوض بالمجتمع.

إن الشاعر الجديد يعبر عن قضاياه الاجتماعية بدافع داخلي،وليس بدافع خارجي كما كان يفعل الشعراء في السابق ، فكثيراً ما كان الشاعر في السابق يكلف مثلا بالحديث عن رعاية الأطفال في مناسبة أو احتفال ،فيتكلم كلاما لا صدق فيه ولا حرارة، لأنه يشعر انه غير مسؤول عن قضايا المجمع الذي يعيش فيه[2].

حفلت دواوين راضي صدوق بقدر كبير من القصائد الاجتماعية التي تناول فيها قضايا المجتمعفصور هموم الناس ومشاكلهم ،وما يعانون من أحوال الفقر والجوع والحرمان والظلم والاستبداد ، وتناول أيضا الأمراض والآفات الاجتماعية والعلل في السلوك الاجتماعي من كذب ورياء وجحود وكراهية وحقد وغدر....

---

(1)العشماوي، محمد زكيالأدب وقيم الحياة المعاصرة، دار النهضة العربية، بيروت، ط 1 1980م، ص177.

(2) النجار، الجديد في الشعر الأردني، ص215.

وقد وقف صدوق موقفا صلبا رافضا ما يواجه المجتمع من علل اجتماعية مختلفة، ويتضح ذلك من خلال الظواهر الاجتماعية التي تناولها في دواوينه ومن أبرزها:

1. الجوع والفقر:

لعلّ أبرز الموضوعات التي تناولها صدوق في شعره الاجتماعي، مشكلة الجوع والفقر والحرمان، وما كان يعانيه الشعب الفلسطيني بعد اغتصاب الأراضي الفلسطينية. يقول في قصيدة " رماد يورق أزهارا":

نجوعُ؟
يا مواسمَ الربيعِ في بلادنا.... نجوعْ؟
يا خوابيَ الحصادِ، يا بيادرَ الذهبْ!
وأنتِ في دمائنا
جداولٌ من الحنين واللهبْ؟
سيورقُ الرمادْ
لا بد يا ربيعنا الغريبْ
للتائهِ الغريبِ
من معاد .[1]

لكن الربيع الذي يرمز فيه صدوق إلى الأمل الذي لا يخبو، سيحمل مع اخضراره بشارات الأمل بالخلاص، وذهاب شبح الجوع والحرمان اللذين يفترسان الناس.

ويرفض صدوق أن يظل هذا الجوع مخيماً على الشعب الفلسطيني، كخيمة الليل الحالكة السواد، ويتساءل في استنكار رافضاً هذا الواقع. يقول:

إلام يظل هذا الجوعُ، مثل الليل، لا ترويه أثداءُ؟
ولا تقتلُ في أعماقه التنينْ؟[2]

---

(1) صدوق، الديوان بقايا قصة الإنسان، ص43.

(2) صدوق، ديوان النار والطين، ص22.

ولعل أقسى ما ينتفض له صدوق، وهو يواجه مشكلة الجوع التي عـــانى منهـــا أهله، هي مأساة جوع الأطفال الأبرياء غير القادرين على احتمال شـــظف الجـــوع والضمأ، وهو ينتفض أمام هذه المأساة ونجدها تلح عليه بصورة عفوية تلقائية فـــي قصائد عديدة، حيث إنه لا يحتمل أن يرى طفلا يقع فريسة الحاجة إ لى لقمـــة خبـــز رخيصة.

إنه يكايستسلم،وهو يواجه مأساة الأطفال الجائعين ....فيحتار ماذا يفعل؟ومـــاذا يستطيع أن يفعأمام جبروت الحاجة وشظف الظروف ومأساة ا لأيام؟...إنه يعترف بعجزه ويعلن انه لا يستطيع أن يفعل شيئاً .....فيصرخ بكل ما في الإنسان المكـــافح من تحدٍّ،هاتفاً في توسُّل هو أقربُ إلى الإدانة والاحتجاج والاستنكار للوضع الراهن الذي يعيشه، يقول:

أبيعكَ تاريخي وشعري وموقفي

بلقمةِ أطفالي... فهل أنتَ قابل[1]

ويكشف لنا صدوق في قصيدةهاّات خنجرك لأغرسه في ظهري" عن سياســـة التجويع السائدة وهي سياسة تقوم على مبدأ الصمت مقابل الغذاء.

حيث يقول:

فلا بد أن يضعوا الحجارةَ في فمك

إذا لم يستطيعوا أن يغلقوا فمك، بتجويع أطفالك!

أنت صوتُ الحقّ الذي لا يصمت

ارفع صوتك عالياً بكلمة الله[2].

2. الصدق والوفاء:

تُعدّ الصداقة من أثلالروابط التي تنشأ بين أفراد المجتمع وأنبلها، حيث تقـــوم على الحب والإخاء والوفاء بين الأصدقاء.

وعدت الصداقة القيم المثلى التي يتعارف عليها أفراد المجتمع ، فهي أكـــرم صورة من صور التكافل الاجتماعي بين الناس.

---

(1) صدوق، ديوان رياح السنين، ص59 .

(2) صدوق، ديوان الحزن أخضر دائماً، ص24 .

وقد تطرَّق الأدب العربي،وخاصة الشعر عبر العصور إلى موضوع الصداقة، حتى لنجد كثيراً من الكتب التراثية في موضوع الصداقة والصديق، ولعل شاعرنا هو أحد الشعراء الذين تناولوا موضوع الصداقة في قصائد عديدة، حيث تحدث عن الأصدقاء في مواقفهم وتقلباتهم، وفي وفائهم وجحودهم.

ويؤكد صدوق في إحدى قصائده أن الصداقة أصبحت مرتبطة بمصالح فردية بين أفراد المجتمع في الغالب الأعم ، فهي لا تقوم على مبدئها الصحيح الذي يدعو إلى الحب المجرد المنزه عن أي غرض ذاتي.

حيث يقول في قصيدة "يا سادة الحب":

وقد رأينا من الأيامِ ما عميتْ

به العيونُ وحارَ العقلُ والرشدُ

والناس كالدهرِ ألغاز مطلسمةٌ

ما أندرَ الخيرَ مهما يكثرُ العددُ

ترى الصديقَ صديقاً ما بذلتَ له

من ذات نفسك حتى ينضبَ المددُ[1]

وهذه المعاني التي تنطوي عليها هذه الأبيات هي معانٍ متداولة منذ القدم، لدى سائر الأمم والشعوب لكن كل شاعرٍ يعبر عنها بطريقته وأسلوبه.وشاعرنا يستعيد هذه المعاني ويؤكد عليها من خلال تجاربه الخاصة في صراعه مع الحياة والناس،لكنه يضفي عليها طابعه الخاص،وهو يختصر تجربته مع كثير من أصدقائه بهذا الوصف:

مثلُ الفراشاتِ حول الضوءِ حائمةً

ما دامت النارُ في المصباحَ تتقدُ![2]

وفي قصيدته"ات خنجرك لأغرسه في ظهري "يشير إلى الأصدقاء ، الذين زرعهم فاقتلعوه!. حيث يقول:

وعندما تبلغ بهم مشارف الشاطئ

---

(1) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص24.

(2) المرجع نفسه، ص25.

وتُنزلهم في أكرم المنازل،
أنظرْ إليهم تجدهم قد انقلبوا إليك،
وفي أيديهم خناجرُ الغدر
حمراء كلون الخطيئة في أحداقهم
سوداء كلون الحقد في قلوبهم
ثم ينقضون عليك[1]

وتفيض نفس الشاعر بعلقم المرارة، وهو يستعيد بعض فصول ذكرياته وتجاربه مع الصداقة والأصدقاء، ويصف شراستهم وبشاعة ممارستهم عندما ينحرون الصداقة النبيلة على مذبح المصالح والأعراض وا لأهواء النفعية الدنيوية الخاصة ، يقول:

يمزقون جسدك إرباً إرباً....
ويلغون في دمك كالذئاب الوحشية.
يلعقون آخر قطرة بألسنة حاقدة
ويهتفون باسمك بأخوةٍ وحنان
مع كل طعنة خنجر يغرسونها في ظهرك،
يُسمعونك حكايةً من حكايات حبهم لك!
ومع كل مصةٍ من دمك
يدعون لك بالبقاءِ... والسعادةِ.... وطول العمرِ![2]

ويؤكد صدوق أن الصداقة مبدأ من المبادئ والمثل العليا التي تقوم على الحمية والإخاء فهو يدافع عن هذا المبدأ حيث يقول:

ها أنت الآن وحيدٌ معلَّقٌ في الفراغ
ليس معك من سلاحٍ سوى قنديل المبادئ التي ناضلتَ من أجلها..[3]

---

(1) صدوق، ديوان الحزن أخضر دائماً، ص23
(2) المرجع نفسه، ص24
(3) المرجع نفسه، ص27.

ونراه يتسامى عن عاطفة الحقد والرغبة في مواجهة الشر بالشر،والجحود بالجحود،والخيانة باللاتقة، بل نراه يترفع عن ذلك ويزيد على ذلك بالدعو ة إلى مقابلة الطعنة بالابتسامة، يقول:

وإذا رأيت خنجر صديقك، يغوص في شغاف قلبك
حذار أن يرجف لك قلب أو يرعش جفن.....
من حق الصداقة عليك أن تمنحه الفرصة ليمتحن قوته فيك!
وإذا التقت عيناك بعينيه
وتسمرت نظراته بنظراتك،
أغدقْ عليه كل معاني الوفاء والحنان
حذار أن تجعله يشعر بالندم أو الخيانة
بل شجعه على أن يدفع بِنصلة خنجره في صدرك أكثرَ وأكثر...
أعمقَ..... وأعمق[1].

والشاعر، في هذا السيا ق يتحدث عن الوفاء عند الأصدقاء حديث العارف المجرب الخبيروهو يصف مواقفهم في حالي الإقبال والإدبار، والعسر واليسر، والفقر والغنى، والضيق والفرج، إذ يقول في قصيدة "أمانيك يا دنيا"، مخاطباً الدنيا ذاتها:

أمانيكِ كالصحب الآلي يجحدوني
وينأونَ عني كلما حلَّ نازلُ
لقد كان لي في الناس أهلٌ وأخوةٌ
وكان لنا ماضٍ... وكانت شمائلُ
أضأت لهم روحي وفاءً ونخوةً
وغنَّيتهم شعري وما أنا قائلُ
أشاحوا مع الأيامِ في رأد الضحى
ولم يحفظِ العرفانَ إلا القلائلُ

(1) صدوق، ديوان الحزن أخضر دائماً، ص28

وقد كان فيهم من يُرجى وفـــــاؤهُ

إذا عزَّ عند البأس شهمٌ وفاضلُ[1]

3. الظلـــم والاستبـــداد:

ومن أهم القضايا الاجتماعية الأخرىالتي تناولها صدوق ما كان يعاني منـــه الشعب من أنواع الظلم والاستبداد في ظل الاحتلال الصهيوني.

يقوم الظلم على صور متعددة منها : الإذلال، وسفك الأرواح البريئة من أجـــل أن يلهو الملوك و السلاطين! حيث يقول صدوق في قصيدة "لا تصلبوه":

يا سيدَ آلامي.....

عفواً

يا سيدَ كل الآثامِ.

ذُقْ معنى الإذلال ولو مرةْ

معنى أن تتسحق الأرواحُ الحرة.

معنى أن يتعذبَ إنسانُ

لا ذنبَ سوى أن يلهوَ سلطانُ![2]

والشاعر إذ يتوجه إلى السلطان بعد أن خسر مقعده وفقد سلطته وقوته،مذكراً إياه ببعض ما اقترفت يداه من آثام لا يجمع به الأمل إلى أن يحسن الـ ظـــن بإمكـــان أن يعود هذا السلطان الآثم الظالم إلى رشده،ويغير من نظرته إلى الأمور وتعامله مـــع الناس، لأنه فطر على هذا النوع من البطش والتحكم برقاب العباد . يقـــول بقـــصيدة هذه:

لكنْ

هل يخفقُ للظالم قلبْ؟

هل تنبض في أعماق الحقد ينابيعُ الحبْ؟

هل يقوى الألمُ الخالدُ أن يغسل كل الأدرانِ الخرساء؟[3].

---

(1) صدوق، ديوان رياح السنين، ص88.

(2) صدوق، ديوان النار والطين، ص78.

(3) المرجع نفسه، ص79.

وينتقل صدوق من ظلم السلطان إلى ظلم الزمان ...لكأنما هما صادران من نبع واحد... وهو لا يجد مجالاً أرحب وأنبل من مجال التعاطف مع الأم الثاكلة والأمومة المفجوعة للحديث عن ظلم الزمان . ولعل قصيدته "إلى أمي" تعبر أصدق تعبير عن هذا الشعور، حيث يقول مخاطباً أمه الفاقدة لولديها.

أراك تنوحين نوحَ الثكالى
على أخوةٍ في الثرى غُيَّبِ
وتبكينَ ظلم الزمانِ الجحودِ
وقومك لاهون في الملعب
فيا أمُّ ..... هذا شبابي إليكِ
يفديك من كل جانِ غبي[1]

4. الأمراض الاجتماعية:

توقف صدوق عند الكثير من الأمراض والآفات الاجتماعية السائدة في المجتمع ومن أبرزها :الجهل، والمكر، والخداع، والكذب والجحود ، وتغلب الجانب المادي على الجانب الإنساني وانقلاب القيم والموازين الاجتماعية.

ويناقش صدوق هذه الأمراض ومنها الكراهية والرياء والحقد الذي ينتشر في المجتمع، حيث يقول في قصيدة "مضى العمر":

فلا بسمةُ الأحبابِ فيها طهارةٌ
ولا ضحكة الخلان بالحب تعمرُ
يُعانقك الخلُّ الحبيبُ مرائياً
وفي قلبه الحقدُ اللئيمُ يزمجرُ
يمد لك اليمنى بحبٍّ ولهفةٍ
وينظرُ في يسراه نحوك خنجرُ
ألا ضاقت الدنيا بعيني، فكلما
أحلقُ في الآفاق تُطوى وتصغرُ[2]

---

(1) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص30.

(2) صدوق، ديوان الرياح السنين، ص104.

ويعري صدوق مظاهر الزيف والكذب والرياء والخداع المتفشية بين القطاع الأكبر والأوسع من الناس في المجتمعات الحاضرة، وبخاصة في بلدان العالم المتخلفة،وهو لهذا لا يذهب مع أي توهم بأن الخير كامن في الناس كلهم خصوصاً بعد سلسلة طويلة من تجاربه معهم. يقول:

حنانك لن تبكي عليك العواذلُ
أيبكي على قبر الضحيةِ قاتلُ؟
توهمت أن الحبَ في الناس فطرةٌ
وأن سوادَ القلبِ وهمٌ وباطلُ
وعانقتُ حتى الحقدَ طيَّ ضلوعهمْ
فما ابتسمتْ عينٌ ولا جادَ باذلُ
فكم من نفوسٍ كنت برءاً لجرحها
وكم من فؤادٍ يائس بك آملُ[1]

ويلح صدوق، على هذه المعاني المستوحاة من معاناته الطويلة، في أكثر من قصيدة وفي مراحل وأزمنة شتى متباينة في مسيرته الـ حياتية والشعرية. وهو يؤكد هذه المعاني في قصيدة أخرى عنوانها "لحظة النشوة...لحظة السقوط":

لا..... لا
الخديعةُ لا تجرح القلبَ الكبير
الغدرُ لا يُدمي مقلةَ النسر
الخداعُ ضعفٌ، ومذلةٌ، وغباء...
الأقوياء: لا يسبحون في السّباخ، الموحلةِ، الكريهة....
فوق ضفائرِ النور ترجفُ أجنحتهم بكبرياء
من قال أن عين الشمس تُرمدها سحابةٌ سوداء؟![2]

ويؤكد صدوق بأن الغدر ليس من شـ م يللرجال فهو من آفات المجـ تمع الخطيرة حيث يقول في قصيدة "دم القلوب":

---

(1) صدوق، ديوان الرياح السنين، ص83.

(2) صدوق، الحزن أخضر دائما، ص53.

غدر الوفاءُ فما أبالي..... ما الغدرُ من شيم الرجالِ
نمضي على دربِ الجراح نخوضُ معتركَ النزالِ[1]

وفي قصيدة "هات خنجرك لأغرسه في ظهري "يشير صدوق إلى أمراض اجتماعية منها:" الكذب والرياء والجحود، وغياب الإخاء والصدق منكرا تلك الصفات البشرية الخبيثة. حيث يقول:

لا تكن ساذجا وتطلب الوفاء
نحن في زمن الخُواء والكذب والجحود
لا تكن ساذجاً وتسأل عن الإخاء

نحن في زمنٍ يكاد يتنكر فيه الجنينُ للرحم الذي آواه ،وحنا عليه ، ودفع به إلى الحياة!

وإذا أردت أن تكون صادقاً وفياً مع الله ، وفي الله فامنح نفسك لله وشعارك : الصمتُ والنسيان[2].

وإذا كان صدوق قد تناول الأمراض والآفات الاجتماعية، إلا أنه في المقابل تناول الصفات الحسنه الطيبة التي تتفشى في مجتمعه، فكل مجتمع له حسنات وسيئات.

ومن هذه الصفات الحسنة "الرحمة، والعطف، والحب، والنبل، ومكارم الأخلاق، والتسامح، والعفو، والصفح عن الآخرين، حيث يقول في قصيدته "المدينة الصامتة":

هذه المدينة الصامتة.....
سهولها خضراء تمنحُ ولا تأخذ
أمامها تمتد زرقةُ السماء
صافيةً حزينة
بعيدةً عن العالم، بقدر قربها منه
إنها نبيلة لأنها صامتة، ولذلك أهلها نبلاء يتمسكون بمكارم الأخلاق[3].

---

(1) صدوق، ديوان رياح السنين، ص24.
(2) صدوق، ديوان الحزن أخضر دائماً، ص26.
(3) المرجع نفسه، ص77.

ويتابع ذكر هذه الصفات حيث. يقول:

يغفرون لمن يسيئون، ويصفحون عن الزّلة والهفوة

ويغسلون ما علق بالناس من وحل، بما وهبهم الله من نقاء[1].

ويقول أيضاً:

دموعهم السخية ممزوجةٌ بالرحمةِ والحنان

وعيونهم السود تنطق بمعنى الحب الأبدي ، يروّضون أنفسهم على حبّ الخير للناس[2].

3.2 البعد الوجداني:

1.3.2 الغزل "المرأة":

الحديث عن الحب حكاية قديمة قدم الإنسان على ظهر الأرض، بل قبل أن تطأ قدماه أديم هذه البسيطة أيام لم يكن سوى فكرة خطرت بخاطر الفنان الأعظم، وأوحى إلى يفتراء منها الثغر في وجه آدم الذي علقت نظرات ها بنياط قلبه فهو منها تحركه طينة تكوينه الأولى ولكن حواء –ولم تمر في مدرسة للفنون والفتون- فرت من أمامه زيادة في الأغراء ، يرى نفسه وإياها إلا على سطح البسيطة ينشد سوء طالعه- الشقاء التي ليس أسعد منها، وأغنية العذاب التي ليس أهنأ[3].

أن الحب ليس قوام الحياة البشرية وحسب، وإنما هو ذلك التجاذب الذي يربط ما بين سائر الكواكب بعضها إلى بعض وأن الحب شرعة أولية من شرائع ا لدين وأن علة الوجود الأولى رمز الحب السرمدي أضحت العلاقة ما بين العاشق والمعشوق، والمحب والمحبوب نفحات من أرقها ما جاء على لسان أحمد شوقي الذي رف ع للحب هيكلا علويا وبعدا سماويا[4].

---

(1) صدوق، ديوان الحزن أخضر دائماً، ص77.

(2) المرجع نفسه، ص78.

(3) صدوق، راضي: الديوان (كان لي قلب) ، مقدمة قدري قلعجي، ص7.

(4) صدوق، ديوان كان لي قلب، ص10.

حيث يقول:

صوني جمالك عنا إننا بشـــــرُ

من الترابِ وهذا الحسن روحاني

أو فارتقي فلكاً تأوينه ملكـــــاً

لا تُنصبي شركاً في العالم الفاني[1]

وتبارى الشعراء الأردنيون في الغزل الذي هو مرحلة من مراحل التفتح بصورة لافتة للنظر، لأنه شعر النفس الإنسانية والتجربة الشخصية المباشرة المتسمة بالحدة والحماسة والحرارة والفطرة والتأثر الداخلي والإحساس العاطفي والـ ذوق لا الفكـــر، والشاعر الحقيقي ذو نزعة إنسانية عاطفية ذاتية ممزوجة بنظرة عالية ، وكان الشعر الغزلي الأردني فسيح الآفاق متعدد الجوانب يضمن اللوعة والشوق والتعطف والصد والحرمان والاستمتاع بالحياة واللذة والوصال والإباء[2].

ومن الشعراء الأردنيين الذين اهتموا بالغزل (الشاعر راضي صدوق)، إذ نجـــد مجموعة كاملة له نذرها لحواء، وحواء وحدها التي قسا عليها مرات واستدر عطفها مرات، تبعا لما بادلته من عواطف وما استدرجته إلى مجاهل السراب ... فكشفت لنا هذه الصفحات عن تجربة مرة نعتقد بأن الشاعر قد عاشها وما زال يحياها.

ويقول زكي المحاسني في قراءته ديوان "كان لي قلب ": "أن قـــصائد صـــدّوق الأولى في المرأة والحبّ هي في معانيها وذ ظراتها من طبائع الشعراء في صـــدور حياتهم، تظلّ أعينهم شوارت وقلوبهم خوافق، وأنفاسهم تُـــصعّد الزفيـــر وبأيـــديهم أقلامهم، يرفعون رؤوسهم إلى العلاء، يستمطرون الإيحاء من عوالم بعيدة شاردة ثم ينكبّون بين الفَيْنة والأخرى على القرطاس، يخطون بيتاً أو بيتين، ثم يعاودون الكَرَّة مثل طيور واقفة على مهادٍ منثورٍ عليها الحَبُّ تلتقطه مناقيرُها الحين بعد الحين"[3].

---

(1) شوقي، أحمد: الشوقيات، ط1،دار الكتاب العربي، بيروت، 1986، الجزء الأول، ص146.

(2) شهاب، أسامة،صحيفة الجزيرة العربية، ط 1، منشورات وزارة الثقافـــة والتـــراث القـــومي، عمان، 1988م، ص111.

(3) محاسني، زكي: المعرفة، مجلة ثقافية شهرية، وزارة الثقافة والإرشـــاد القـــومي، دمـــشق، حزيران، 1963م، ص148.

ويقول أيضا: "وإذا لم أُبارح كلمة الحبّ، فإنّي واجدُهما تموج في الـديوان كلـه – ديوان كان لي قلب - فتنطلق في كل قصيدة، وتريد أن تنزل كلَّ بيت وهي حاملـةُ الأسى وبيدها مشعلٌ منطفئٌ هاجته الـ رياح، وهو في شعره يكرّر ذكر حـواء فـي أبيات ومُقطعات رامزاً بها للمرأةومنّ العجب أن تسيطر على صـدو ق فكـرات غابرات من الجنّة الأولى"[1].

ثم يكمل: "حتى عَدَدْتُه قد مارس نكبةً في فؤاده نزل بها من سماء الحـب إلـى دُنيا الهجران والقطيعة، فأهوى معه بقصة آدم وإبليس، وجعل يمارسها في شـ عره ويُندِّي بها تعاشيب خياله، ثم لستُ أعجب حين أجده كتب خمس قصائد سـمّى كـل واحدة منها رسالة، وهذه الرسائل الخمس من أجمل شعره في باكورته، فإنَّ أوزانها كانت مُمهّدةً لما فيها من خواطر وهواجس، وعلى لمحاتها ترى تصاوير روحيّـة، وأجد روح هذه الأنغام عند ألفريد دوموريه في لياليه الأربع، بديوانه الـذي سـمّاه (الأشعار الأولى). "ولقد فرغت من النظرة بهذه المجموعة من شعر راضي صدوق فآمنت بها أنه شاعر، ورأيتها ليستً ديوان شعر، وإنما هي مأساة نفسيّة يمور لهيبها في قلب صاحبها فيطلع أبياتاً وقصائد كلها فيض ألم وعتاب، وتبيانٌ لإرهـاق روحٍ جريحٍ وجد في الشعر العزاء والوفاء، وديوان كان لي قلب "، "جميعه صدى صوتٍ عميقٍ ما زال يصرخ من ألم خيانة المرأة، ومن الحبّ، وانسكاب الحسرات عليه"[2].

ومن خلال متابعة شعر صدوق في المرأة والحبّ، والوجدانيّات عموماً، عبـر جميع المراحل في مسيرته الشعرية، نجده أسير هذه النّظرة القديمة التي عبّر عنهـا وجسَّدها في ديوانه الأول كان لي قلب " الذي ضمَّ بواكيره الشعرية التي كتبها وهو دون العشرين من العمر، ولعلَّ ذلك يعود إلى أنه خلال تجاربه الحياتية لم يُـصادف في إطلالته الأولى على عوالم الحبّ والمرأة - المحبة الصادقة الوفيـة الخالـصة للحب بقلبٍ وروحاً ووجداناً، وقارئ شعره في هذا المجال عبر مراحله المتعاقبة، يجد فيه الحملة الضاربة على المرأة، ويجد أحياناً الهجاء المُرّ، وفي أحايين أخرى يجـد

---

(1) محاسني، المعرفة، ص149

(2) المرجع نفسه، ص149-150

القسوة والحِدَّة والترفع عن دنيا النساء الجاحدات القاصرات العنيد و إلى مرتقى الحب الذي ينشده.

وقد سألته، عن سرِّ هذا الموقف القديم الجديد المتجدّد، الذي لم يتغير من المرأة كمحبوبة معشوقة أو مُحبَّة عاشقة، فقال : "إن هذا الموقف ليس مُفتعلاً، أو مُتعسفاً ظالماً، أو مبالغاً فيه، لي قصائد تُمجد الأمومة والتضحية والحنان في ا لمرأة، ولكن المرأة الطبيعية الأصلية الصادقة التي لا تخرج من إطارها وتتمرّد على ذاتها، وتتنكر لفطرتها وتتخلى عن رسالتها، أمّا ما غير هذا النوع من النساء فهنّ هدف قصائدي التي يرى البعض أنها تُعبّر عن سخطٍ من المرأة وغضبٍ منها وعليها، وربما تنطوي على درجةٍ عاليةٍ من الجدّة والحملة والقسوة عليها والإدانة عليها"[1].

إن في حياة صدوق تجارب كثيرة، مؤلمة ومؤسفة وموجعة ومخيبة للأمل، عبر مراحل حياته كلها، مع الحب والعاطفة والمرأة، لقد ارتبط بعلاقات عاطفية مع أسماء لامعة وكبيرة في عالم الأدب النسائي، وبعض صواحب هذه الأسماء كان لـ ه دورٌ في نضجهن الأدبي والحياتي، كما في رعايتهنّ وتشجيعهنّ وتحقيق الشُهرة لهنَّ.

ونستطيع أن نجد الكثير من القصائد، في دواوينه الشعرية المتعاقبـ ة، تُعبّر عمّا "لاقى" من هذا الصنف من النساء الجاحد النُّكور. يقول :

أذهبي لاَ رَدَّكِ الله اذْهَبِي
وَاغْرُبِي عَنْ عَالَمِ الطُّهْرِ اغْرُبِي
أَنْتِ بِنْتُ الرِّجْسِ يَا خَائِنَتِي
مُنْذُ أَنْ عِشْتِ بِقَلْبِيَ الطَّيِّـــــبِ
شَرِبَتْ عَيْنَاكِ دَمْعِي وَدَمِي
وَتَمَرَّغَتْ بِرُوْحِي المُخضَـــــبِ[2]

(1) مقابلة شخصية مع الشاعر بتاريخ 2008/2/2م

(2) صدوق، ديوان كان لي قلب، ص95.

ويقول صدوق في قصيدة أخرى:

أَتُقْسِمُ بِالحُبِّ؟ وَالحُبُّ وَهْمٌ

كَفَرْتَ بِهِ وَاسْتَبَحْتَ الحُــرَمْ

وَلَطَّخْتَ بِالرِّجْسِ طُهْرَ الحَدِيْثِ

وَدَنَّسْتَ كُلَّ مَعَانِي القِيَـــم

هُراءٌ دُمُوْعُكَ لاَ تَسْتَزِدْهَا

وَخَلِّ البُكَاءَ وَخَلِّ الأَلَـــمْ

فَتِلْكَ مَعَانٍ لَهَا قُدْسُهَا

حَرَامٌ يُدَنِّسُهَا مَنْ ظَلَـــم[1]

فالعنوان ينطوي على الكثير من المعاني والإيحاءات التي تنم على حقيقة تجربة الشاعر العاطفية، حيث تمتزج أشواق الحنين بلوعة الفراق ومرارة الذكريات.

وقد نشعر، أحيانا، ونحن أمام هذا العنوان كأن لي قلب " بأن الشاعر يطوي قلبه على تجربة مريرة قاسية مع المرأة، منذ مطالع حياته، فليس سهلا أن يكون عنـــوان ديوانه الأول بهذه التسمية، التي تضمجموعة من بواكيره الشعرية الأ ولى أيام كان دون العشرين من عمره، نحس ونحن نقرأها أننا أمام جمرات لاهبه، متوقدة، تفصح عن تجربة حارة، اشتعلت نارها في قلب الشاعر، ثم مست شغافه ، وحركت سكينته، ثم خفتت شيئا فشيئا لتنتهي إلى هذه العناقيد من الشعر، يقول:

كان لي قلب وذابْ

وتوارى في الترابْ

كان لي قلب مع الأيام خافقْ

وشباب بالدم المشبوب دافقْ

كم مضى كالحالم النشوان يستاف دموعي

نابضاً- كالموجة العذراء- ما بين ضلوعي

ويحَ قلبي... فهو لا يرحم بؤسي وخضوعي.

وإذا صليتُ... يسلوني، ويغتال خشوعي

---

(1) صدوق، ديوان النار والطين، ص90.

ليته يذهبُ... هذا القلبُ... من غير رجوع! [1]

ونراه يكشف في قصيدة أخرى، عن مكنون قصته مع حبه الأول، إذ يقول:

عبثتْ حواءُ في مهجته

فاكتوى المسكينُ من نار لظاها

كم مضى يرتادُ في أهوائه

أنجماً يرتشفُ الليلُ ضيـــــاها

كم مضى والدمعُ في آفاقه

يقطعُ القفرَ، ويرتاد المتاهـــــا [2]

وعندما نحاول أن نتعرف إلى ملامح المرأة التي يؤثرها صدوق، وهو شـــاب دون العشرين، فهو يحب الأهداب السوداء، والجديلة الفاحمـــة المرســـلة، والـــشفة الحمراء القرمزية التي تكاد تعرب عن نفسها، ففي قصيدة "رموش طوال" يقول:

خيطانِ مضطربان من ليلِ

نارانِ تلتهبان مـــن حولـــــي

أخشى على عينيَّ حرَّهما

أخشى العيونَ السودَ في الكحلِ

يستنزفان الموتَ من كبدي

وإذا شكوتُ الجرحَ يا ويلـــــي!

ولقد عبدتهما... وما غفرا

أتراهما والعفـــوُ فـــي حـــــــل؟

إن يحجبا عينيك عن نظري

حسبي أهومُ منك في الظـــــلِ! [3]

---

(1) صدوق، ديوان كان لي قلب، ص107

(2) المرجع نفسه، ص25-26.

(3) المرجع نفسه، ص94.

أما الجديلة فعلى الرغم من أن الشاعر أرادها باعثا من بواعث الأمل فقد قامت في خياله طاقة من الدجى وليست حزمة من النور حيث يقول في قصيدة : "إلى جديلة":

في خاطري تأرجحي
وحيثما شئتِ أمرحي
وغازلي الكتفين....
ثم استرسلي.... ولوحي
ونادني إلى الهوى
يجبكِ مني مطمحي
يا باقةً من الدجى
تهدَّلي... لا تستحي!! [1]

وأما تلك القرمزة الحمراء –الشفة- فهي تذكرة بلون دمه، وحرارة تجربته مع حبيبته، فيستعيد طوية نفسه ما كان من تجربة قاسية معها، ثم عدم مبالاتها به وبجراحة بعد انف صام العرى التي كانت تربط بين قلبيهما، لكنه يقابل هذا التجاهل وهذا الانتهاك بالرهان على المستقبل[2]، يقول في قصيدة "إلى شفة":

أتضحكين... كلما...
بكيتُ من مرارتي؟
أتسمحينَ للردَّى
يجوسُ في حشاشتي؟
تبسمي.... وقهقهي...
ففي غدٍ يا طفلتي!
أكون في ذرى العُلى
هناك فوق القمةِ!

(1) صدوق، ديوان كان لي قلب، ص35.

(2) المرجع نفسه، ص12.

وأنت في دجى الأسى

مقرورةً... كالقطــةِ!!

فحاذري أن تسخري

يا أنتِ... يا صبابتي! [1]

على أن تلك الهرة المغرورة المقهورة ظلت سيدة الموقف من حيث شاء الشاعر أم لم يشأ، وهل أفضح لمخاتلته نفسه من هذا القول رغم أنه قيل على سبيل التهديد:

فحاذري أن تسخري

ثم هل أدعى إلى الاستعطاف من التهديد الذي يأتي صاحبه من حيث لا يدري:

يا أنت..... يا صبابتي!

ومثل هذا الموقف نجده في قصيدة "تجاهل" التي يقول فيها:

أتجهلين من أنا

وكيف كان حُبنـــــا

ألم نكن عبرَ الدجـــــى

وكنتِ لي كل المنـــى

نسير في سذاجـــــةٍ

هناك. خلفَ المُنحنـــى

سلي عيوننا فكـــــم

تمازجت دموعنـــــا

سلي الرموش كم ضحىً

تهامستْ كأننـــــــا

شحرورتان في الرُّبـــا

لا تعرفان ما الغنـــا

---

(1) صدوق، ديوان كان لي قلب، ص113.

أتذكريــن خافقـــــــي

وقد أصاخَ موهنـــــا؟

تذكري أحلامنـــــــــا

فقد ترفُّ حولنـــــــا

وحاذري أن تجهلـــــي

فأمُسنا يعرفُنا.... [1]

وتحدث صدوق عن أسباب حبه لتلك المرأة، وذلك لما فيها من صفات حسنة، إذ إنها إنسانة، حسناء جميلة يزيدها الطهر والإخلاص جمالا، يقول في قصيدة "الرباط المقدس":

أحببتها لأنها إنسانـــــــةْ

نديةٌ كالزهرة الفينانـــــهْ

فقلبها الخفاقُ لا يجتـــــوي

من تُلهبُ الأيامُ أحزانـــهْ

طويتها في القلب أُغـــرودةً

غزيرةَ الإلهامِ مِرنانـــــهْ!

حوريةٌ، يا حسنها فتنةً

بالطهرِ والإخلاصِ مزدانهْ

قد آمنت حقاً بأن الهوى

أنشودةُ الأفئدةِ الحيرانهْ![2]

هذه هي صورتها في عينه، أيام كان يحترق بنار حبها، إنه يضفي عليهـــا كـــل الصفات النبيلة الكريمة ... ونراه يلح على هذه المعاني والصفات التي تتميـــز بهـــا الحبيبة في قصيدة "من وحي اللقاء الأخير" التي يستذكر فيها حلاوة أيام حبهما.

يقول:

---

(1) صدوق، ديوان كان لي قلب، ص11.

(2) المرجع نفسه، ص58.

جميلةُ الروح... والأحلامُ صافية

كالنبعِ، خالصةً: روحاً ووجدانا!

رحيمة القلب كالعصفور... حالمة

غنته سقسقة الوادي فعنانا! [1]

والقارئ لقصائدالغزل في ديوان كان لي قلب " يستطيع أن يستشف من بين السطور أن ظروفه الحياتية القاسية كان لها دور كبير في تعكير صفو علاقته الوجدانية، أو لنقل تجربة حبه الأول.

فقد أثقلت الحياة كاهل الشاعر قبل الأوان، ولم تكد براعم حبه تتفتح كؤوس أكمامها في أنفاس الربيع حتى داهمتها رياح الشتاء الجلدية ولم تعد تمثل من الربيع سوى حضور طيفه في دنياه، وما ذلك الحضور غير الذكرى ... ذكرى نقرأ فيها الختامم"ن وحي اللقاء الأخير " ولا نعرف طيف الحبيبة ويطلب من الطيف أن يحدثه عن الأسى والماضي وذكرى الحبيب. يقول في قصيدة "أحلام":

أيها الطيفُ لماذا تتثني؟

نحنُ روحانِ بليلٍ منتنِ...

هاتِ حدثني عن الأمسِ الذي

لم يزلْ يمتصُّ حتى بدني!

إنني كنت خيالاً... عابراً...

طاهرَ القلب، فهل تذكُرني؟[2]

ويسترسل في مناجاة هذا الطيف الحبيب، بعواطف غائمة وتهويمات منسابة ممزوجة بالمسحة الصوفية [3]. حيث يقول في قصيدة "أحلام":

أيُّ طيفٍ جاءني مبتسما

راعشَ الوجدان يمضي قُدما

---

(1) صدوق، ديوان كان لي قلب، ص59.

(2) المرجع نفسه، ص13.

(3) عطيات، محمدالحركة الشعرية في الأردن تطورها ومضامينها (1921-1967م)، الجمعية العلمية الملكية، عمان، ص459.

ينفضُ الأحلامَ عن مقلتــه ويغذُّ السيرَ نحــوي حالمــا

كلما نادتهُ روحي للقـــــا راح يرتاد بروحي الأنجمــا

مدَّ لي راحته في ذلـــــةٍ وأتاني في خشوعٍ وانحنـــى

قال لي: هل تذكرُ الحبَّ الذي شجَّ قلبينا ولم يحفل بنـــا[1]

ولعل هذه القصيدة التي يـ راوح فيها صدوق بين اليقظة والحلم، أكثــر قــصائد ديوانه كان لي قلبقصّويرا لقصة حبه الأولى، وتعبيرا عنها، إ ذ تظــل تذكراتــه لأيامه معها مغلفة بظلال من الحزن الشفيف تماما كما كانت هذه الظــلا ل الحزينــة ترافق تجربة حبه منذ بدايتها وظلت تلازمه إلى ما بعد نهايتها . ولعلنا نلحــظ هــذا الحزن، من خلال روايته الهادئة الحالمة المتأسية، لخطرات طيف الحبيب التي تلــم به، وتقطع عليه سكينته، يقول:

بينما كنتُ حزيناً محرقـــــاً هكذا أرنو لأمسي مُطرقــا

جاءني الطيفُ يواسي وحشتي ينفضُ الآلامَ عني مشفقـــــا!

بعث الذكرى بقلبي، بعدمـــــا ولَّت الذكرى وعفَّ المُلتقى

قال لي: هل تذكر الماضي وهل تذكرُ العصفورَ لمّا زقزقا؟ [2]

---

(1) صدوق، ديوان، كان لي قلب، ص45.

(2) المرجع نفسه، ص46.

لكنه يستفيق مع نهاية الفصل الأخير من تجربته الحلوة والمرة معا، ويعود إلـــى نفسه فلا يرى فيها إلا أنه لم يعد سوى جثة هامدة حطمتها الـــذكريات والأحـــزان ، يقول:

لم يعدْ يا طيفُ إلا جثـــــةً
أنثرُ الدمعَ على أشلائـــــهِ!
حطمته ذكرياتٌ نسجـــــت
بيدِ الآلامِ من سودائـــــــه...
وأنتِ يا حواءُ في ركب الهوى
تسكبُ الهجرانَ في أحشائهِ
فإذا القلبُ صريعٌ ذابـــــلٌ...
بلسمي يحتارُ في أدوائهِ!! [1]

لكن صدوق مثله مثل سواه ممن فجمعوا بتجربة حبهم الأول، لا يمكن أن ينسى لحظات الجمال والهناء والسعا دة التي عاشها في حبه الأول قبل أن تجنح شمسه إلى المغيب، ويستريح في نهاية التذكار والحلم إلى رواية "حكاية" حبه الأول برومانسية شفيفة حالمة، لعلها أصدق ما تكون تعبيرا عن عواطفه ووفائه لهذا الحب الغارب.

يقول في قصيدة "حكاية":

على الدروبِ التقينـــــا
وعانقنا الأمانـــــــي
نمشي الهوينا الهوانيـــا
على رفيف الأغانـــي
الفجرُ وافي إلينـــــــا
وضمنا في أمـــــــانِ
فمن شذاه انتشينـــــــا
ومن شذى الأقحـــوانِ

---

(1) صدوق، ديوان كان لي قلب، ص46.

لقد أتى وأتينـــــــــا

مع الطيوف الرَّوابـــي

فجران بين يدينـــــــا

جداولٌ من حنـــــــانِ

فهل ترانا التقينـــــــا

كما التقى عاشقـــــانِ؟[1]

ولعل من واقع تلك الذكرى ميلاد قصيدة "سآتي غدا"، التي ينطلق فيهـــا الأمـــل بعيدا بعيدا، ويكون فيه اللقاء الذي ما بعده فراق، حيث يقول[2]:

على شفتيَّ

أغانٍ تذوبْ

وفي خافقي

احتدام رهيب

غدا سوف يونع

ثغري الجديب

وراء المدى

غداً نلتقي

وراءَ السحبِ

كضوءِ الشهب[3]

ويلوح للشاعر من وراء الأفق نجم جديد، يهل نورا حارقا هاتكا ســتار الليــل، هاديا للقلب الحائر، فيختلج القلب ويستعيد نبضهويعود إلى أحلامه وآماله من جديد. يقول في قصيدة "نجم جديد"[4]:

---

(1) صدوق، ديوان كان لي قلب، ص106.

(2) المرجع نفسه، ص14.

(3) المرجع نفسه، ص27.

(4) المرجع نفسه، ص19.

أشرقتَ يا نجمُ في روحي وأحلامي

ورحتَ تنفضُ عن جنبيَّ الآمي!

كأن روحكَ ما زالت تعانقني

وهمسُكَ العذبُ، يُذكي قلبي الدامي

من أين أشرقتَ، قل لي إنني أرقٌ

لم يحضنِ الليلُ في أحشائه هامي!

ولم أزل أُطلق الأشعارَ ساجيةً

تنسابُ في لحنها المشبوب أيامي

أضعت عمري في لهوي وفي عبثي

متى يعودُ لروحي بعضُ إلهامي؟! [1]

وظهر عند صدوق لون جديد من ألوان الغزل، وهو الغزل المرتبط بالشكوى من المرأة وفقدان الثقة بها، وحمل هذا الشعر الثورة على النفاق في الحب والعتـ اب المر للحبيبة على خيانتها للعهود واتخذ شكل الدعابة ومناكفة النساء ووصـ ل إلى حد إقامة الدعوى أمام المحكم ضد سحر المرأة وسطوة جمالها . يقول صدوق في لحظة يأس من الحبيبة مطالبا بأن تغرب عن وجهه[2] في قصيدة "لا ردك الله ":

أنتِ إلهامي؟ وما أنتِ سوى

كوكبٍ كان... توارى وهوى

أنت أكذوبةُ عمرٍ ضائـــــعٍ

لحقَ القلبُ خطاها فغـــــوى

كنت حلماً عابراً في خاطري

عبرَ الدهرُ عليه وانطـــــوى

فإذا الحبُّ الذي كنا بـــــه...

دمعةٌ تنزفُ من عين الجوى

---

(1) صدوق، ديوان كان لي قلب، ص83.

(2) عطيات، الحركة الشعرية في الأردن تطورها ومضامينها (1921-1967م)، ص489.

قد نسيتُ الأمسَ واليومَ، فلا

تعذليني... إنه شرعُ الهوى[1]

ولعلنا نستشف من هذه الأبيات مدى غضب الشاعر وسخطه، مما لقيه من حواء هذه حتى أنه يجنح إلى هجائها وتقزيم صورتها، ويصفها بالأكذوبة والحلم العـــابر، معزيا نفسه عن سلوها بإدعاء النسيان.

ومن عتمة هذا اليأس ومن دياجير ذلك القنوط، كانت آراء الشاعر وخـــواطره حولطلياة والوجود والمجتمع ظلامية قاتمة موغلة في التشاؤم [2] ، حيث يقول في قصيدة "خواطر":

زعموا إنما الحياةُ خلـــــــودٌ

وهي في خاطر الهوى أمسيهْ

يتلاشى الوجودُ في كبد المبهم

كالظل في الرحاب السنيـــهْ

إنما الأرضُ دميةٌ تتلـــــــــوى

فوق نيران قبضـــةٍ ذريـــــهْ

أين منها الخلودُ وهي ضبـــابٌ؟

ليس في الأرض ليلةٌ قمريـــهْ

فاجثمي يا حياةُ في قبضة الموت

وتيهي، فلست للأزليـــــهْ![3]

فهو في هذه القصيدة ، أقرب إلى الفيلسوف الحكيم المتأمل منه إلى العاشق الذي يستذكر تجربة دموع التجربة وعذاباتها بروح المفكر المتأمل في الحياة والناس.

ورغم ما عرف به الشاعر في حياته اليومية، من النشاط والأخـــلاق والحيويـــة النابضة المتوهجة، نراهنا يفكر بالهروب من الحياة والا نزواء في صومعة بعيـــدا عن صخب الحياة وضجيج الناس، حيث يدفن ما فيه في عاثر آماله ومتبدد أمانيـــه،

---

(1) صدوق، ديوان كان لي قلب، ص96.

(2) المرجع نفسه، ص19.

(3) المرجع نفسه، ص89.

لأنه غدا يحسب نفسه ليس في إعداد الأحياء وإنما على فراش الاحتضار. حيث يقول في قصيدة "قصة شاعر":

يا ترى أين سُيلقي رحلـــهُ

ومتى يخفضُ للشمس الجباهـــا

ربما يمضي إلى صومعةٍ

يدفن الماضي بأعماق ثراهـــا

لا تسلهُ... إنه محتضـــــر

جرعته خمرةُ الماضي آساها[1]

لكنه سرعان ما يجد جوابا على تساؤله يخرجه من حيرته وضياعه، حيث يقول في قصيدة "عودة إلى الصومعة":

ومضيتُ لا أدري، لصومعتي

حيرانَ في دربي

تطغى عليَّ الذكرياتُ البيض

وتسيرُ (كالجيش العرمرم) في مخيلتي

تنسابُ في صمتي

كأصابع الموت!

كالليل يصرخُ، كالشياطين الدنيئةْ

كالجنِ تعزف في أسى لحن الخطيئة[2].

(1) صدوق، ديوان كان لي قلب، ص25.

(2) المرجع نفسه، ص97.

2.3.2 الغربة والحنين:

يبدو أن الإنسان منذ بدأ يضرب في الأرض قد حمل بين جوانحه ضروباً من الإحساس بالغربة حتى لقد تلونت قطاعات عريضة من أدبه بعد ذلك بهذا الإحساس[1].

وغربة الشعراء أصعب من سواها فهم في طبيعتهم المنفردة وإحساسهم المرهف يحسون بوطأة الغربة ، ولا سيما إذا كانوا في وسط لا يفهم ولا يقيم لهم وزنا عندها يسعى الشاعر هنا إلى محاولة لإعادة صياغة واقعة من أجل إصلاح المجتمع والنهوض به، أو إلى أن يتمرد على هذا الواقع من خلال نقده وتوجهه لشعوره بقوة شخصية ترفض الذوبان والاستسلام[2].

وإذا كان الشاعر صادقا في التعبير عن الحياة في كل نواحيها فلا بد أن يعبر عن الآم المجتمع وآماله، كما أنه من الناحية الأخرى يعبر عن ألآمه وأحاسيسه الخاصة التي هي في أعمق أغوارها أحاسيس الأكثرية من أفراد هذا المجتمع [3]. إن الغربة عن الأرض هي ابتعاد الإنسان عن وطنه قسرا وإجبارا فأجبر أن يعش بعيدا عن وطنه الأصيل يقول ستاندال "الوطن الحق هو الذي تلتقي فيه بكثير ممن يشبهونك"[4].

والغربة عن الأرض تفضي لغربة بين الناس وشعور بالعزلة عنهم المفكر شاعرا كان أو أديبا مولع باعتزال الناس[5].

---

(1) فهمي، ماهر حسن : الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة الجبلاوي، 1970م، ص5.

(2) الشلبي، محمود: عبد الرحيم عمر شاعرا،ط1، مطبعة الخالدي، عمان، 1984م، ص74.

(3) البصري، عبدالجبار داود : بدر شاكر السياب، رائد الشعر الحر، دار الجمهورية بغداد، 1968م، ص86.

(4) نقلا عن د. هلال، محمد غنيمي، الرمنتيكية، ط6، دار العودة، بيروت، 1981، ص88.

(5) مغنية، أحمد محمود : الغربة في شعر محمود درويش (1972-1982)، ط1، دار الفارابي، 2004، ص19.

ويدخل في الغربة والاعتزال عناصر من مثل الإنسلاخ عن المجتمع، والعزلة أو الانعزال والعجز عن التلاؤم والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع واللامبالاة وعدم الشعور بالانتماء بل انعدام الشعور بمغزى الحياة[1].

ويصاحب الغربة كما أشار محمد الشوابكة "مظاهر القلق والأرق، والاكتئاب والضياع والاضطراب والشعور بالوحدة إلى غير ذلك[2].

والغربة عن العالم الذي يعيش فيه الشاعر يعزز هذا الشعور بالغربة انتماؤه إلى عالم الحلم والخيال والشعور بدونية عالم الواقع لذلك كان تصوير الغربة من الموضوعات العزيزة على قلب الشاعر الرومانسي[3].

ومن الشعراء الذين تحدثوا عن الغربة والحنين الشاعر راضي صدوق ، إذ حمل لواء شعر الغربة، حيث ظهر غريبا قلقا منكسراً، ويظهر هذا الانكسار جليا في قصائده ذات الطابع الوطني وفي قصائده ذات الطابع الوجداني أو الفلسفي على السواء.

أ. ونلمس عند صدوق في هذا النوع من الشعر ظاهرتين:

ب. الإحساس الفظيع بالغربة.

ج. والإحساس بالعدمية.

والظاهرة الثانية ناتجة عن الأولى، واعتقد أن صدوق أحس بالغربة ليس إحساسا فرديا بقدر ما هو إحساس ذو صفة جماعية يشترك فيها جيل كامل من المثقفين الذين يتمتعون برهافة الحس والوعي الكامل معا.... [4]

عاش صدوق في بلدة "طولكرم" طفولته لا يذكر منها إلا هدير الطائرات ودوي المدافع،وجنون الرصاص،ولون الدم المسفوح عندما يمزج بتراب الأرض، لم يشعر

---

(1) شقيرات، أحمد: الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب، ط1، دار عمان، 1987، ص12.

(2) الشوابكة، محمد: الغربة والاغتراب في شعر ابن دراج، مجلة مؤتة، م 4 العدد 2، 1989، ص139.

(3) سعيد، خالدة: حركية الإبداع، دراسات في الأدب العربي الحديث ط2، دار العودة، بيروت، 1982، ص5.

(4) صدوق، ديوان بقايا قصة الإنسان، ص94

بالأمن والأمان ذات لحظة، كان يحدس ضمن طفولته بيوم أسود حالك القتام ينتظرهم من وراء الزمن الآتي ليقذفهم فرائس في أشداق الاغتراب والتشريد، ولقد تنفس صدوق هذا الحدس صريحا بملء رئتيه في قصائده الأولى في مطالع الخمسينات، حيث كان الإحساس المبكر بأن بلدة "طولكرم"ستسقط يوماً ما في أشداق العدو الصهيوني الهمجي. وظل هذا الإحساس الجارح الخائف المؤلم يكبر في داخل صدوق مع الأيام والسنين حتى كتب قصيدة بعنوان إلى طولكرم تحمل هذا الإحساس قبل سقوط المدينة في براثن الصهاينة في حرب حزيران عام 1967م نشرتها مجلة العربي الصادرة في الكويت.

كان الإحساس بالغربة يتلبس صدوق وهو في وطنه قبل ضياعه ، لأنه يشعر بأن أبناء الشعب الفلسطيني مدفوعون إلى الغربة بعيدا... بعيدا عن تراب الوطن والعشيرة. إن الغربة فلسطينية ، وكل فلسطيني هو الغربة ذاتها هو لونها وجراحها وعذاباتها ونشيدها النازف الصارخ في متاهات العالم الأصم ، يقول: "منذ خمسين سنة وأنا رحلة اغتراب دائم، الغربة تسكن خلايا الجسد وأثير الروح ونسغ الدم، أرحل معها وترحل معي نتسامى علقم الذل ونتلمظ مرارة الرحيل ونحن نتساقط من ميناء إلى ميناء، تتقاذفنا المطارات وتلهو بنا مراكز الحدود على مدارات الأرض، خمسون سنة والغربة قدري وأغنيني وهويتي التي يعرفني بها الآخرون، خمسون سنة وأنا أحمل وطني حقيبة على الكاهل وأخبئه دمعة في العين، وخفقة في القلب وعطرا في نسغ العروق يفرح الناس بأوطانهم ولأوطانهم وأنا أبحث عن وطني بين أطلال الحلم وسراب الوهم وضرائب الذكريات وجماجم الشهداء".[1]

أحس صدوق مرارة الغربة،إذ نجده يدعو"بابل" وهي المدينة الموعودة التي نفي إليها الشاعر وأهله،ويطلب منها أن تفتح أبوابها لهم.

يقول في قصيدة "على أسوار بابل":

نحن منفيون، يا أرضُ، أتينا من قباب الله في القدس القديمةْ....
ليس في أعيننا رجسٌ، وما في أرضنا روح زنيمةْ
مثلما كان بنو يعقوبَ

(1) مقابلة شخصية أجريتها مع الشاعر بتاريخ 2008/3/1م

غرقى في وحول العار في ليل الخطيئةْ
ما أقمنا هيكلاً للفسق لم نرجمْ بريئةْ [1].

ونجد صدوقا يحس بغربه مكانيه إذ يعاني من (التشرد والنفي)، تلك الغربة التي وصفها الدكتور ماهر حسن فهمي بقوله :"كان الاغتراب المكاني اغتراباً فردياً،تخلع القبيلة فرداً أو يبقى الحاكم فرداً،أو تضطرُ الظروف الاقتصادية أفراداً إلى الرحيل،أما اليوم فتتسع الدائرة وتصل إلى حد غربة شعب بأجمعه مثل ما حدث في فلسطين. [2]

إن الغربة التي عبر عنها صدوق هي غربة شعب بأكمله،شرد ونفي عن وطنه الحبيب، بعدما سرق اليهود وطنهم ، وهم الذين يصورهم في قصيدته (على أسوار بابل)أدق وأعمق تصوير نلحظ منه إحاطة الشاعر بخصائص الذات اليهودية وملامحها التاريخية المعروفة عنهم والتي عُرفوا بها في كل أرض حلّوا فيها، كما تلحظ معرفته بتاريخهم ودقائق توراتهم المتداولة، يقول صدوق:

نحن منفيون يا بابل، جئناك جياعا
سرقتْ موسمنا جرذانُ يعقوبَ.... بغاياهُ اللعينةْ
خرجت من قمقم التاريخ، تجترُ بقاياها، تصبُّ
الزيتَ والنارَ على الموتى الرمادْ.
نزرعُ الأرضَ أفاعي وجرادْ
ألف "راحاب" بغيَّة
أسلمتْ "يوشعَ" نهديها، وباعتْه المدينةْ [3].

ويصف صدوق حلة المنفيين من وطنه فلسطين بعد احتلال اليهود لأرضهم وتشردهم في متاهات الأرض باحثين عن موطئ قدم أو ظل خيمة تؤويهم وتحنو عليهم، حتى نراه يعبر عن قومه ويأسهم من العثور على ملجأ أو منفى يقرون فيه،

---

(1) صدوق، ديوان النار والطين، ص7
(2) فهمي، الحنين والغربة في الشعر الحديث، ص5
(3) صدوق، ديوان النار والطين، ص8.

بنبرة مستسلمة للظروف والأقدار، كل ذلك مقابل أن يجد له جـــدار اً يـــسند ظهـــره المتعب إلى ظلاله، يقول:

افتحي الأبوابَ يا بابلُ جئناك أسارىَ طائعينْ
أطفئي أعيننا بالليل، شُدّينا إلى القيد اللعينْ
نحن جئناك أسارى طائعينْ [1].

ويلح صدوق في توسله إلى " بابل " أن تفتح لهم أبوابها، لكنها لا تستجيب بـــل إنها تشيح عنهم وتخبئ أسوارها بعيدا عنهم، يقول:

خبأت أسوارها بابلُ، ما عادت تطيقْ
موكب النفي يشقُّ الليلَ، جوعانَ غريقْ
دمعت عيناك يا بابل للجرح العميقْ
أشرعي أبوابك الربداء إن الليلَ طالْ
هاهم الأحرارُ، بقيا من ظلالْ
تتمطَّى في فراغ الدرب كالُسل تنزَّى في العظام
ظمئت أكبادهم للظل، ضمّيهم.... على الدنيا السلام[2].

وبابل عند الشاعر تصمت ،ولا تستطيع الكلام لا لأنها ليس فيها منفـــى لـــشعب كريم أُخرج من وطنه من دون ما إثم أو ذنب أو جريمـــة، بـــل لأن بابـــل فتحـــت أسوارها، في الماضي القديم، لجماعات اليهود، والشاعر في تسجيله رفض " بابل " إيواء الشعب الفلسطيني كأنما يريد تنزيه شعبه الكريم عن أن يكون كـــاليهود فـــي الطباع السيئة والآثام التي فعلوها عبر التاريخ ضد الإنسانية جمعاء، يقول:

صمتت بابلُ...
هل يُجدي الكلامْ؟
ليس في بابلَ منفىً لكرامْ
إنها سجنٌ لقطَّاع الطريقِ

---

(1) صدوق، ديوان النار والطين، ص9.

(2) المرجع نفسه، ص9.

ليس في بابلَ سجنٌ لطليقْ . [1]

ويتساءل صدوق ماذا يفعل إنسان مهزوم منفي ومقتول؟ لا يستطيع أن يصنع شيئا بل إنه لا يملك حتى الإحساس بالمصائب والويلات والجراح التي أصابته:

ماذا يصنع مهزومٌ.... منفيٌّ.... مقتولُ؟

لا يملك حتى الإحساسَ بنزفِ الجرحْ؟ [2]

ويؤكد صدوق بأنه ما يزال غريبا منفيا شريدا، حيث يقول في قصيدة "بكائية:

في ليالي الصمتِ والذلة... في تيه الغريبْ

لم أزلْ يا عشَّنا الطيبَ منفياً شريدا...

آهِ من تيهِ الغريبْ! [3]

وهو يصور لنا صورة الإنسان الغريب في شخصية النازح عن وطنه والبعيد عن أصله وعشيرته، معبرا عن كل ذلك جميعا بغناء أشبه ما يكون بغناء الطيور النازحة عن أعشاشها، يقول في قصيدة " لحظة كآبة ":

أغني غريبَ الدارِ والأهلِ والهوىَ كما تندبُ الأعشاشَ نازحةُ الطيرِ

حنانكَ... طال الليلُ واشتعلَ الأسى فهاتِ لي المقدورَ... خُذني إلى قبري[4]

إن الإحساس بالغربة يسكن خلاياه ويتجسد سلوكاً ونظرة ومعاناة، حتى في يومياته المعيشة، مع ذاته .... مع أبنائه.... مع أحبائه وأقرب الناس إليه، ففي قصيدة له عنوانها " إلى الصغيرة رلى" تتجلى كل هذه المعاناة والمعاني، في يوم متزع بالشجن.

يقول:

صغيرتي.... أنتِ هنا عالمٌ من غير لونٍ مستباحٌ شريدْ

الشمسُ لا تُشرقُ في أرضه ولا يغنّي بليلٌ أو يُعيدْ

وكلُّ معنى خيرٍ... خالدٍ... تموت سيماهُ... ويفنى الخلودْ

---

(1) صدوق، ديوان النار والطين، ص10 .

(2) صدوق، ديوان بقايا قصة إنسان، ص47.

(3) المرجع نفسه، ص61.

(4) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص55

أنتِ هنا غريبةٌ يا "رلـــــى" بنتُ غريبٍ مستذلٍ طريـــــــدْ
يعيش للموتِ.... وما من مُنيٍ يحيا لها العمرَ سوى أن يعودْ .[1]

وتتجلى المعاناة أيضا في قصيدة عنوانها " شاعر في الطائرة " قالها وهو فـــي الجو، بين السماء والأرض:

شُقي بيَ الأفقَ فأنّي هنـــــا في موطني... لستُ الغريبَ الوحيدْ
من كان لا يملك فوقَ الثرى عشاً له بين زحـــــام الوجـــــودْ
فالجو أسمى موطنٍ للـــــذي يحيا على الدنيـــــا غريباً طريدْ[2]

ولعل هذا المعنى يعبر عن يأس الشاعر من نجدة أهل الأرض وإيـــوائهم لـــه ولشعبه، إذ يمني نفسه بأن يجد له سكنا آمنا وحضنا دافئا في.... الفضاء!.

ويلح عليه الإحساس باليأس من الأرض وأهل الأرض، فيخاطب نفسه ليعيدها إلى صوابها و تعرف حقيقتها، حتى لا تجمح فتنسى أنها غريبة لا مكان لها بين أهل الأرض جميعا، يقول في قصيدة " أحزان الشاعر الغريب " مخاطبا نفسه:

من أنتَ غيرُ غريبٍ ضاعَ موطنه وديسَ في زحمة الأقدامِ وانسحقا
الأرض تُنكر في عينيكَ لونهما إن الغريبَ سرابٌ حيثما ائتلقـــــا[3]

ويصف صدوق الغربة النفسية التي يعيشها، إذ يعبر عن فقدان الـــذات حيـــث الإنسان يكوّن سلوكه من خلال البيئة التي يعيش فيها، فهو يستـــشعر بـــأن الأرض تنكره، وتنكره الطيور المهاجرة من وطن إلى وطن، حتى أنه ليكاد يشك في ذاتـــه وماهية وجوده، يقول:

أسائلُ عن وطني كلَّ طيـــرٍ فتنكر ما عرفتْ موطنـــا
وتُنكرني الأرضُ! من ذا تكونُ؟ وأسألُ نفسي: من ذا أنـــا؟
إذا الليلُ أسدلَ أجفانـــــهُ أويتُ له جدثاً موهنـــا[4]

---

(1) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص55 .
(2) المرجع نفسه، ص125.
(3) صدوق، ديوان رياح السنين، ص64.
(4) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص50.

وعلى صعيد آخر، يتبدى لنا تركيز الشاعر على العلاقة بين الغربة والهوية ... فهو يرى بأن الغربة تضيّع هوية الإنسان الغريب، وتجعل منه كائنا لا هوية لـــه إلا المأساة، وذلك بسبب فقدان وضياع وطنه، وأكثر ما يجسد ذلـــك فـــي الفلـــسطيني المشرد الطريد المبعثر في كل اتجاه، ففقدان الأرض ينـــتج عنـــه فقـــدان الهويـــة الإنسانية، وقصيدة "عند بوابة المستحيل " للشاعر صدوق تختصر هذا المعنى وتُلـــح عليه.

أنت وحدك لا فجرَ ولا ربيع
وحدكَ لا لونَ له ولا هويةَ إلّا المأساة
والأرضُ التي سرقوها من تحت قدميك
ليدفعوا بك خروفاً ضالاً، في متيهة الذئاب، ومسالخ الجزّارين[1]

فصدوق يعيش بلا هوية، لأنه يشعر بأنه غريب لا وطن له كالآخرين ... كمـــا يشعر بالضياع وفقدان الهوية الإنسانية، حيث يتحول الناس الغرباء إلى خرفان ضالة تائهة، في متاهات الذئاب ومسالخ الجزارين.

ومن أبرز مظاهر الغربة النفسية التي يعيشها صدوق، الشعور بالوحدة، حيـــث يقول في قصيدة "لكل ليل ظالم قمر":

سكن الوجودُ إلى غلائلـــه وبقيتُ لا مأوىً ولا ستـــرُ
وحدي أكفكفُ عبرتي بيدي وأكادُ أحبسُها... فتنحدرُ؟[2]

ويصرخ صدوق من أعماق كهف اليأس والوحدة القاتلة ، حيث يقول في قصيدة "أطياف".

وأصرخُ من كهف يأسي ووحدتي القاتلةْ:
لماذا تسافرُ روحي... وتتركني القافلةْ؟![3]

والوحدة تجعله إنساناً حزيناً تشجر في أعماقه الأحزان، وتشعل النيـــران بـــين أعضائه، يقول في قصيدة "هذه ساعة الفراق":

---

(1) صدوق، ديوان الحزن أخضر دائما، ص16.
(2) صدوق، ديوان رياح السنين، ص17.
(3) المرجع نفسه، ص49.

أنا وحدي، ووحشتي، وصمودي واحتراقي... وشقوتي... وعنائي
وكتابي يكاد يضجر منّـــــي وجراحي تضجُّ من كبريائـــي!
أَغمضَ الليلُ جفنه واستفاقــتْ في عروقي مواجعُ البر حـــاءِ
وطيورُ الأحزانِ تنقر قلبـــي وتمورُ النيران في أعضائـــي[1]

ويربط صدوق بين الغربة وبين الإحساس بالوحدة والوحشة وهو يـشعر بأنـه عندما تداهمه الوحدة وتختم عليه، يشعر بأنها كالعناكب تعشعش في عيونه وتنـسج من جفونه أبياتها، وتصبح خطاه ثقيلة على الأرض مثل الـسلاحف، بـسبب تلـك الغربة النفسية التي يعيشها، ولعل قصيدة "قطرات من الجرح القديم" تجسد كل هـذه الأحاسيس والصور والمعاني، يقول:

غداً سوف تكبو خطاه
ويصحو على الدربِ، بين زحام الوجوه، غريباً وحيدْ
تعشش في مقلتيهِ العناكبُ،
تنسجُ أبياتها من جفونهْ
تشدُّ خطاه السلاحفُ للأرض، تثقله بالقيودْ[2].

ويسهر صدوق مع الليل بلا مؤنس، لأنه وحـ يد أعزل نأى عنه أطفاله، بـسبب هدم اليهود بيته الذي كانوا يعيشون فيه، يقول في قصيدة "كان لي قلب":

وحدي مع الليلِ بلا مؤنـسٍ أو موحشٍ كالمارد الأعـــزلِ
قد هدم العشُّ... فيا بومـــةً يا حيةً رقطاءَ... لا تُعولـــي[3].

ويترحل صدوق في الدنيا من قطرٍ إلى قطر، ومن قارة إلى قارة، ومن شـرق إلى غرب، فيصبح مثل السندباد الذي أرهقته الـ غربة يسكنه الحلم بأنه لا بد لهذا الليل البهيم من قمر يبدد قتامه ويبعث الضو ء في عتمة النفس الراحلة أبداً ..، ونحن نجـد كل هذا في قصيدته "لكل ليل ظالم قمر".

فكأنني ضوءٌ ولا لهـــبٌ وكأنني عطرٌ ولا زهـــرُ!

---

(1) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص90.
(2) صدوق، ديوان النار والطين، ص31.
(3) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص58.

أرتادُ هذا الكونَ خاطـــــرةً كالسندبادِ أمضُّهُ السفـــــر[1]

وعندما يرحل صدوق جواباً في الأرض، فإنما يحل من دون أن يعرف الغايــة من هذا الرحيل، وأين سيرسي به زورقه في نهاية المطاف، يقول:

وأرحلُ لا أدري إلى أي غايةٍ وأيانَ يُرسي زورقي بعد رحلتي[2]

ويؤكد صدوق بـ ان هذه الغربة لا تتبدد إلا بالعودة إلى أحــضان فلــسطين الأم والوطن فيسأل: هل سيأتي المنقذون المخلصون؟ وهل يطلع فجر الحرية والنــصر؟ حتى تنتهي الغربة بالعودة إلى الأرض والوطن الحبيب، يقول في قــصيدة "عيــون حزيرانية":

ترى يأتون من خلفِ الليالي موكباً من نورْ؟

ترى يأتون؟

وأغفى الصمتُ يضحك من رُؤى الأوهامْ

وأغفت أمنياتي في ذُرى الأحلامْ

وقهقهةَ ماردٌ في الليلِ... أين الفجرُ؟... أين النورْ؟[3]

إننا نرى الشاعر يربط بين الوطن وكل العواطف والمعاني والتجارب الإنسانية الجميلة، حتى الحب خارج الوطن السليب لا صدقيه ولا معنى فيــه، فاللقــاء بــين الفلسطيني ومحبوبته زيف وعار خارج وطنه فلسطين، إنها غربة نفــسية يعانيهــا الشاعر لا يستطيع الخلاص منها إلا بالعودة . يقول في قصيدة "رسائل فــي بريــد حزيران":

كلانا غريبْ

لقانا ونحن غريبانِ زيفٌ وعارْ

تعالي أضمكِ في أرضنا.... في ظلال الجراحْ

نُشيعُ كلَّ أكاذيبنا

---

(1) صدوق، ديوان رياح السنين، ص20

(2) المرجع نفسه، ص121.

(3) المرجع نفسه، ص75

وتحيينَ والقدسَ في أضلعي[1].

لقد أدرك صدوق أبعاد الغربة قاطبة، معبراً عن غربة الإنسان في الحياة بجوانبها كافة: النفسية والمكانية والاجتماعية، وتركزت الغربة لديه بالإحساس بالضياع والتشرد والوحدة والترحال الدائم.

وكانت فلسطين تعيش معه كل لحظة من لحظات العمر، وكذلك مدينته الصامدة على خط النار (طولكرم).

3.3.2 الحزن والتشاؤم:

إن الحزن أو الكآبة طابع غالب على الشعر الوجداني، وهو قول حق لكنه لا يصدق على نماذج كثيرة من الشعر، كما تختلف الكآبة فتظل صورة لحالات نفسية عارضة، وتعمق أحياناً وتمتد حتى توشك أن تكون نظرة ثابتة إلى الحياة والكون تدفع الشاعر إلى كثير من التأمل في غاية الحياة وصبغة الخير والشر والجبر والاختيار.[2]

والحزن ظاهرة في الأدب العربي في مجالاته كافة، وفي الشعر على وجه الخصوص، فما الذي يدفع بالشاعر إلى الالتحام مع الحزن ؟ وصيرورته كتوأم روح لا ينفصل عنه ولا ينفك إلا في حالات نادرة ؟ فنحن لا نكاد نقرأ ديواناً، سواء للقدماء من الشعراء أم المحدثين، إلا وقد رسمت غيمة الحزن والفراق والألم على صفحات كتابه. والغريب في ذلك هو ميل النفوس والأذواق إلى هذا النوع من الموسيقى الروحية والشاعر نادراً ما يكون خارجاً عن دائرة الأحزان والظروف المهيأة لها فغالب الشعراء نشأوا إما أيتاماً أو فقراء أو مغتربين أو مهجرين أو منفيين أو عاشقين . والقارئ يجد بين الشعراء من ينعى نفسه ومن ينعى وطنه وحظه..... وقد تولد الحزن عند الشاعر العربي من ظرفه الذي يعيش فيه، ومن الأرض الملغمة بالصدمات والانكسارات والهزات فتصبح سارية في جسمه ... في

---

(1) صدوق، ديوان النار والطين، ص35

(2) القط، عبدالقادر، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ط 1، منشورات جامعة اليرموك، اربد،1980م، ص271.

جميع أعضائه...لتنعكس على مواقفه ووجهات نظره في الحياة، وبالتالي تنعكس على شعره فتسبغ عليه الصبغة الحزينة، ليعرف فيما بعد بشاعر الحزن والأسى.

والحقول التي يتمحور حولها الحزن عند الشعراء هي :الغربة، الموت، الرحيل، المنتهى، السفر، الدموع، الخوف من المجهول،الأسى، الفراق، الانتحار، الدموع، وكل معاني اليأس، فالحزن والشعراء ملتحمان خيطهم واحد وبدايتهم واحدة . وهناك من يرى أن الشاعر العربي ولد لكي يكون حزيناً ... عرفناه شاعراً جاهلياً باكياً للأطلال، وراثيا مفتقداً للأحباب، وحاملاً لهموم الأمة بتاريخها الطويل وتجاربها الدامية المتواصلة[1].

غير أن الحزن يتفاوت من شاعر إلى آخر، وفي السياق ، نجد أن راضي صدوق شاعر الحزن بامتياز، ونحن نلمح ذلك ونلمسه في نتاجه الثري طوال مسيرته الشعرية، حتى أنه سمى أحد دواوينه المطبوعة بعنوان "الحزن أخضر دائماً".

وهويتحدث عن ظاهرة الحزن في شعره فيقول : عندما أطوف في عوالم الماضي البعيد القريب، أذكر أننانحن الجيل الأول من أ بناء النكبة العربية في فلسطين كنا نتمزق جوعاً وألماً ودماءً .. نبحث عن لقمة الخبز لكي تشغل في شراييننا بعضاً من الحرارة والقوة من أجل أن نواصل سيرنا في طريق قدرنا المكتوب إلى شواطىء نحن نريدها ولا نتمناها، ونعمل من أجلها ولا نحلم به ،كنا نقتسم رغيف الخبز بعدالة وإيثار، حتى إذا ما استقرت اللقمة الضئيلة البخيلة في البطون، انطلقت سواعدنا، نحفر بطن الأرض، ثم ترتفع إلى السماء الكريمة بأدعية قوالة في ابتهال مؤمن غير ذليل ... وكان الشعر رفيقنا في الدرب، يؤنس وحشتنا ووحدتنا، ونحن تحت مطر الرصاص الغادر، وكنا حينذاك صبياناً نقطع رحلة بين المدرسة والبيت. وظل هذا الرفيق الأنيس يتغذى من أعماقنا الكئيبة الكابية، وينمو على حساب أعصابنا وشراييننا ونهار أعيننا[2].

ولقد ثار على صدوق في مطالع بدايته مع الشعر – جمهرة من النقاد والقراء، ثورات كانت تملأ صفحات كاملة من الملحقات الأدبية في الصحف الأردنية، بسبب

---

(1) مقابلة شخصية أجريتها مع الشاعر بتاريخ 2008/2/14م

(2) المرجع نفسه.

هذا الحزن القاتم الأسود وتلك الروح ا لحزينة الغريقة بالدمع .. واتهموه بالتخاذل والاستسلام، وما دروا أن أغنياته الحزينة، تلك وهذه، هي من وجيب هذا القلب المؤمن الصامد الذي ما استسلم يوماً لزوبعة، ولا غنى على وتر كاذب أو منافق أو خؤون وما دروا أنها أيضاً بعض أناشيد العزاء و التأسّي التي كانت يهدهد بها قلبه وشبابه وربيعه وهو يعبر رحلة صموده وسط عذاب الحرمان والألم والموت، حتى كتب له النصر في أكثر من معركة، ومع هذا فما يزال قلبه يغني، مجروحاً حزيناً، ربيعه الذي ضاع، وشبابه الذي انقضى ..حتى أيام كان ما يزال في ميعة الصبا ورونق الشباب.

لقد ظهر الحزن عند صدوق في عدد من قصائده ، وهو يعترف بأنه حزين، حيث يقول في قصيدة "أين مني الربيع":

إيه يا شاعري الحزين رويداً

إنّ صرْفَ الأيامِ غيرُ أمينِ

كم تبسَّمت والليالي غضابٌ

وتمَّرغت بالهوى والمجونِ..

ومنحت الأيامَ معنىً جديداً

لم يهوِّمْ على خيال السنينِ [1]

وقد عرف من حوله هذه الانغمار في الحزن المشبوب، منذ أوائل طلوعه وظهوره شاعراً، حتى محبوبته تخاطبه وتصفه بالبائس الحزين، وه و لا ينفي عنه هذه الصفة، بل نجده لا يبررها ويفلسفها في رسائله الشعرية الموجهة إلى محبوبته، حيث يقول في قصيدة الرسالة الثانية:

تقولينَ: أنت بئيسٌ حزينْ، ومثلك لا يقطفُ الفرقدا

وروحي أنا من ضياء النجومِ، وروحك من شهقات الردىَ

ولكنْ.... أناتكِ إنّا ترابْ، وسوف نعودُ إليه غدا.... [2]

---

(1) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص105.

(2) صدوق، ديوان كان لي قلب، ص66.

ويُسقط صدوق حزنه على الأمطار فيجعلها تبكي دموعاً، وعلى الرياح فيجعلها تعصف الأرض، وتزوبع الرعود، إذ تكشف لنا تلك الأوصاف الحالة النفسية الحزينة التي يعيشها صدوق، فهو يقول في قصيدة "قطرات من الجرح القديم":

وما همَّ؟!..... فلتتفجرْ دموعُ المطرْ
ترابٌ هي الأرضُ، تعصف فيها السمومُ، تضجُّ الرياحْ
تعاليْ نشدّ السحاب، نزوبعُ كالرعد، نخفق مثل عوالي الرماحْ
نغسلُ أحزانَ كلِ البشرْ. (1)

لكنه في موقف آخر، يرى أن الإنسان الحزين لا يشعر به أحدٌ ، ومستلهم الأحزان لن يصغي إليه أحدٌ لأنه "حزين، والناس ينشدون الفرح والمسرات والبهجة، يقول في قصيدة "رحلة العبث":

أناتكَ يا مغني الصمتِ.... يا مُستلهم الأحزان
لن يُصغي إليك البحر
ولن يسمعك الركبانْ
لقد سدت صواري الريحِ كلَّ مسامعِ السفنِ
وماتت لهفةُ البحارْ
ومات الصمتُ
خلف زوابع التيارْ
أناتك، لن يمدَّ إليك، هذا الشاطئ الصخريُّ أيديهِ
ولا يهفو إليك الرملْ
لأنك يا مُغنّي الصمتِ والأحزانْ (2).

ويكشف لنا صدوق عن صفات الإنسان الحزين، فالحزين قليل الراحة والنوم، يعيش طوال حياته أرقاً بائساً متشائماً من الحياة، هذا ما عبر عنه في قصيدة "أغنية شاعر مجهول":

كم من ليالٍ عشتها أرقاً حزينْ

---

(1) صدوق، ديوان النار والطين، ص34.
(2) المرجع نفسه، ص15.

في ظل صومعتي الحنونْ
والشمعة الصفراء تنزف في شجونْ
لكنما كبدي
تغفو على كمدٍ
كالنار تصخب في جنونْ
تصليه زمجرة الحنينْ.....
للأمسِ..... للماضي..... لأعماقِ السنينْ[1].

ويخاطب صدوق "أمه" ويشكو إليها الأحزان التي لازمته وسكنت في أعماقه، يقــول في قصيدة "إلى أمي":

يظل الحزنُ مسحوباً على عينيك..... يا أماهْ
يلونُ جرحك الدامي..... بألوان من المأساةْ
يظل الحزنُ..... هذا الصخرة الشوهاء.... يفغر فاهْ
ويخنق في ثراكِ السمحِ كل جداول الأمواهْ
سدىً يا أمّ تنتحبين.... لن يسمعَ غيرُ اللهْ[2].

ثم نجده يتحدث لأمه، عن حياته البائسة، بعد أن مضت السنون برونــق العمــر وبريق الشباب.

يقول في قصيدة "إلى أمي":

مضى يا أمُّ زهو العمرِ ما عادتْ لنا أيامْ
وحطَّ الليلُ خيمتهُ.... وغيبَ موكبَ الأحلامْ

وشاه النورُ في الأعينِ.... جفَّتْ شعلةُ الإلهام[3].

ويجعل صدوق من رحيل الأحباب سبباً للحزن ، إذ أصبحت ديارهم خالية لم يبق فيها إلا الحزن والذكريات، يقول في قصيدة "لكل ليل ظالم قمر":

---

(1) صدوق، ديوان النار والطين، ص96.
(2) صدوق، ديوان رياح السنين، ص70.
(3) المرجع نفسه، ص71 .

لهفاً عليكَ... مضى الزمانُ بنا
العمرُ حلمٌ، والصبا غــررُ
ومنازلُ الأحبــابِ مقفـــــرةٌ...
لم يبق إلا الحزنُ والذكــرُ
ومواعــظ الأيــام ماثلـــــــةٌ
تروي أحاديث الألى عبروا
رحلوا مع النسيان أحجيـــــةً
حارتْ بها الأجيالُ والعصرُ
وأنا هنا في الليلِ معتكـــــفٌ
تلهو بي الأحــلامُ والفكــرُ
مهما يطلْ ليلُ الأسى أبــداً
فلكلّ ليــلٍ ظالــمٍ قمــرُ!![1]

ويؤكد صدوق أن الوحدة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالشعور بالحزن، فالوحدة تولــد الحزن، حيث يقف وحيداً على نهر من الأحزان، يقول في قصيدة "عيون حزيرانية":

أنا وحدي على نهرٍ من الأحزانْ
قبابي لم تزل خرساءَ... لا كلمةْ
شفاهي أطفأتها الريحُ... لا بسمةْ
سمعت صراخكم في الليل يطوي غربةَ الآفاقْ[2]

إلا الحزن عند صدوق أخضر دائماً بمعنى أنه ملازمه ولا فكاك منه، لكنــه أيضاً مصدر خصب وعطاء وإلهام له، لا تنضب ينابيعه، إذ يحمل فيه طياته الأمل والبشرى بالعودة إلى الوطن السليب، ويتجلى هذا المعنى في قصيدة "الحزن أخضر دائماً":

قل لي: هذا الخيطُ الأخضرْ
هل ينبتُ من أعماقٍ مجهولةْ؟

---

(1) صدوق، ديوان رياح السنين، ص20.

(2) صدوق، ديوان بقايا قصة إنسان، ص75.

ألمع ورقا لا تبصره إلا عين الروح
وألمحُ، في الباطن، بعض جروحْ
هل ينبت هذا الخيطُ الأخضرٌ من غصنِ الدمْ؟
قالوا: قد ينبتُ شوكٌ من وردٍ والفرحِ الطفلْ
قد يزهو من أحزانِ الليلْ
أخضر هذا الحزنُ، يظلُّ، وأنتَ
الراحلُ في التيه، وحيداً تسألك الريح متى تلقي المرساةَ....
متى تحتضنُ الشطآنْ؟[1]

وهفي قصيدة ثانية، يؤكد بأن الخلاص من الحزن لا يكون إلا بالعودة إ لـــى وطنه الحبيب "فلسطين"، بعد تحريره من الاحتلال الصهيوني، يقول فـــي قـــصيدة "وداع عند الشريعة":

خبأتُ كلَّ ما في العينِ من دموعْ
وكل رعشةٍ من الحنينِ
كل خفقةٍ من الضلوعْ
خبأتُ روحي كلها، فداءَ لحظةٍ من الرجوعْ[2].

والحزنيرتبط ارتباطاً وثيقاً بـ الغربة، فمن أهم أسباب الحزن عنـــده الـــشعور بالغربة والبعد عن وطنه، يقول:

عودي إلى ترابنا الحبيبِ، يا حبيبةْ
إنا غريبان هنا
وقد يُقال أننا
نعيشُ في بلادنا[3].

ثم إن الحزن أحيانا كان يصل بالشاعر صدوق إلى درجة التـ شاؤم. يقـــول فـــي قصيدة "خواطر":

---

(1) صدوق، ديوان الحزن أخضر دائما، ص45.
(2) صدوق، ديوان بقايا قصة الإنسان، ص48.
(3) المرجع نفسه، ص48.

زعموا إنمـــا الحيـــاةُ خلـــــودٌ

وهي في خاطرِ الهوى أمسيةْ

يتلاشى الوجودُ في كبـــدِ المبهمِ

كالظلِ في الرحابِ السَّنيـــةْ...

إنما الأرضُ دميةٌ تتلـــــــــوى

فوق نيران قبضـــةٍ ذريـــــةْ

أين منها الخلودُ، وهي ضبـــابٌ

ليس في الأرض ليلةٌ قمريـــةْ

فاجثمي يا حياةُ في قبضةِ الموتِ

وتيهي، فلست للأزليةْ[1]

ومن صور التشاؤم عند صدوق، إنه يرى أن رحلة الحياة هراء، ولن تفـــضي إلى شطآن النجاة، التي يحلم بها الإنسان المرهق الباحث عن خلاص، يقول:

هراءٌ..... دربنا المزحوم بالأحلام والصورِ

هراءٌ رحلةُ المجدافِ. لن تفضي به الأمواج للشطآنْ

ولن تحدو أحلامُ الرمال البيض شوقَ زوارقِ الركبانْ[2].

ويرى صدوق أن الليالي السود أرضعت الشعب الفلسطيني المر، وسقته كؤوس العذاب منذ الاحتلال،شاكياً ظلم هذه الـ ليالي في قصيدته "إلى أمي" التي يخاطب فيها أمه:

هنا، يا أمُّ، تُرضعنا الليالي السودُ غسلينا.....

ونسقيها الدمَ القاني.... ونطعمها الشرايينا.....

نضيء نهارها الذاوي.... بأعيننا..... وتطفينا!

نعيشُ لها وتنحرنا.... وتغرسُ رمحها فينا....

وتلعقُ جرحنا النازفَ، للموت.... تُضحينا[3].

---

(1) صدوق، ديوان كان لي قلب، ص89.

(2) صدوق، ديوان النار والطين، ص22.

(3) المرجع نفسه، ص103.

ولعل خلاصة حزن الشاعر وألمه قد تجلت واضحة في قصيدته التي يقول فيها:

سدىً لن يزهرَ اللوزُ.... ولن يثمر بستانُ
ولن تبتسم الشمسُ.... ولن تسرحَ قطعانُ....
فهذا عالمٌ سبخٌ.... عتيق الجوعِ... ظمآنُ...
وما في أرضه قلبٌ نقيٌّ الحب.... ريّانُ
سدىً يا أمُّ، تبتهلينَ.... ما في الكون إنسانُ
دعي الجرح يواسي الجرح يا أماه في الصدر
وخلي الدمعةَ الثكلى وراء الجفنِ لا تجري....
ولا يرهبك إعصارٌ.... من الأيامِ والدهرِ...
وخوضي في عباب الموجِ في قلبِ من الصخرِ...
بلا معنىً.... بلا لونٍ... فتلك هويةُ العصرِ... [1]

4.3.2 الجانب التأملي الفلسفي:

ظهر عند كثير من الشعراء المعاصرين ما يسمى بـــ "الطابع التـــأملي"، وذلـــك نتيجة لتأملهم الطويل في الذات وفي ما حولهم من الكائنات، شأن الفلاسفة الروحين، انشغلوا بما انطوى في أعماق النفس من المخبآت والودائع وانشغلوا بمشاكل الوجود وقضايا الفناء والخلود "الموت والحياة" فاتجهوا بفـــنهم وشـــعرهم إلـــى اســـتجلاء غوامضها. وهذا الاتجاه نحو الحياة الروحية والمواضيع المجردة هو أروع ما سجله تاريخ الأدب الحديث من تجديد وبُعد نظر[2].

---

(1) صدوق، ديوان النار والطين، ص104.

(2) صيدح، جورج جنبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية ط 3، دار العلـــم للملايـــين، بيـــروت، ص70.

ونجد الشعراء الوجدانيين اهتموا بأن يكون الشعر تعبيراً عن النفس والمشاعر الذاتية بعيداً عن التكلف وكل ما يجعل من الشاعر أداة في يد غيره ولذلك ابتعدوا عن شعر المناسبات[1].

واتخذ هؤلاء الشعراء من الذاتية نقطة انطلاق للعواطف والأحاسيس في المجال التعبيري[2]، فاهتموا كل الاهتمام بالعالم النفسي للشاعر وما يتصل بهذا العالم من تأملات فكرية ونظرات فلسفية تهتم بحقائق الكون وتفتش عن أسرار الوجود[3].

إن الشعر الوجداني من الموضوعات الشعرية الجديدة في الأدب المعاصر ، حيث ينحوهذا الشعر منحىً إنسانياً رقيقاً؛ لأنه حوى خفق القلوب وتساؤلات النفس وحيرة العقول، وتمثلت في المشاركة الوجدانية بين الشاعر وقارئه [4]. ففي ضوء انفعالات الشعراء، يستعيد الإنسان تجاربه، ويطبقونها على تجاربهم المماثلة التي لم يستطيعوا التعبير عنها لأنهم محرومون من هذا الفيض الإلهي وهو الشعر، فإذا بهم يجدون في هذا الشاعر الذي مارس تجربتهم متنفساً للألم المكبوت، ومخرجا للأسى المنطوي، والعاطفة السجينة[5].

ومن الشعراء المعاصرين الذين اتجهو ا إلى الشعر الوجداني "راضي صدوق"، فقد سار في شعره نحو الوجدان وإرسال النفس على سجيتها؛ لأن الشعر لديه تعبير عن النفس والمشاعر الذاتية، ومن أهم القضايا التي تنا ولها صدوق "ثنائية الموت والحياة" إذ يرد الحديث عن ثنائية الموت والحياة أو الخلود والفناء في كثير من قصائده.

---

(1) الكبير، حسن أحمد : تطور القصيدة الغنائية في الشعر العربي الحديث من (1881-1938م) دار الفكر العربي، ص254.

(2) عثمان،عبد الرحمن: الأدب المعاصر، مطبعة دار النشر للجامعات المصر ية، 1968م، ص88.

(3) هيكل، أحمد: تطور الأدب الحديث في مصر ط2، دار المعارف بمصر، 1971،، ص157.

(4) المرجع نفسه، تطور القصيدة الغنائية، ص397.

(5) داود، أنس: التجديد في شعر المهجر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ص136.

يصف صدوق الدنيا بأنها فانية، فالموت هو نهاية الإنسان، و هو خلق من التراب ويعود مجبرا إليه. يقول في قصيدة "الرسالة الأولى":

إنما الدنيا عذابْ

ودموعٌ.... وشرابْ

وكلانا سوف يمضي مرغماً نحو الترابْ

إن هذا اللحد يا روحي، هو الحتمُ المجابْ[1]

وعجيب أن يتوصل الشاعر إلى هذه النهاية، وهو كان ما يزال في مطالع الحياة، لم يواجه صراعها الحقيقي في ميادينها الواسعة، لكأنه كان ينظر بعين قلبه إلى ما تخبئه السنون، فلا يجد خلاصا منها إلا بتطمين نفسه بحقيقة أن الحياة معاناة ولهو، فيها اليسر وفيها العسر، لكن النهاية واحدة وهي: الموت.

ويكاد هذا المعنى يطل على القارئ من خلال كل قصيدة تتصل بتجربة الشاعر مع الحياة، فالقبر دائما يقفز إلى أبياته من دون استئذان، ففي قصيدة "خواطر" يريد صدوق أن يمضي إلى القبر. قائلا:

سوف أمضي مع الضبابِ إلى القبرِ

وأغفو على عزيفِ المنيه

إن هذا الوجودَ يعصرُ ذاتي

في كؤوسٍ من الشرابِ زكية [2]

ويعلل صدوق نهاية الحياة بقوله:

أين منها الخلود وهي ضبابٌ؟!

ليس في الأرض ليلةٌ قمريةْ

فاجثمي يا حياةُ في قبضة الموت

وتيهي، فلست للأزلية [3]

---

(1) صدوق، ديوان كان لي قلب، ص64.

(2) المرجع نفسه، ص89.

(3) المرجع نفسه، ص90.

وفي أحيانا كثيرة، نجده يلتفت إلى نفسه فيراها ذاهلة مستغرقة في غمار الحياة، وكأنها تحسب أنها خالدة مخلدة، فيخاطب ذاته في عتاب لهذا الذهول عن حقيقة الموت التي تنتظر كل إنسان، إذ يقول في قصيدة "لحظة كآبة":

سرى بك طيفُ الموت أم أنت لا تدري؟

ذهلت عن الدنيا وأبحرتَ في الغمرِ...[1]

ويتنبأ بقرب موته ورحيله عن الدنيا التي ملأت قلبه بالجراحات والويلات، حيث يقول في قصيدة "حنانيك":

تزغردُ في قلبي الجراح، وطالما

خنقتُ جراحي في صُراخِ عويلي

أنا الموتُ فانظرني على الدرب ماشياً

ألملمُ أيامي وظلَّ فصولي

حنانك... هذي مهجتي جرحت فمي

أُغنيك فلتسمع دوي صليلي

إذا احترقتْ روحي، فتلك قصيدةٌ

تنبئُ عن موتي وقربِ رحيلي[2]

ويقول أيضا في قصيدة "بوهيمية":

نحن سرابٌ نقطعُ الطريق..... ثم

كلنا مسير إلى زوالْ.....

ونحن يا صغيرُ رحلةُ الترابِ

رحلةُ الزمانِ..... رحلةُ الظلالِ[3]

وهناك ضرب من الموت المقدس الذي يباركه الشاعر، ويجد فيه العزة والمجد والفخار، إنه الموت في سبيل الوطن. يقول في قصيدة "الرماد يورق أزهارا":

الموت في غموضه يحملُ وهجَ ساعةِ الميلادْ

---

(1) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص53.

(2) المرجع نفسه، ص75.

(3) صدوق، ديوان النار والطين، ص67.

يا روعةَ الشروقِ والميلادْ!
ولعنةً على كآبة الظلام والرقادْ
يا عالمَ الجحودِ والنفاقْ
أفق، فالكونَ من رقاده أفاقْ[1].

وفي قصيدة "في بحر الرغوة " يجعل الموت قوة تبث الإرادة والعزيمة، وتشعل النار في نفوس الأحرار حتى يحرروا أوطانهم التي اغتصبت منهم، يقول:

فصبي الموتَ يا صخرة.....
على كتفيَّ، في زنديَّ، صُبي الموتَ واحترقي....
يظلُ الوهجُ في عينيي من خلف الزجاج، يشعُّ بالألق[2].

وثمة موت لا يأبهالشاعر ولا يتخوف منه .... إنه الموت الذي يواجهه وهو في مقام التحدي...وفي هذا السياق نجده، يصف الأبطال الأحرار مخلداً شجاعتهم. إذ يقول في قصيدة "عائد من النار":

مرحبا...
يا وقدة النار،أتيتُ
عيني الرمداءُ مصباحي،
وماءُ الجرحِ زيتُ..
أشرعي ألسنة الموتِ، فقد جنَّ اللجامْ
جاءكِ الفارس يجتاح الظلامْ
مهرهُ الليلُ وعصفُ الريحِ لا يثنيه موتْ[3].

ويمعن في تحديه الموت، غير هياب ولا وجل، ليبني عالمه الخاص، فوق الجراح والدموع والأحزان، يقول في قصيدة "كلمات من القلب":

يا أنت لو تدرين أي الدنـــى
يتوقُ أن يرقى إليهـا الفـؤادْ

---

(1) صدوق، ديوان بقايا قصة الإنسان، ص41
(2) المرجع نفسه، ص55
(3) المرجع نفسه، ص83 .

وأي فجرٍ غامرٍ بالضيـــــــا...

أريده يطلعُ خلفَ الرمـــــــادْ

**** **** ****

لقلتُ: هذا شاعرٌ كـــــــاذبٌ...

أو مستهام بالرؤى، واهـــــــــم

لكنني سوفَ أشقُّ الحيـــــــاة....

بقـــــوة وأنفهـــــــا راغـــــمُ

وسوف أبني عالمي شامخـــــاً

كالشمسِ رغم الموت رغم العذابْ

فالشمسُ لا تطفئ نيرانهـــــــا

كآبةُ الأرضِ وحزنُ السحـــــابْ[1]

وليس بعيدا عن صورة إلحاح الشاعر على موضوع الطين ،نجده يتناول "فكـــرة الطين" حيث أفرد ديواناً كاملاً باسم "النار والطين"يصور الـــشاعر مـــن خلالـــ ه اعتقاده بأن الإنسان لا يستطيع أن يعلو على وجوده المادي أو تتحرر روحه مـــن "قفص الصلصالالذي كتب عليها أن تعيش فيـ ه حياتها الدنيا، حيث ينكر صـــدوق على نفسه من نسيان لوجودها الروحي النقي الأول[2]، يقول في قصيدة "ثورة علـــى عاطفة قديمة":

أنا ترابٌ باحثٌ عن ترابْ

ما عاد في جنبي غيرُ الرغابْ

أتوقُ أن أفنى على طينةٍ

حمراءَ كالشهوةِ أو كالعذابْ[3]

لكنه كثيرا ما يتوق إلى التحرر من صفته الطينية، منطلقا إلى السمو، فنجده يقول في قصيدة "لا شيء":

---

(1) صدوق، ديوان رياح السنين، ص60.

(2) القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ص273.

(3) صدوق، ديوان النار والطين، ص71.

أنا أمسٌ... حاضرٌ... مستقبلٌ

أيُّ سرٍ ينطوي في خافقـــــي؟

برئتْ نفسي إلى خالقها

وتحررتُ من الطين الشقـــــي

وحده اللهُ الذي في خاطري

أزلٌ... باقٍ... عظيمٌ... سرمدي

ليس في دنياي ما يملكني

وأنا أرفض منها أي شـــــيء[1]

ويتحدث صدوق عن طبيعة الحياة بعامة ، حيث يقول في قصيدة "تلك هي طبيعة الحياة":

تلك هي طبيعة الحياةِ

الشوكةُ لا تمنح الآخرين العطر.....

والحدأةُ لا ترتفع إلى حظائر النسورْ.....

القمم العالية منزلُ كلِ رائعٍ، وسامٍ، وعظيم....[2]

لكنه يظل متفائلا أحيانا ، ولهذا نجده يوجه نداء إلى بني جلدتـــه لبـــذل الجهـــد والطاقة لإعمار الحياة بقيم الخير والمحبة والوفاء.يقول:

الحياةُ صفحتان.... بيضاء وسوداء

فلنطبع ملامحنا، يا خيمةَ الظل، في الصفحة البيضاء

لنمنح العالمَ بحيرة من النقاء، تظل حضناً حنوناً يفتح صدره لكـــل الـــزوارق الحالمة البريئة....[3].

ويقول:

الحياة ورقتان... خضراء يانعة، وناشفة عجفاء

---

(1) صدوق، ديوان، رياح السنين، ص127.

(2) صدوق، ديوان الحزن أخضر دائماً، ص21.

(3) المرجع نفسه، ص37.

فلنمنح الورقةَ الناشفةَ الظامئة، بعض الري من أنفسنا
لنمنحها بعض ما يدفق، في شرايننا، من دم
ولنفتح عيوننا المرهقةَ على ضوء الشمس،
نجدلُ من خيوطها قطوفاً من الأمل والمواعيد، في ظلال غدٍ حالمٍ هنيء.....[1].

ومن أبرز الموضوعات التي تناولها صدوق "الطبيعة"، حيث تتجلى فيها الفروق بين الموقف الموضوعي والموقف الوجداني، وبين ما يقتضيه كلا الموقفين من تعبير فني. فالشاعر الموضوعي أو الكلاسيكي ينظر إلى المشهد الطبيعي نظرة شاملة فتستوي عنده الصورة ويولي كلا منها عناية خاصة ليرسم منها جميعا في النهاية لوحة كاملة[2].

وعندما يتحدث صدوقعن الربيع، فإنما يتحدث عنه معنى ورمزاً، بكل ما يعنيه من خضرة وخصب وازدهار، وما ينطوي عليه من جمال وأزاهير وأريج فواح ، ومن هذا كله، تتبدى لنا صورة الحياة الجميلة الهانئة المعطاء التي يحلم بها الشاعر وينشدها لكل الناس.

يقول في قصيدة له بعنوان "عند بوابة المستحيل":
والربيعُ يضحك في الآفاق....
يخصفُ من ورقه وثمره على الآخرين
أنتَ وحدك، لا لون لك، ولا هوية، إلا المأساة
والأرضُ التي سرقوها من تحت قدميك
ليدفعوا بك خروفاً ضالاً، في متيهة الذئاب، ومسالخ الجزارين.....[3].

والشاعر عندما يتناول الطبيعة في شعره، لا يتوقف عند العموميات، بل يلتفت إلى أدق تفاصيلها التي تلعب دورا كبيرا في اعمارها وازدهارها، أو في انحسارها

---

(1) صدوق، ديوان الحزن أخضر دائماً، ص37.
(2) القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ص64.
(3) صدوق، ديوان الحزن أخضر دائماً، ص16.

وشمولها وجفافها....كالسحب والمطر والربيع والخريف .... ونجده يخاطب السحابة، مثلا طالبا منها أن يمتنع المطر، وتسكن الصحارى، لأن العطش الذي أصابه هو عطش روحي، حيث يقول في قصيدة "حذار أن تمطري:

يا سحابةَ المطر الباذل.....
تبلدي في جفاف البخل، واسكني صحارىَ الجدب
ما عاد الروحُ الظامئ يحلم بقطرةٍ من مطر
صار العطش لروحي الظامئ، نيعةَ عطرٍ ومجمرة بخور....
من عطشي أغرف جداول موسيقاي
حذارِ أن تمطري، في قلبي، حتى لا تجف أغنياتي![1]

ومثل ما نراه يربط ما بين الربيع وبين عطائه الشعري، نجده كذلك يربط بين الربيع وأحزانه وما لاقاه من عنت في رحلة صراعه مع الحياة ، ولعلنا نجد هذا المعنى في قصيدته "أين منى الربيع":

يا ليالي الأسى يهيج شجوني
ما أُلاقيه من صراع السنينِ
أين مني الربيعُ؟ أين شبابي؟
ضاع في لُجة الُعباب سفيني
إيه يا قلبي الجريحُ حنانـــا
لا تحرك لواعجي وشجوني
إنَّ بعضَ النسيان فيه عزاءٌ
ودواءٌ للخافقِ المطعـــونِ[2].

ومن أهم الأبعاد التي تطرق إليها صدوق "البعد الفلسفي" فقد أتيح لعدد كبير من الشعراء الأردنيين أن يكونوا على جانب كبير من الوعي الفلسفي والنظرة العميقة

(1) صدوق، ديوان الحزن أخضر دائماً، ص32.
(2) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص105.

في الكون والإنسان والحياة وتأثروا بمدرسة الخيام، ونظرات الصوفيين وفلسفة عشقهم[1].

فهو في قصيدته المعنونه ب "لا شيء"، يبحث عن قوة مجهولة وراء هذا الكون، حيث يقول:

ولقد طوفتُ في الدنيا.... وفي
كل مجهولٍ... وفي كل قصي
باحثاً عن أي شيء إنما
لم أجد في كل شيءٍ أي شيءْ!
إنني ما زلتُ في درب السُرى
كلما غادرته عاد إليّْ
رحلةٌ طالت ولمّا تبتديء
وطريقٌ عاثرُ الخطو عصيّْ
أنا أمسٌ... حاضرٌ... مستقبلٌ
أي سرٍ ينطوي في خافقي[2].

وفي هذه القصيدة يتبدى وعي الشاعر بحقيقة الحياة الإنسانية، ونلمس موقفه الفكري والأخلاقي منها، فهو ينتهي إلى الزهد بها، وبإغراءاتها وبريقها وبهارجها، حيث لا حقيقة فيها إلا الحقائق الإلهية، م بينا لنا أن سر قوته الذاتية في الترفع عن مغريات الحياة وتحرره منها، يكمن في تحرره من مغرياتها وشهواتها. يقول:

برئت نفسي إلى خالقها
وتحررت من الطين الشقيّ
وحده الله الذي في خاطري
أزلٌ.. باقٍ.. عظيمٌ.. سرمديّْ

---

(1) حداد، الحركة الشعرية في الأردن، ص408.

(2) صدوق، ديوان رياح الستين، ص127.

ليس في دنياي ما يملكني

وأنا لا أملك منها أي شيء![1]

وفي قصيدة "مجهول" يسأل صدوق بأسلوب فلسفي عن الغريب الذي قتلوه مـــن يكون، إذ إن صدوقا عاش غريباً قلقاً ومات قبل أوانه، حيث يقول:

هذا الذي قتلوهْ

من ذا يكون...؟!

وتساءلت كل العيون

"من ذا يكون؟...

قمرٌ تعثر في الطريقْ

عيناه مطفأتان يأبى أن يفيقْ

كلماته كالزهر تضحكُ... كالجديلةْ

أرخت على شفتيه ظلاً من طفولةْ

والجرح مرتعش تغلغل في الجبينْ

"هذا الغريب على الطريق

من ذا يكون؟!...."[2].

ويستمر صدوق بالتساؤل عن الغريب المقتول، حيث يقول:

"هذا الذي قتلوه...

من ذا يكون؟!"

الفجرُ يعرفه ذووه

فلتنكروهْ...

لا يعرفُ الفجرَ الصغارْ[3]

ويتحدث صدوق عن الحيرة التي يعيشها قلبه، فهذه الدنيا كل ما فيها حائر، حيث يقول في قصيدة "يا قلب":

---

(1) صدوق، ديوان رياح الستين، ص128.

(2) صدوق، ديوان بقايا الإنسان، ص70-71.

(3) المرجع نفسه، ص72.

مسكين يا قلب..... إلام تظل في دنياك حائر!

كالكوكب الحيران يغفو جفنه وهواه ساهر!

أتظل تبكي يا فؤاد ليلهب الدمع المشاعر؟

اقرأ على الماضي السلام وغنِّ أغنية الأزاهير[1].

إن قراءة متأنية لشعر صدوق الوجداني تكشف لنا عن تميز واضح لدى الشاعر، وقدرة على التأثير والإقناع، كل ذلك بفضل المعاناة التي عاشها وأحسن التعبير عنها.

(1) صدوق، ديوان بقايا الإنسان، ص61.

الفصل الثالث

الدراسة الفنية

إن اللغة هي الأداة الأولى للشاعر –وللأديب عموماً- أو لنقل إنها المادة الأولى التي يشكل فيها وبها بناءه الشعري بكل وسائل التشكيل الشعري المعروفة، أي أنها الأداة التي تخرج كل الأدوات الشعرية الأخرى من تحت عباءتها وتمارس دورها في إطارها[1].

إن اللغة لدى الشاعر وسيلة للتعبير والخلق، موسيقاه وألوانه وفكره ومادته التي سوَّى فيها كائناً ذا ملامح وسمات..كائناً ذا نبض وحركة وحياة [2]، "ونقصد بلغة الشعر الإطار العام الشعري للقصيدة من حيث صور هذا الإطار وطريقة بنائه وتجربته البشرية وهو ما تؤديه اللغة الشعرية من خلال الصور الشعرية والصور الموسيقية والموقف الخاص بالشاعر في تجربته البشرية "[3].

إن التجربة الشعرية في أساسها تجربة لغة، فالشعر هو الاستخدام الفني للطاقات الحسية والعقلية والصوتية للغة، ولغة الشعر هي الوجود الشعري الذي يتحقق في اللغة انفعالاً وصوتاً موسيقياً وفكراً ... لغة الشعر إذن هي مكونات القصيدة الشعرية من خلال صور موسيقية ومواقف إنسانية بشرية[4].

---

(1)زايد، علي عشري : عن بناء القصيدة العربية الحديثة، دار الفصحى للطباعة والنشر، ص42.

(2)العشماوي، محمد زكي : قضايا النقد الأدبي المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1975هـ، ص31.

(3) الورقي، السعيد: لغة الشعر العربي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1984م، ص65.

(4) المرجع نفسه، ص5.

فالصورة الشعرية بمكوناتها وأبعادها جانب من اللغة الشعرية، والصورة الموسيقية بأنغامها وإيقاعها وأطرها التركيبية والتشكيلية جانب من اللغة الشعرية، والتجربة البشرية كموقف إنساني –على أي نحو كان- جانب من اللغة الشعرية[1].

ويقول غنيمي هلال:"فإن أولى مميز ات الشعر هي استثمار خصائص اللغة بوصفها مادة بنائية، فالكلمات والعبارات في الشعر يقصد بها بعث صور إيحائية وفي هذه الصور يعيد الشاعر إلى الكلمات قوة معانيها التصويرية الفطرية في اللغة"[2].

والشاعر في محاولته المستمرة للكشف عن الجوانب الجديدة في الحياة وللكشف عن صورة هذه الجوانب الجديدة داخل وعيه الفردي والجماعي، وصورتها المنصهرة مع مكونات لا وعيه، يحاول باستمرار الكشف عن لغة جديدة، فكل تجربة لها لغتها الخاصة بتطور الصورة الذهنية للدلالة من حيث علاقتها بظروف معينة وأفكار وتصورات وآراء وقضايا تشكل باستمرار تشكلاً يتناسب وواقع الحياة المتغير[3].

وإذا كان الشعر فاعلية فهذا يعني أن جوهر الشاعرية وسرها في اللغة، كما أن جوهر اللوحة وسرها في تناسق ألوانها وجوهر القطعة الموسيقية وسرها في تناغم أصواتها، وهذا يعيد القول في أن اللغة ذات استعمالين نثري واستعمال شاعري[4].

إن للشعر الجديد لغة جديدة أصولها عربية ودلالتها جديدة، وهذا شيء طبيعي في أدب جديد له مفهوم جديد، فاللغة مادة متطورة متجددة [5]، ومن يعاين لغة الشعر

---

(1) الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، ص5.

(2)هلال، محمد غنيمي النقد الأدبي الحديث، ط3، دار ومطابع الشعب، القاهرة ، 1964م، ص415.

(3) الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، ص64.

(4) موسى، خليل:الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر، ط 1، مطبعة الجمهورية، دمشق، 1991م، ص97.

(5) الشرع، علي: لغة الشعر العربي المعاصر في النقد العربي المعاصر في النقد العربي الحديث، منشورات عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، جامعة اليرموك، 1991م، ص6.

الحديث فإنها مختلفة في طبيعتها وفي بعض سماتها عن لغة الشعر القديم ، فهذه اللغة حافلة بالغموض والإبهام[1]، الذي عدَّه "رومان ياكبسون" سمة ملازمة للشعر، حين جعل الغموض متصلاً بجذور الشعر نفسه، بحيث يتجاوز الغموض الرسالة التي يحملها النص إلى حد يصبح المرسل والمتلقي غامضين أيضاً[2].

ولعل جانباً واسعاً من الغموض جاء بسبب احتفال النص الشعري الحديث بالانحراف وبخاصة الرمز عليه، زيادة على أنه ينحو منحى التكثيف، ويسكت أحياناً في جوانب يتوجب على المتلقي أن يواجهها ويسهم في تقديرها وتأويلها[3].

1.3 التناص:

يشكل التناص ظاهرة من ظواهر الحداثة في الأدب، كما هو حال التضمين الذي يشكل ظاهرة في الأدب القديم، ولكن الذي يميز التناص في الأدب الحديث، عن التضمين في العصر القديم هو أنَّ التناص يتخذ شكلاً أكثر خفاءً وباطنية في النص الحديث، فبذلك يبتعد عن المباشرة ويوسع المسافة بين النص المشار إليه والنص المشير[4].

ويقول جريماس في كتابه المشترك عن السيموقراطيا : "كان الباحث السيمولوجي الروسي "باختين" أول من استخدم مفهوم التناص، فأثار اهتمام الباحثين في الغرب بحيوية الإجراءات التي تقوم عليها الدراسات المقارنة التي تضمنته والتي يمكن أن

---

(1) الرواشدة، سامح:إشكالية التلقي والتأويل، ط 1، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، 2001م، ص50.

(2) ياكبسون،رومان:قضايا الشعرية،ترجمة محمد الولي حنون،ط 1،دار توبقال للنشر،الدار البيضاء،1988 م،ص5

(3) فضل، صلاح: أساليب الشعرية المعاصرة، ط1،دار الآداب، بيروت،1995م،ص31

(4)أبو ديب، كمال : الحداثة، السلطة، النص، مجلة فصول، مجلد 4،عدد3،الهيئة العامة للكتاب،1984،ص54

تمثل تحولاً منهجياً في نظرية التأثيرات، لكن عدم الدقة في تحديد المصطلح أدى إلى تعدد المسالك في فهمه وتطبيقه[1].

وتعد "جوليا كرستيفا" أول من شاع عندها مصطلح التناص في الستينات من خلال كتاباتها لأبحاث عن السيمائية [2]، إذ إن الإشارات التي قدمها "ميخائيل باختين" حلل فيها ظاهرة التناص ولكنه لم يستعمل مقابلاً في لغته ليطلقه على هذا المصطلح[3].

وتقول "جوليا كرستيفا" التناص هو ترحال للنصوص ، وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة منقطعة من نصوص أخرى[4].

وترى أن التناص هو التفاعل النصي في نص بعينه [5].ويعرف التناص على أنه: رتشبّ مبدع بأفكار مبدع آخر وبآرائه وبأسلوبه [6]، وهو التعالق الدخول في علاقة " بين النصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة وهو فسيفساء من نصوص أخرى، أدمجت في النص بتقنيات مختلفة"[7].

---

(1) فضل، صلاح: مقال بعنوان(راز التوشيح بين الانحراف التناص)، مجلة فصول، مجلد8، القاهرة، 1989م، ص76.

(2) الزعبي، أحمد: التناص نظريا وتطبيقيا، ط1995،1م،مكتبة الكتابي،اربد،ص9

(3) باقر، محمد : التناص "المفهوم والآفاق"،مجلة الآداب،عدد 1990،6م، بيروت،ص65

(4) كرستيفا،جوليا:علم النص،ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبدالجليل ناظم، ط 1991،1م، دار توبقال للنشر،المغرب،ص41

(5)داغر، شريل : التناص سبيلا إلى النص الشعري وغيره،مجلة فصول،مجلد 16،القاهرة،1997م،ص127

(6) مرتاض، عبدالملك: في نظرية النص الأدبي، مجلة الموقف الأدبي، عدد201، 1988م، ص56، ص25

(7) مفتاح، محمد: تحليل الخطاب الشعري (إستراتجية التناص) ط1986،2م،المركز العربي، بيروت، ص121

أما التناص عند عبدالملك مرتاض فهو "شبكة من العلاقات النصية التي تتم بوسائل قراءة النصوص، أو سماعها، وربما حتى كتابتها، إذ كثيراً ما تكون تناصية داخلية، بحيث ينقل منتج النصوص صوراً سابقة لنفسه عن قصد أو غير قصد"[1].

وبعد عرض هذه التعريفات المختلفة لمصطلح "التناص" نجد أن هذه الظاهرة لها جذور في الأدب العربي القديم، ولكنّ الاختلاف في التسميات، إذ نجد لظاهرة التناص مصطلحات مختلفة استخدمها القدماء، حيث درسوها تحت مسميات مختلفة مثل السرقات الأدبية والمختص [2]، والتضمين، والاستشهاد والقرينة، والتشبيه، والمجاز، والمعنى فما هي إلا صوراً من التناص[3].

وقد ظهر التناص واضحاً عند "راضي صدوق"، في معظم دواوينه الشعرية، فهو يختار من القرآن الكريم والسنة النبوية والتاريخ العربي والإسلامي ما يناسب الدلالات التي يريد التعبير عنها فيوظفه في شعره . وقد جاء التناص في محورين رئيسين هما:

1. التناص الديني.
2. التناص الأدبي.

1.1.3 التناص الديني:

ويقصد "بالتناص الديني استحضار نصوص أدبية مختارة سواء أكانت من القرآن الكريم، أم الحديث الشريف،أم القصص الدينية،أم الإشارات الدينية وتوظيفها في سياقات القصيدة، بحيث تنسجم هذه النصوص الدينية مع النص الشعري وتؤدي الغرض أو الفكرة التي يريدها الشاعر من هذا التناص[4].

ونجد عند صدوق مجموعة كبيرة من هذه التناصات، إذ استحضر كثيراً من الآيات القرآنية، حيث يقول في قصيدة "اذكريني":

---

(1) مرتاض، عبدالملك: في نظرية النص الأدبي، مجلة الموقف، عدد21 ،1988م، ص56

(2) باقر، التناص "المفهوم والآفاق"، ص67.

(3) الزعبي، التناص نظرياً وتطبيقياً، ص15.

(4) المصدر السابق، ص32.

اذكريني...بشقائي... كلما الصبحُ تنفَّسْ...
واذكريني كلما سهَّدني الليل وأبلسْ!!
إن في قلبيَ قُدساً ليس من ذكراكِ أقدسْ
فاذكريني!... أذكريني كلما الصبحُ تنفسْ....[1].

نجد في هذه المقطوعة الشعرية تناصاً دينياً، حيث اتفقت هذه المقطوعة مع قوله تعالى: "فلا أقسم بالخنس، الجوار الكنس، والليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفس"[2].

فصدوق يطلب من محبوبته أن تذكره كلما الصبح تنفس، لما في إسفار الصباح من نسيم عليل يزيد في النفوس البهجة والسرور، فيطلب منها أن تتذكره وخاصة عند إسفار الصباح، إذ تكون محبوبته على درجة عالية من الفرح والاستبشار وبروح متفائلة.

ثم يكرر التناص نفسه في موضع آخر، إذ يقول في قصيدة "توأمان":

حلمٌ من الماضي أطلَّ أم الهوى بكرٌ جديدْ؟
ودمٌ تدفق في العروق أذاب عن قلبي الجليدْ
فإذا الخواء بروحي الظمأى تنفَّس كالصباحْ
وأفاق قلبي خافقاً بالحب من خلف الجراحْ
وتبسَّمتْ، فقرأتُ في الشفتين أغنيةَ الحنانْ
وإذا بقلبينا على درب المحبة عاشقانْ!
من كان يدري أن روحينا على وعد اللقاءْ؟[3]

ويقول صدوق في قصيدته "الرسالة الأولى":

ض إنما الدنيا عذابْ
ودموعٌ... وشرابْ
وكلانا سوف يمضي مُرغماً نحو الترابْ
إن هذا اللحدَ، يا روحي هو الحلمُ المُجابْ! [4]

---

(1) صدوق، ديوان كان لي قلب، ص54.
(2) سورة التكوير، آية 17.
(3) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص117.
(4) صدوق، ديوان كان لي قلب، ص64

وفي هذا استحضار لقوله تعالى: "كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور"[1].

إيؤكد صدوق على حتمية الموت فهو نهاية كل إنسان على هــذه البــسيطة .

ويقول في موضع آخر في قصيدة "الرسالة الثانية" مؤكدا الدلالة نفسها:

تقولين: أنت بئيسٌ حزينْ، ومثلك لا يقطف الفرقدا!

وروحي أنا من ضياء النجوم، وروحكَ من شهقات الردى

ولكن... أناتكِ إنّا ترابْ، وسوف نعودُ إليه غداً.... [2]

ويبرز استحضار المعاني القرآنية واضحاً في قصيدة "المهزومة"، حيث يقول:

هو: قدمي في الشمسِ، وخدُّكِ في الطينِ

قرصٌ من حمأ مسنونِ

مستنقعُ حقدٍ ومجونِ

لن أغضبَ... لن أغضبْ

لن أسفحَ قلبي وشجوني

الشمسُ تعانق أحلامي وتقبل بالنور جبيني

وتخبئ في صُلبِ قراري

كلماتٍ ومواقدَ من نارِ

تتفتح أزهاراً وحناناً في ومض عيوني

لن أغضبَ... لن أغضبْ

إني صانعُ أقدارك من قبل التكوينِ[3]

وفي هذا توافق مع قوله تعالى: "ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأٍ مسنون، والجان خلقناه من نار السموم"[4].

---

(1) سورة آل عمران، آية185

(2) صدوق، ديوان كان لي قلب، ص66

(3) صدوق، ديوان بقايا قصة الإنسان، ص24

(4) سورة الحجر، آية 27

كما يبرز التوظيف القرآني واضحاً في قصيدة بعنوان بوهيمة

غنِّ الدمَ المسعورَ.... ولتُطفئ به
جنوننا في الصُلب والترائبِ
غنِّ الجنون في العروق... في الصدورِ
في عيوننا... وفي المخالبِ[1].

يلإنتلهم صدوق هذه المقطوعة من قوله تعالى : "فلينظر الإنسان مما خلق، خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب"[2].

وفي قصيدة "جموح" يقول:

وكان طفلكِ فيك النجمَ مشتعلاً
يُضيء ما أظلم المحلولكُ العكرُ
يظل ممتشقاً صخراً ومحتضناً
حمائمَ الحب لا باغٍ ولا أشرُ
تكلم الطفلُ يا أحبارهم خُسفتْ
عليكمُ الأرضُ لا تبقي ولا تذرُ
سيطلع الصبحُ من عينيه مبتسماً
ويمحق الليلَ، إن الليلَ منتصرُ[3]

وفي هذا استحضار لقوله عز وجل: "سأصليه سقر، وما أدراك ما سقر، لا تبقي ولا تذر، لواحةً للبشر"[4].

وفي معرض حديثه عن الزيف والباطل والخداع في الحياة، يقول في قصيدة "جحود":

تميزتُ في الناس حتى الذَّرى

---

(1) صدوق، ديوان النار والطين، ص66.
(2) سورة الطارق،آية 5، 6، 7.
(3) صدوق، ديوان رياح السنين، ص45
(4) سورة المدثر، آية27.

ومن ذا يزاحمني ملعبـــــــي؟

أنا الحبُّ صِرْفاً، وكأسي دهاقٌ

ولكنَّ عصري الخؤونُ الغبـــــي

تفنن في الزيف حتى الهوان

وأسرفَ في الذلِ حتى صَبَـــــي

يجورُ على المبدعين الحياةَ

ويُرخي الذؤابـــــةَ للثعلـــــب[1].

وفي هذا تشابه مع قوله تعالى: "إن للمتقين مفازاً، حدائق وأعنابا، وكواعب أتراباً، وكأساً دهاقاً، لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً"[2].

فالآيات تتحدث عن ثواب المتقين يوم القيامة حيث يدخلون الجنة ويظفرون بما لذ وطاب من ثمراتها ويتزوجون الحور العين، ويشربون بكؤوس مملوءة من ألذ شراب الجنة ولا يسمعون شيئاً من الباطل واللغو وكذباً من القول.

حيث يبحث صدوق عن حياة مثالية يسودها الحق والعدل والصدق بعيداً عن الباطل والزيف والظلم الذي ينتشر في المجتمعات الراهنة، فهو يريد تغير الواقع إلى واقع أفضل منه.

وفي قصيدة "يسّوع يولد عند الشريعة" التي يصدّرها بعبارة المناسبة (في 1967/8/28م) ولدت فلسطينية عائدة إلى ديارها مولوداً عند (الشريعة) يغمر صدوق المولود في قصيدته بتطويبات إنجيلية يماهي فيها بين قصة سيدنا عيسى عليه السلام، وقصة هذا الطفل ، من حيث الولادة وما ينتظره من جنايات الأحبار الطافح بها سفر حزقيال، والعيش في شجرة الخوف والبشارة التي يحملها للبشرية، والأهم من ذلك هو سؤال الهوية.

---

(1) صدوق، ديوان رياح السنين، ص95

(2) سورة النبأ، آية 31، 32، 33، 34.

وتتشب القصيدة الأنفاس الإنجيلية وتتدثر بحرير كلماتهـــا المنعمـــة بـــا لحزن والتوجع، فكلاهما؛ الطفل وسيدنا المسيح عليه السلام، قد سارا فـــي درب الأحـــلام والآلام[1]، إذ يقول في القصيدة:

كأنه يسوعْ
يولد في مغارةْ
كأنه بشارةْ
تُطل من غيابة الظلامْ
أخضرَ كالزيتون، أبيضَ كالسلام
كأنه حمامْ
منقارهُ قلمْ[2]

غير أن هذه البشارة المكللة بالحمية والنقاء والطهرانية لا تلبث أن تهددها النذر التي تتربص بمجيئها وولادتها، قاطفة زهرة وعدها وأحلامها بغدٍ خالص من رجس النكران والقتل[3]، يقول:

يخطُّ في الأسفارْ
نبوءةَ الأقدارْ
وما يقول حزقيالُ عن مباذل اليهودِ
عن مباءة الأممْ
هذا الذي يطلُّ عند غيمةِ "الشريعةْ"
ذبيحةُ الأجيالِ
شاهدُ الزمان والحضارة الوضيعةْ
كأنه ينطقُ... كالمسيحْ
يحملُ باقةً من الزهورْ
للعالم الجريحْ

---

(1) جميعان، محمد سلام: الحلم المغدور في بقايا قصة الإنسان، مجلة أفكار، عدد224، 2007، ص98.

(2) صدوق، ديوان بقايا قصة الإنسان، ص33.

(3) جميعان، الحلم المغدور في بقايا قصة الإنسان، ص98.

العالمِ المغيم العيون والضجرْ
ماذا يقول هذا القادمُ الذبيحْ؟
عيناهُ تتضحان باللهب
وثغره يمورُ بالغضبْ[1]

وفي القصيدة تقريع للعاملين الذين لم يفتحوا عيون الحب على الحقيقة، وأغلقوا آذانهم عن سماع النداءات والاستغاثات والبشارات التي أطلقها الطفل منذراً بالقيامة ، كما فعل السيدالمسيح عليه السلام من قبل "، ويسترسل صدوق في استحضار مأساة الطفل متأثراً بقصة سيدنا عيسى عليه السلام، يقول:

كأنه من غيمةٍ ولدْ
تحمله.. تعود للديارِ
من أبوهُ
من ذووهُ؟... لا أحدْ!
وعندما تعود أمه إلى المدينةْ
صامتةً حزينةْ
يسألها الأحبارُ عن صغيرها الغريبِ
ما تقولْ
ما تُجيبْ؟[2]

إن ملامح سيدنا المسيح في شعرنا المعاصر مستمدة من الموروث المسيحي ، وخصوصاً ملامح "الصلب" و"الفداء" و"الحياة من خلال الموت " وثلاثتها ملامح مسيحية، وعلى هذه الملامح الثلاثة أسقط شعراؤنا معظم الدلالات المعاصرة التي استخدموا فيها شخصية المسيح[3].

---

(1) صدوق، ديوان بقايا قصة الإنسان، ص34

(2) المرجع نفسه، ص99

(3) زايد، علي عشري استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ط 1، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1978، ص104

فالمسيح في الأدبيات الدينية، كان ظهوره ومجيئه إيذانا بنهاية اليهود بكل ما كانوا يمثلونه ويمارسونه من بغي وظلم وفساد وفسوق وخروج على كل النواميس ، بما في ذلك الناموس الذي جاء به موسى عليه السلام.

ومن هذه الملامح التي استخدمها صدوق "صورة المسيح" الذي أسقط عليه آلام المحنة وما يعانيه شعبه الفلسطيني المشرد من الظلم والاحتلال اليهودي ،إذ يقول في قصيدة "لا تصلبوه":

لا تصلبوا المسيحَ من جديدْ
دَعوا دماءهُ على اليهودْ
دَعوا على أبنائهم خطيئةَ الدماءْ...
تمور في عروقهم، وتشعل الندمْ
دَعوا المسيحَ لليهود يحفرون جبهتهْ
يتوجون بالقتادِ هامتهْ
دماؤه تسيل في مسالك الألمْ
نبارك الترابَ، في (يبوس)
ونبعث الحياةَ في محاجر العدمْ[1].

أما ملمح (الفداء)فقد امتزج كثيرا بملمح الصلب، فكل شاعر يتحمل آلام المحنة وعذاباتها إنما يتحمل فداء لفكرة يعتنقها، وكل مناضل سقط أو تعذب إنما يسقط أو يتعذب فداء لدعوته التي يناضل من أجلها، أو لأمته [2]..... يقول صدوق في القصيدة نفسها:

لا تصلبوه من جديدْ
فأنتم (حماته) وأهله... ومرتجاهْ...
من أجلكم قضى.... وأسلمَ الحياةْ...
لا تصلبوا الذي فداكموُ بالدمْ

---

(1) صدوق، ديوان النار والطين، ص81

(2) زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص107.

(3) صدوق، ديوان النار والطين، ص82.

.... يا أهلهُ.... يافديةَ الضميرِ... والضياءْ[3]...

ويقول:

وها هو المسيحُ من جديدْ
دماؤه مطلولةٌ على الصليبْ
يا للحواريين يصلبون فاديَ البشرْ
يا أهلهُ ومرتجاهْ
من أجلكم قضى وأسلمَ الحياةْ
وأنتمُ تمزقونَ جبهتهْ....[1]

وثمة لمح آخر استخدمه صدوق في الـ قصيدة (الحياة من خلال الموت)، ففي الموروث المسيحي أن المسيح عليه السلام كان في العشاء الأخير قبل القبض عليه وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى تلاميذه، وقال : خذوا وكلوا، هذا هو جسدي وأخذا الكأس وشكرا وأعطاهم قائلا : اشربوا منه كلكم لأن هذا هو دمي الذي يُسفك للعهد الجديد، الذي يُسفك من أجل كثيرين[2].

ويصور صدوق أمله في بعث ألف مسيح إلى فلسطين وتحررها من دنس اليهود، إذ يقول:

وتغرزون في جبينه القتادَ، حيث يونعُ الزهرْ!
وتنضحونَ من عروقه الدماءْ!
وتقطعون لحمه كما تُقطَّع الشياهْ....
(من يشتري؟....)
يا لعنةَ الوجودِ... لعنةَ الحياةْ....
على الذي يبيعُ فاديَ البشرْ[3].

واستحضر صدوق قصة سيدنا آدم مع حواء عندما نزلا من الجنة إلى الأرض وتفرقا، وأصبح سيدنا آدم في حيرة من أمره ، ويتفق ذلك مع قصة الشاعر مع

(1) صدوق، ديوان النار والطين، ص83.
(2) أنجيل متى، الإصحاح السادس والعشرون.
(3) صدوق، ديوان النار والطين، ص85.

محبوبته،حيث نذر ديواناً كاملا لحواء التي رمز بها إلى تلك المرأة التي أحبها وشاءت الظروف وتفرقا فأصبح حائرا تائها ، حيث تكشف لنا هذه الصفحات عن تجربة مرة نعتقد بأن الشاعر قد عاشها وما تزال تعيش في ذاكراته ووجدانه.

إذ يقول في قصيدة " قصة شاعر":

إنه آدمُ في حيرته
ضل حواءَ ولم يَقْفُ خطاها
حائرٌ تنسابُ في أعماقه
غُصصٌ تدفنُ في النفس مُناها
أيقظتْ ذكراه من رقدتها
وأفاقتْ من دياجيرِ كراها!
لا تسلهُ، واسأل الذكرى عسى
تكشفُ السترَ عن الأمسِ عساها [1]

2.1.3 التناص الأدبي:

إن الموروث الأدبي هو أهم المصادر التراثية وأقربها إلى نفوس شعرائنا المعاصرين، ومن الطبيعي أن تكون شخصيات الشعراء من بين الشخصيات الأدبية هي الألصق بنفوس الشعراء ووجدانهم لأنها هي التي عانت التجربة الشعرية ومارست التعبير عنها وكانت هي ضمير عصرها وصوته، الأمر الذي أكسبها قدرة خاصة على التعبير عن تجربة الشاعر في كل عصر[2].

إن الباحث الأدبي يقصد بهتداخل نصوص أدبية مختارة قديمة أو حديثة شعراً أو نثرا، مع النص الشعري، بحيث تكون منسجمة وموظفة ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يطرحها الشاعر أو الحالة التي يجسدها ويقولها في شعره "[3].

---

(1) صدوق، ديوان كان لي قلب، ص26.

(2) زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص173.

(3) الزعبي، التناص نظرياً وتطبيقياً، ص153

يقول عز الدين إسماعيل : (ليس غريبا أن نجد الشاعر يفسح المجال في قصيدته للأحداث التي تتجاوب معه التي مرت ذات يوم بنفس التجربة، وعانتها كما عاناها الشاعر نفسه) [1]، وهكذا وجد الشاعر رهن تصرفه مئات الأحداث التي يمكن أن ترن في وجدان المتلقي وسمعه بأبعاد من تجربته المعاصرة [2]. ويستحضر صدوق تناصاتٍ أدبيةً كثيرة في شعره، ومن هذه الأمثلة استحضاره صورة نفسية قديمة لشاعر قديم هو عنترة العبسي، إذ يقول:

كالعيسِ في البيداء يقتلها الظَّما

والماءُ فوق ظهورها محمولُ[3]

ويقول صدوق في قصيدة "أمانكِ يا دنيا":

أمانكِ يا دنيا... سدىً تتكرينني

فما أنا مجهولٌ ولا المجدُ جاهلُ!

وكوني لقلبي حُبهُ وربيعــهُ...

فقد أنكرتني عند جوعي السَّنابــلُ

وسرتُ مع البيداء يقتلني الظَّما

فما رَحمت قلبي الظميءَ المناهلُ[4]

ثم يستدعي صدوق احتراقات (المقنع الكندي) الذي قال:

فإن أكلوا لحمي وفرتُ لحومهم

وإن هدموا مجدي بنيتُ لهم مجــدا[5]

---

(1) إسماعيل، عز الدين : الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنيــة والاجتماعيــة، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967م، ص307.

(2) زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص174.

(3) أشعار عنترة العبسي، تقديم وشرح محمد عبدالمنعم خفاجي، ط 1، مكتبة القــاهرة، 1969م، ص199.

(4) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص36.

(5) الطائي، أبو تمام ديوان الحماسة، شرح العلامة التبريزي، ط 1 دار القلم، بيروت - لبنــان، ج2، ص37.

إذ يقول صدوق في قصيدة "أمانك يا دنيا":

أمانكِ... ألقيتُ السلاحَ على الثرى

وطامنتُ من بأسي، ولستُ أُخاتلُ

(فإن أكلوا لحمي وفرتُ لحومهم)

وإن طعنوا رأيي فلستُ أُجــادلُ!

دعيني أَعش كالناسِ مضطربَ الرُؤى

أُتاجر في سوق الورى... وأُنازلُ

أبيع أغاريدي وأذبحُ مُهجتي....

وأَصبغُ أحلامي وما أنا غازلُ[1]

ويتناصصدوق مع مجموعة من الشعراء ، لكأنه يرثي الشاعر في كل زمــان ومكان، ويعرض فداحةجراحه المشابهة على مر العصور ويؤ كد اغترابانه الحادة[2] يقول صدوق:

وأُغمض عيني عن أمورٍ كثيرةٍ

لئلاّ يقول الناسُ إني عاقــــــــلُ

وأسحبُ أذيالَ الخنا متباهياً

فما ضاعَ بين الناسِ إلا الأفاضلُ[3]

فنحن هنا أمام أحاسيس المعري ،والمقنع الكندي ، والمتنبي، وراضي صــدوق في وحدة شعورية مكثفة من ا لألم العميق، وهجاء الواقع ومفارقاته في صورة عتاب جارخ[4] يأتي الشاعر إلى مسألة خيانة العمر وانتهاء حدة الحياة ، وهي مــسألة من أعمق المسائل الشاعرية التي يعانيها الإنسان عامة، فكيف بالشاعر وهو يــشعر

---

(1) عيسى، راشد: راضي صدوق أديبا، مجلــة أفكــار، منــشورات وزارة الثقافــة عمــان، عدد224، 2007م، ص86.

(2) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص38.

(3) المرجع نفسه، ص86.

(4) عيسى، راضي صدوق أديباً، ص86.

بأن عمره سينقضي دون تحقيـ ق الحلم، فيلجأ إلى هجاء الدنيا وفضح زيفها وتأكيـد صموده ولامبالاته بها في مكابرة شاعرية آسية[1]، إذ يقول في القصيدة نفسها:

مضى العمرُ يا دنيا وما أنتِ فتنةٌ

ولا أنا مفتونٌ ولا عنك سائلُ[2]

إلا إن صورة عتاب الأقارب والأحباب والأصدقاء من أكثر الـصور النفـسية حضوراً في القصيدة، فهو يعتز بذاته المكتفية بذاتها وعدم حاجته إلى كـل هـؤلاء المزيفين الضعفاء[3]، يقول:

وما كنتُ فيهم بالذي يرتجي يداً

ويسأل معروفاً، وما أنا فاعلُ

أنا الرجلُ الطاوي على كبريائه

يُزلزلني دهري وتغلو النَّوازلُ

تُعانقُ أهدابُ النجومُ ذؤابتي

وأهصرُ عنقودَ الذُرى وأناضلُ

وأكتبُ في سفر الخلود حكايتي

أنا الأملُ المقتولُ.. والدهرُ قاتلُ![4]

ومثل هذه ا لأشجان الكبريئلة تذكرنا بزهو المتنبي و كينونته حين خانـه الواقـع والحلم وأوفى له جبروته الروحي العظيم، وتحـ يلنا إلى مفاخرة المتنبي "ابـن سـناء المُلك" بنفسه [5]، ويقول:

توقدُّ عزمي يجعلُ الماءَ جمرةً

وحيلةُ حلمي تجعلُ السيفَ مبردا

---

(1) عيسى، راضي صدوق أديباً، ص87

(2) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص38.

(3) عيسى، راضي صدوق أديباً، ص87.

(4) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص39.

(5) عيسى، راضي صدوق أديباً، ص87

وأظمأُ لو أَبدى لي الماءُ منةً

ولو كان لي نهرُ المجرةِ موردا

ولو علمتْ زُهرُ النجومِ مكانتي

لخرَّتْ جميعاً نحو نعلي سُجدا [1]

ثم تبلغ الأشجان المكابرة ذروة ألمها الإنساني العميق في آخر بيت في القصيدة ، هذا البيت الذي يميل إلى أسباب صبر الشاعر على غربته الجغرافية والنفسية وما يلاقيه من أصناف العقوق والصدود الدنيوي الذي يلقاه الشعراء أصحاب النفوس الصابرةالمثابرة على اعتداد ها للنفسلأن في داخل كل واحد منهم فارساً ليس من اليوسيإيقاع الهزيمة في أحواله النفسية وممتلكاته من الشجاعة والمكابدة ومحاورة الآلام بإباء وشموخ وتحدٍّ[2]. يقول صدوق:

فيا زمنَ الويلاتِ كفَّ عن الأذى

فما أنا بالجاني ولا أنتَ عادلُ

أبيعكُ تاريخي وشعري وموقفي

بلقمةِ أطفالي، فهل أنت قابلُ؟! [3]

ويستدعي صدوق ألم الشاعر (حطّان بن المعلّى) إذ يقول:

لولا بُنياتٌ كزغبِ القطا

رُددنَ من بعضٍ إلى بعضِ

لكان لي مضطربٌ واسعٌ

في الأرض ذاتِ الطول والعرضِ

لوهبَّت الريحُ على بعضهم

لامتنعت عيني من الغمضِ

---

(1) ديوان أبو الطيب المتنبي بشرح أي البقاء العكبري، دار المعرفة، بيروت، ص110.

(2) عيسى، راضي صدوق أديباً، ص88

(3) صدوق، ديوان رياح السنين، ص59

وإنما أولادنا بيننـــــــــــا

أكبادُنا تمشي علـــــــى الأرضِ[1]

فالأبناء يكسرون خاطر آبائهم، ويحولون دون أن يمــضي الأب- ولا ســيما إن كان شاعرا-إلى آماله وأحلامه ، فقنع بالزهد الدنيوي وربما يتخلــى عــن مبادئــه ومواقفهوربما يطوف الدنيا وينسى نفسه مقابل أن يؤمن لهم لقمة عيشهم ، ســالمين من نكبات الدهر وأحزان الحياة وصعوباتها المعيشية[2].

إن هذا ا لبيت يشخص بعمق أسباب ترحال صدوق وهجراته الجغرافية حين فقد المكان وحلم القلب، فحرص على أن لايفقد كذلك فلذات أكباده ، وفي ذلــك جهــاد حياتي لافت للنظر، وإيثار قلما عرفناه عند شعراء كانوا أنانيين وعاشــوا لتعظــيم أنفسهم على حساب ضياع أسرهم وشتاتها مع لقمة العيش والحزن اليومي[3].

ويصور صدوق نفسه بأنه سندباد عصره لكثرة ترحاله وغربته عــن وطنــه . حيث يقول في قصيدة " لكل ليل ظالم قمر":

ارتادُ هذا الكون خاطرةً

كالسندبادِ أَمضَّهُ السفـــــــــرُ...

مهما يطلْ ليلُ الأسى أبداً

فلكل ليلٍ ظالمٍ قمـــــــــــــرُ... [4]

فإن حال صدوق في كثرة ترحاله كحال ابن زريق البغدادي الذي يقول:

ما آب من سفرٍ إلا وأزعجه

رأيٌ إلى سفرٍ بالعزم يُزمعُـــهُ[5]

---

(1)الطائي، أبو تمام : ديوان الحماسة، تحقيق عبد السلام عبد الــرحيم عــسيلان،إدارة الثقافــة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،ج1981،1م، ص166

(2) المرجع نفسه، ص88.

(3) المرجع نفسه، ص88.

(4) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص45

(5) العامري، بهاء الدين: الكشكول، دار الكتاب اللبناني، ج1، بيروت، 1983م، ص104.

ويذكر صدوق على سبيل التناص الأدبي أسماء بعض الشعراء أمثال قيس بن الملوح الذي ارتبط اسمه بالقضية العاطفية، إذ يعبر صدوق عن قضيته العاطفية ولكن يضفي عليها دلالات أخرى غير عاطفية تتمثل في الضياع والتشرد الذي كان يعيشه الشعب الفلسطيني وما زال يحياه حتى الآن.

يقول في قصيدة "دموع وعذاب":

فلا تبكِ؟ لا تبكِ يا منشدي
فإن كلينا على موعدِ
تثورُ الليالي بأضلاعنا
وتحرقُ بالتيه ما نرتدي
ونحن كما كان قيسٌ وليلى
نضلُّ الطريقَ، ولا نهتدي
تبسمْ؟ ودعْ عنك هذا القنوطَ
لنمضِ سوياً إلى المـوردِ[1]

ومن الشعراء الذين استحضرهم صدوق في شعره (أبو نواس)، حيث رأى الشعراء في رفضه الوقوف على الأطلال في شعره ، واستبدال الحديث عنها بالخمرة إلى ربط الشعر بعصره وتعبيره عن ضمير هذا العصر ، وبهذا التأويل لشخصية (أبو نواس) استخدم شعراؤنا شخصيته [2]. فصدوق يعبر عن حال عصر وما يعانيه شعبه وأهله في فلسطين من وطأة الاحتلال اليهودي، إذ دمر اليهود كل معالم الحضارة في فلسطين، يقول في قصيدة "بعد ألف ليلة وليلة ":

يا عبدَ الخيرِ، أجرني...
من غيركَ، في الزمن الملعونِ يجيرُ؟
أبناءُ الشيطانِ
سرقوا سلطاني
باعوني

---

(3) صدوق، ديوان كان لي قلب، ص37

(4) زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص185.

باعوا تيجاني
قتلوا جاريتي....
وأراقوا خمرةَ خابيتي....
ما عاد (أبو نُوّاس) يغني
فالقصرُ خواءْ.
يا عبدَ الخيرِ، أجرني
بوركت تراباً وسماءْ[1]

2.3 الرمز:

يُذكر في لسان العرب أنّ الرمز هـ و تصويت خفي باللسان كـالهمس ويكـون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت ، إنمـا هـو إشـارة بالشفتين وقيل الرمز إشارة وإيحاء بالعيبين والحاجبين والشفتين والفم، والرمز فـي اللغة حمل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أو بعين "[2].

وورد الرمز عند المعجم يين والبلاغيين العرب، حيث تحدث عنه ابـن رشـيق القيرواني وقدامة بن جعفر، إذ نجد الرمز عند العرب يتركز في أنه تعبير إشـاري إما بصوت خفي أو بحركة عضو كالحاجب أو الشفتين أو العينين أو الفم أو اليد[3].

ربما يكون "أرسطو" أقدم من تناول الرمز على أساسه، وعنده أن الكلمات رموز لمعاني الأشياء أي رموز لمفهوم الأشياء الحسية أولا ثم التجريدية المتعلقة بمرتبـة أعلى من مرتبة الحس [1]. يقولمحمد غنيمي هلال : "الكلمـات المنطوقـة رمـوز لحالات النفس، والكلمات المكتوبة رموز للكلمات المنطوقة "[2]، والرمز مجاز نوعـا

(1) صدوق، ديوان النار والطين، ص73

(2) أحمد، محمد فتوح: الرمز والرمزية، ط2، دار المعارف، 1978م، ص35.

(3) محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ط 3، دار النهـضة العربيـة، القـاهرة، 1964م، ص37، 38.

يسعف الإنسان على فهم المثال بالإشارة إليه، وتمثيله وتمويهه في آن واحد [1] وبدأت منذ مطالع هذا القرن محاولات عديدة تحدد الرمز بمفهومه الدقيق. واتفق أصحاب هذه المحاولات على أن الرمز شيء حسي معتبر كالإشارة إلى شيء معنوي لا يقع تحت الحواس، وهذا الاعتبار قائم على وجود مشابهة بين الشيئين أحست بها مخيلة الرامز.

ومنذ ذلك الحين أصبح واضحاً أن الرمز بمعناه الدقيق يميز بأمرين:

أولاً: أنه يستلزم مستويين: مستوى الأشياء الحسية أو الصورة الحسية التي تؤخذ قالبا للرمز، ومستوى الحالات المعنوية إلا هيا وحين يندمج المستويان في عملية الإبداع نحصل على الرمز[2]

ثانياً: لا بد من وجود علاقة بين ذنيك المستويين، هذه العلاقة التي تصب الرمز قوة التمثيل الباطنية فيه .ويدرس الرمز من خلال مستويات أربعة مهما تعددت أوجه الخلاف[3]:

1. المستوى العام.
2. المستوى اللغوي.
3. المستوى النفسي.
4. المستوى الأدبي.

إن استخدام الرمز في السياق الشعري يضفي عليه طابعا شعريا، بمعنى أن يكون أداة لنقل المشاعر المصاحبة للموقف وتحديد أبعاده النفسية، وفي هذا الضوء ينبغي أن نفهم الرمز في السياق الشعري ، أي في ضوء العملية الشعورية التي تتخذ الرمز أداة وواجهة لها.

الرمز إذا كان له مغزى ، فإن هذا المغزى يختلف نوعاً ما من الاختلاف من سياق إلى آخر؛ لأن الرمز من حيث هو وسيلة لتحقيق أعلى القيم في الشعر هو أشد

---

(1)حمدان، أمية حمدان : الرمزية والرومانتيكة في الشعر اللبناني، منشورات وزارة الثقافة والأعلام ،بغداد ، ص24.

(2) أحمد، الرمز والرمزية، ص40.

(3) المرجع نفسه، ص38.

حساسية بالنسبة للسياق الذي يرد فيه من أي نوع من أنوا ع الـصورة أو الكلمـة .

فالقوة في أي استخدام خاص للرمز لا تعتمد على الرمز نفسه بمقدار ما تعتمد على السياق[1].

إن الشاعر لا يلجأ إلى الـ رمز إلا لأنه مرغم على ذلك بـسبب وجـود عوائـق سيكولوجية واجتماعية وأخلاقية ،بالإضافة إلى أن الخـوف والحيـاء تحـول دون اللجوء إلى التعبير مباشرة عن رغباته وأحاسيسه، أي أن الشاعر يعمد إلى الرمـز بصورة طبيعية وقسرية في آن واحد فيظهر رموزه كمظهر للثورة على الوضـوح الكلاسيكي العادي يشوبه الصدق وعدم الافتعال ، وبصورة أخرى أن الشاعر سيغير طرائق التعبير الشعري فيحل الرمز والإيحاء محل التقرير والإفصاح[2].

فالرمز وسيلة إيحائية من أبرز وسائل التصوير الشعرية التي ابتدعها الـشاعر المعاصر عبر سعيه الدائب وراء اكتشاف وسائل تعبير لغوية، يثـري بهـا لغتـه الشعرية، ويجعلها قادرة على الإيحاء بما يستعصي على التحديـد والوصـف مـن مشاعره وأحاسيسه وأبعاده رؤيته الشعرية المختلفة[3].

أما مصادر الرمز عند الشعراء فهي مستمدة من التراث، بمـصادره المتعـددة، باعتبار هذا التراث منجم طاقات إيحائية لا ينفذ له عطاء، فعناصـر هـذا التـراث ومعطياته لها من القدرة على الإيحاء بمشاعر وأحاسيس لا ينفذ وعلى التـأثير فـي نفوس الجماهير ووجداناتهم، لأنها تمثـل الجـذور الأساسـية لتكـوينهم الفكـري والوجداني والنفسي، ومن ثم فإن الشاعر يتوسل إلى إيصال الأبعاد النفسية الشعورية لرؤيته الشعرية عبر جسور من معطيات هذا التراث[4].

---

(1)إسماعيل، عز الدين : الشعر العربي المعاصرقضّاياه وظواهره الفنيـة والمعنويـة "، ط5، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1994م، ص173.

(2) درويش، صالح: الرمز في الشعر، الأقلام، السنة الرابعة، 1968م، بغداد، العدد 5، ص35، 36.

(3) زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص110.

(4) المرجع نفسه، ص128.

ويضفي استخدام الرموز التراثية على العمل الشعري عراقة وأصالة، وتمثل نوعا من امتداد الماضي في الحاضر، وتغلل الحاضر بجذوره في تربة الماضي الخفية المعطاء كما يمنع الرؤية الشعرية نوعا من الشمول والكلية، حيث يجعلها تتخطى حدود الزمان والمكان، ويتعانق في إطارها الماضي مع الحاضر[1].

عكف الشعراء المعاصرون على استخدام الرموز التراثية في أشعارهم واستخدامها من مصادر متعددة، من موروث ديني، وموروث صوفي وموروث تاريخي وموروث أدبي وموروث أسطوري أو فولكلوري واستطاعوا من خلالها أن يعبروا عن رؤيتهم الشعرية.

ومن الشعراء المعاصرين الذين استخدموا الرموز في أشعارهم "راضي صدوق" حيث نجد مجموعة كبيرة من الرموز التي وظفها واستطاع من خلالها أن يعبر عن رؤيته الشعرية، إذ يجرد صدوق الرمز الواقعي من بعض دلالته الواقعية ليحمله بعض إبعاد تجربته، ويجرد من الرموز التراثية دلالات ليحمله الأبعاد المعاصرة لرؤيته الشعرية.

ومن أهم الرموز التي استخدمها صدوق في شعره:

1.2.3 رموز الطبيعة:

تعد الطبيعة ميدانا واسعا للرموز، بما تثيره في نفس الإنسان من سحر وجمال وشوق وحنين ومن توق للبساطة والفطرة والبراءة. وبسبب أهمية الطبيعة للمرء وبفعل العوامل العديدة الاجتماعية والنفسية التي تشده إليها فقد اتجه الشعراء إليها ينهلون من رموزها وصورها ويتخذون من ذلك وسيلة للتعبير عن مواجدهم

(1) زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص128.

وانفعالاتهم الذاتية[1] ويرى الشعراء في الرمز الطبيعي مسقطاً يُسقطون فيه الواقع على الطبيعة"[2] أي يصبح الرمز معادلاً موضوعيا للواقع.

تناول صدوق مجموعة من الرموز الطبيعية وأبرزها:

1. الربيع: يحمل دلالة إيحائية، فيوظفه الشعراء رمزاً للخصب والنماء والأمل والتجدد وبعث الحياة والأمل، فهو عند صدوق يحمل بُشرى الأمل والفرح والتحرر من الاحتلال اليهودي بعد اندحارهم من وطنه فلسطين، يقول في قصيدة "هل يعود الربيع":

يزورنا الربيعُ يا صديقتي غدا
وسوف يفرش التلال بالزهورْ
وسوف يعبق الوجود بالعبيرْ
يزورنا الربيع في وداعةِ الصغارْ
ويسأل الطيور عن ملاحن الهزارْ
وسوف يزرعُ القلوبَ بالأملْ[3]

ويؤكد صدوق بأن الربيع هو موسم للخيرات والخصب والنماء، يقول في قصيدة "هذه ساعة الفراق":

ليس بعد الربيعِ موسم حبٍّ
أي حبٍّ هذا الذي في الشتاءِ؟[4]

ويلتفت صدوق إلى ربيع العمر إذ إن ربيع عمر الإنسان في شبابه ، لكن هذا الربيع رحل عن الشاعر، لأنه أصبح كبيراً في العمر. إذ يقول في قصيدة "على عتبة الأربعين".

---

(1) شطناوي، لقمان: الرمز في الشعر الأردني المعاصر دراسة نظرية تطبيقية "، رسالة دكتوراة، جامعة مؤتة، 2004م، ص107.

(2) الساعي، أحمد: حكة الشعر الحديث في سورية من خلال أعلامه ط 1، دار المأمون للتراث، دمشق، ص369.

(3) صدوق، ديوان كان لي قلب، ص121.

(4) صدوق، ديوان رياح السنين، ص52.

رحل الربيعُ عن التلالِ

وصوَّحتْ خضرُ الرَّوابي

والعمرُ يسألني: كبرتَ؟!

كأنه لم يدرِ ما بي![1]

2. الخريف:

هو من الرموز التي ترد بكثرة عند الشعراء الأردنيين وهم يتخذونه رمزاً للتعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم ، فهويحمل دلالة الموت والـ ذبول والانتهاء واليأس، وهو عند الشعراءيحمل في طياته دلالة الزمن القاسي وخيبة الأمل واليأس من الحياة.

إن شعور صدوق بهذه الأحاسيس ينبعث من عالمه الداخلي وما يراه في واقعه من ويلات ومصائب. إذ يقول في قصيدة (وداع):

ومرت سنونْ

وما كنتُ أدري بأنَّ الخريفَ وراء السنينْ

تطل علينا أعاصيره مروعةً كاحتدامِ المنونْ

وما كنتُ أدري بأن الزهورَ ستذبلُ يوما

وأن الصباحَ الجميلَ سيغمض جفنيه ظُلما!![2]

ويربط صدوق بين الربيع والخريف، إذ يأتي الربيع حاملا معه البشرى والنصر والتحرر بعد انسحاب ليـ الي الخريف "الاحتلال اليهودي" من وطنه فلسطين وبزوغ فجر الحرية والنصر يقول في قصيدة "كاذبة".

غداً، يا شقيٌّ، يطلُّ الرَّبيع...

ويسحب عنكَ

ليالي الخريفْ

ويبتسم الفجرُ،

فالعالمونَ ضياءٌ سخيٌّ

---

(1) صدوق، ديوان رياح السنين، ص79.

(2) صدوق، ديوان كان لي قلب، ص116.

.. وحلمٌ رفيفْ[1]

وتسيطر على صدوق فكرة الخريف ، بسبب إحساسه بالحزن العميق الذي ينبعث من مضي الخريف إلى عالم مجهول لا يعرف الشاعر نهايته . فيقول في قصيدة "عند مضيق الموت".

على المدى الوردي غيمةٌ ودمعةٌ وحفنةٌ من الرمادْ
وفي فراع الصمتِ زوبعةْ
تشُدني ضفائرُ المجهولِ للميعادْ
يُلوحُ الخريفُ لي لأتبعهْ...[2]

3. الليل:

يرمز به للظلم والحزن، وقتل الأحلام، وكذلك للغربة والرهبة والخوف بل الضعف و"القسوة في ذات الوقت"[3]، فكلها تستخدم للدلالات الحزينة والمظلمة.

والليل عند صدوق يرمزإلى الظلم وقتل الأحلام بسبب ا حتلال أرضه. يقول في قصيدة "إلى أمي":

مضى يا أمُّ زهو الفجرِ ما عادت لنا أيامْ
وحطَّ الليلُ خيمتهُ... وغيب موكبَ الأحلام
وشاه النورُ في الأعين... جفت شُعلة الإلهام
فلا نَجمٌ يغازلنا... ولا تُسكرنا أنسام
معاني الله مطفأةٌ... هنا... في عالم الأقزام[4]

ويأتي الليل عند صدوق ليعبر عن الحزن الشديد والمستمر والمقيم في نفسه لا سيما عندما يتحدث عن مديـ ته "طولكرم"سقط رأسه، ومهد حياته ،بعد سقوطها تحت وطأة الاحتلال اليهودي يقول في قصيدة "المدينة الصامتة":

---

(1) صدوق، ديوان النار والطين، ص42.

(2) صدوق، ديوان بقايا قصة الإنسان، ص86.

(3) الجبار، مدحت:الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، ط 2، دار المعارف، مصر، 1995م، ص202.

(4) صدوق، ديوان رياح السنين، ص71.

تلك هي الحياةُ في المدينة الصامتة
النهارُ فيها يسحب ذيوله وهو يسيرُ خلفَ جنازة الشمس...
والليل فيها هيكلٌ حزينٌ تستيقظ تحت أعمدته العيون المؤمنة
فتسكب ضوءها في محيط الظلمة، لتسبح في عوالم أخرى، غير
هذه العوالم، وتحلق في دنيا غير دنيا الناس... (1)

4. الفجر:

يحمل الفجر دلالة الخلود، والإشراق والأمل والحرية،فهو عند صـــدوق رمـــزٌ للحرية والنصر والتحرر. يقول في قصيدة "دم الفداء":

الحاملين دماءهم بأكفهـــــــمْ
مهراً بعرسِ المَكْرمات يُقدَّمُ
الخارجين من الجراحِ، مواكباً
تجتاحُ عاتيةَ الرياحِ وتقحـــمُ
الصانعين من الهزيمةِ نصرهم
فجراً يخرُّ له الدَجِيُّ المظلمُ (2)

يقول أيضا:

لكنَّ فجر الحقِّ تشرقُ شمســـهُ
دوماً ويهوي البغيُ وهو محطمُ(3)

ويقول في قصيدة سّلاما للأرض السلام " مؤكدا أن الفجر سوف يبزغ من جديد يحمل معه البشارة والسعادة والسلام:

إنِّي ألمحُ رايات الثأر مزارعَ من حبَّ ووئامْ
وأرى في أعين أحبابي أشواقَ غرامْ....
يا أهلي... يا كلَّ العطرِ العابقِ في الأكمامْ
هبوا كالفجر السَّاطع من خلفِ غمامْ...

---

(1) صدوق، ديوان الحزن أخضر دائماً، ص76.
(2) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص6.
(3) المرجع نفسه، ص8.

أقسمت لئن عدتم في ركبِ الأيامْ
سأضمُّ العالمَ في صدري عنوان سلام[1].

5. البحر:

وهو رمز للحياة بكل ما فيهما من صراعات ومرارات وآلام وغربة، فالحياة كالبحر في غموضها واتساعها ورهبتها.

أما البحر عند صدوق فهو يرمز به إلى القضايا المعاصرة التي تؤرقه، وكذلك للمعاناة المادية والمعنوية التي يعيشها، إذ يصور صدوق في قصيدته "رحلة العبث" رحلة حياته ببحار تا ئه قذفته الحياة وتغرب فيها كالحيران لا يملك سوى الشعر مشعله في مواجهة ظلمتها[2]. يقول:

تظل تلوبُ... تضربُ في متاهِ البحرِ
كالحيرانْ
يثورُ الموجُ كالمسعورْ
وأنت تثورْ
وليس لديكَ في برديكَ، غير الشَّعرْ!
تُغني للدجى، للصمت للإنسان.
تظل تصعِّدُ المجدافَ، تنحرُ في ظباهُ الموج
تهدهد ثورةَ الأنواءْ
وأنت ممزقُ الأشلاءِ
كالمجدافْ[3]

6. الأفعى:

جاءت الأفعىعند صدوق رمزاً للدلالة على أعداء الأمة ،و رمزاً للطامعين المستغلين الذين يريدون أن يأكلوا خيرات وثمرات وطاقات الوطن.

يقول في قصيدة "دم الفداء":

---

(1) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص85.
(2) درويش، الرمز في الشعر الأردني، ص112.
(3) صدوق، ديوان النار والطين، ص18.

يا مستعيرَ السيــفِ من أسيـــــــاده
ومناطحَ الهيجاءِ وهو مُلثـــــــمُ
مستجدياً في الأرض، تحلبُ ضرعها
بالسيفِ في أرضِ العروبة تُفطمُ!
إنا بلوناكـــــــم، فكنتـــــم حيـــــةً
رقطاءَ تنهشُ في الظلامِ وتَهْزِمُ[1]

2.2.3 الرموز الخاصة:

انفرد صدوق بمجموعة من الرموز التي وظفها توظيفا خاصة به، إذ أكسبت تلك الرموز النصوص الشعرية العمق والجمال وإثراء التجربة الشعرية لديه. ومنها:

1. النار:

ويرمز بها إلى التطهر من آثام المرحلة السياسية التي يعبر عنها في قـصائده ، فالنار تقوم بوظيفة الحرق كما أنها تكشف عن ذ فس تتلظى بعذاباتها . فـإذا كانـت النار تخلف الرماد المتلفع بسخونته، فإن الحياة تخلف الحزن، فمن عذوبـة حـ رارة النار تولد حقيقة الأشياء وينبت مجددا معاني الخلاص من هذا الزمان .[2] يقول فـي قصيدة بعنوان "من قلب النار":

ستظل الكاساتُ تدورْ
هذا زمن الريْ
أطفئ في أمعائك نارَ العطشِ التاريخيّْ
الساعةَ تشربُ في بيتي
الساعةَ تمضغُ أعصابي... تطعنني... تَسرقِني.
تصنعُ لي موتي.
لكن غداً يومٌ آخر

---

(1) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص11.

(2)جميعان، محمد سلالم المغدور في بقايا قصة الإنـسان، مجلـة أفكـار، العـدد 224، 2007م.

ستظلُ الكاساتُ تدورْ
ويظل الزمنُ المطعونُ يدورْ
بيتي قد يصبح بيتكْ
موتي..لا بدَّ.. غداً يصنعُ موتك[1]

والنار أولا وأخيرا هي طاقة، ولكنها عند صدوق طاقة هدامة ، وبفعل هذا الهدم الذي تحدثه النار يولد في نفس الشاعر حالة قهرية عاصفة . يقول في قصيدة "المهزومة":

لن أغضبَ... إني لن أغضب
إني أطفأتُ الجذوةَ في كبدي
بيدي... بيدي[2].

فصدوق يُطفئ النار في كبده، وهذا يدل على أنه بلغ الذروة في الاحتراق والغضب.غب في التسامي والتحليق بعيدا عن قيود المجتمع والواقع الذي يعيش فيه[3].

2. الرياح:

الريح حركة مضادة للسكون .وقد تكون ريحاً رخاء داعية للاسترواح ، أو عاتية تنذر بالقلق والانزعاج، فهي رمز للخير أو الشر لكن عند صدوق تبدو الرياح عربيدة هوجاء تحمل في هبوبها العطب والفساد وتملك القدرة على الفتك بالذات الإنسانية واقتلاع الأحلام[4]. يقول في قصيدة "عيون حزيرانية":

قبابي لم تزلْ خرساءَ... لا كلْمةْ
شفاهي أطفأتْها الريحُ... لا بَسمةْ
سمعتُ صراخكم في الليل يطوي غُربةَ الآفاقْ
فضجَّ الشوقُ في صدري

---

(1) صدوق، ديوان بقايا قصة الإنسان، ص30.
(2) المرجع نفسه، ص15.
(3) جميعان، الحلم المغدور، ص100.
(4) المرجع نفسه، ص101.

وقلت أهدهد الأحزان والأشواق:

ترى يأتون من خلف الليالي موكباً من نورْ؟

ترى يأتون؟[1]

فالريح، لجنونها الأصمّلا تعتق الشاعر لكي يبـ وح ويترجم عن مشاعر التأذي بل تكبح فمه عن الجأر بالشكوى وإيصال صوت مأساته، فهي قوة كابحة للتعبير كما إنها كابحة له عن رؤية مصيره ودرب آماله[2]. يقول في قصيدة "من قلب النار":

وأراكِ عيناً أطفأتها الريحُ باردةَ الشحوبِ

وأراكِ كالشفةِ اليبيسة ليس تبسمُ في انتظارِ فمٍ رطيبِ[3].

فهذه الصور المقتبسة، هي ثمرة من ثمرات الرياح وفعلها المجنون جراء حركتها المربكة وا للاطمة بقسوة جارحة لجوهر الإنسان، حيث تذروه وتلقيه في منابع السراب ليذوب في النسيان في كهف بلا دفـ ء[4]. يقول في قصيدة بقايا قصة الإنسان":

وتحملني رياحُ الليلِ والنسيانْ

غداً آوي إلى كهفٍ بلا دفءٍ ولا ظلِّ

وليس لديَّ من صحبٍ سوى الديدانْ![5]

وتسفع الرياح صدوق، فالسفع إنما يكون من النار والريح معا ، وهي مفردة تحمل في دلالتها التعبيرية معنى الشدة والعنف الذي يترك آثاراً مبرحة، فهي رياح سموم لافحة إلى درجة تغير اللون، وبهذا تكون الرياح معادلا لكل القوى المتواطئة على الشر في كل أبعاده ومتواطئة على قصة الإنسان [6]. يقول في قصيدة "بقايا قصة الإنسان":

---

(1) صدوق، ديوان بقايا قصة الإنسان، ص75.

(2) المرجع نفسه، ص100.

(3) المرجع نفسه، ص32.

(4) المرجع نفسه، ص100.

(5) المرجع نفسه، ص9.

(6) المرجع نفسه، ص100.

هنا رقدت بقايا قصة الإنسانْ!

أكادُ أثورُ من تحت الترابِ... أكادُ أصرخُ من وراءِ

الصمتِ: يا ويلي!

فتسفعني رياح الموت.... تلطمني يد النسيانْ![1]

3. الدم:

والدم في رمزيته يشتمل على الأهواء المفترسة، ويرتبط بالعنف والقتل والذبح، وبالحرب التي لا تذر من شرورها أحدا، بالإضافة إلى فكرة الفداء المقدسة والتضحية[2]. فصدوق يجعل الدم رمزا للتضحية والكفاح والبحث عن التحرر والنصر يقول في قصيدة "طلعنا من الليل نورا ونارا":

فلسطينُ هذا ربيعُ الضياء

تبسَّم في حالكاتِ الظلـــــمْ

أطلَّ على الكون نيسانهُ

وقد كان أسطورةً في العــدمْ

طلعنا من الليل نوراً وناراً

وأنشودة من كفـــــاحِ ودمْ

وسوف نُسطرُ عبر المدى

ملاحم لم يبتدعها قلـــــــمْ

ونرفع فوق جبين الذُرى

على قمم المجدِ أسمى علمْ[3]

ويتخذ صدوق من الدم رمزا للشرف والكرامة والحفاظ على الأوطان . يقول في قصيدة "وداع عند الشريعة":

وقد يُقال إننا

نحنُ الذين ضيَّعوا الترابَ والوطنْ

---

(1) صدوق، ديوان بقايا قصة الإنسان، ص9.

(2) المرجع نفسه، ص101.

(3) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص15.

وإننا بعنا القرابَ والسيوفْ

وقد يقال إننا

نُزّيف النضالَ..... نَكْذبُ الكفاحَ.... نقبض الثمنْ

وليس في عروقنا دمٌ شريفْ [1]

ويقول في قصيدة إلى الصغيرة" رلى"جاعلا من الدم ماءً يروي به تراب الوطن، فالحرية مقابل الدم. يقول:

تُربتنا السمراءُ ظمأى لنا...

وليس تَسقيها دموعُ الندمْ

هاتي دماءَ الجرحِ... يا طفلتي

نسقِ ثراها عنفواناً ودمْ! [2]

والدم رمز للجراح والعنف والقتل والذبح والحرب.يقول في قصيدة "احتفالية في انتظار البطل":

فأنا من الأرضِ التي لمّا تزلْ

جرحاً يسيل مدامعاً ودماءَ

تغفو على سَنَنِ الحرابِ سبيةً

تترقبُ الآباءَ والأبناءَ[3]

كما أن الدم رمز للشجاعة والإباء. إذ يقول:

سالتْ على بيض السيوفِ دماؤها

وتمنعتْ أن تُستذلَّ إباءَ

صانت قداستَها بطُهرِ جراحها

والجُرحُ يحفظُ للوجوه الماءِ[4]

---

(1) صدوق، ديوان بقايا قصة الإنسان، ص49.

(2) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص72.

(3) صدوق، ديوان رياح السنين، ص114.

(4) المرجع نفسه، ص114.

3.2.3 الرمز اللوني:

ومن الرموز التي استخدمها صدوق في شعره الرمز اللوني ويقصد به : توظيف الألوان بتقنيات أسلوبية متفاوتة كأن يعبر عن القيمة اللونية إشارياً ، وذلك بذكر اللون أوأسمه في البيان ، أو كان يعبر عن القيمة اللونية فنيا من غير ذكر للدال اللوني، الذي يفهم عبر تجليات دلالة السياق العامرة[1].

ومن أكثر الألوان وروداً في شعر صدوق اللون الأسود والأبيض والأخضر والأحمر والأصفر فكيف ظهرت هذه الألوان؟ وما دلالاتها الإيحائية في شعره؟

أ. اللون الأسود:

يمثل اللون الأسود "ما يستنكره ويتشاءم به من المعاني، ويمكن أن تفسر هذه الدلالة بارتباط اللون الأسود بمواقف مقبضة ومنفرة وحزينة[2].

ويظهر اللون الأسود عند صدوق للدلالة على الشر والحقد والحياة الكريهة الملعونة التي يعيشها، يقول في قصيدة "بعد ألف ليلة وليلة":

"اللحمُ الأسودُ ملعونٌ، لو شاءَ اللهُ للوَّنَ هذا اللحمَ
الأســـــودَ.
يا جلادَ السوءِ، سياطكَ، أطعمها هذا الزنخ الموبوءْ
أطفئ في عينيه بياضَ الضـــوءْ
إختمْ هذا العبدَ الملعون بختمِ السلطانِ
أوثقهُ هنا. لا يبرح أبداً ديواني..."![3]

ويرمز صدوق بالليالي السود إلى الاحتلال اليهودي، إذ عاش الشعب الفلسطيني ليالي حالكة الظلمة تحت وطأة الاحتلال. يقول مخاطبا أمه في قصيدة "إلى أمي":

هنا، يا أمُّ، تُرضعنا الليالي السودُ غِسْلينا.....
ونَسقيها الدمَ القاني.... ونُطعمها الشرايينا.....

---

(1) أبو خضرة، سعيد جبر : محمد تطور الدلالات اللغوية في شعر محمود درويش، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، 2001م، ص98.

(2) المرجع نفسه، ص98.

(3) صدوق، ديوان النار والطين، ص76.

نضيء نهارها الذاوي.... بأعيننا..... وتُطفينا!
نعيشُ لها وتنحرنا.... وتغرسُ رمحَها فينا....
وتلعقُ جرحنا النازفَ، للموت.... تُضحينا[1]

وتعمق الدلالة الإيحائية للون الأسود باستخدام صدوق بعض درجات اللون الأسود كالسمرة التي تدل على المحبوبة السمراء . إذ يقول في قصيدة "الرسالة الخامسة":

يا أنتِ... يا سمراءُ... يا من تحلمين
بالزورق الفضي يمخرُ في السنين...
بم تحلمين؟!
بالفيلا والقصر المكين؟
لا شيء مما تسألين[2].

ويجعل صدوق من اللون الأسود صفة جمالية ، لا سيما عندما وصف عيون المحبوبة بأنها سوداء. يقول في قصيدة "رموش طوال":

خيطانِ مضطربان من ليلٍ
ناران تلتهبانِ من حولي
أخشى على عينيّ حرَّهُما
أخشى العيونَ السودَ في الكحلِ[3]

2. اللون الأحمر: ظهر اللون الأحمر بدلالات متعددة ، توزعت بين المعاني الإيجابية والسلبية، وارتبط اللون الأحمر بلون الدم لذلك صار الأحمر رمزاً للخطر والموت ورمزا للقتل والثورة، كما هو رمز للحياة[4].

وظف صدوق اللون الأحمر للدلالة على الموت والتضحية في سبيل تحرير الوطن.

---

(1) صدوق، ديوان رياح السنين، ص72.
(2) صدوق، ديوان كان لي قلب، ص75.
(3) المرجع نفسه، ص94.
(4) درويش، الرمز في الشعر الأردني المعاصر، ص299.

إذ يقول في قصيدة "لعنة على الشعارات الكاذبة".

وترسمُ في طلولِ الريحِ أغنيةً من النارِ
عن الإنسانْ،
عن الحرية الحمراءْ،
عن الطغيانْ،
عن الأحرار والشهداءْ،
عن الأبطالْ،
عن القدس الجريح يغطُّ في العارِ[1]

ويرمز صدق باللون الأحمر إلى الشعب الفلسطيني المدافع عن أرضه . إذ يقول في قصيدة (هزيمة النصر):

الدمُ الحر تلظي هـــــــادراً
زلزلَ الروحَ جنوناً واصطحابـــا
البراكينُ أفاقتْ، لن تـــــــرى
في فضاءِ الله صرحاً أو يبابـــــا
يا فلسطينُ أنظرينا نضطـــرم
قد صهرنا الأحرف الحُمْرَ كِتابا[2]

3. اللون الأخضر: ويرمز اللون الأخضر إلى لالات متعـــددة مـــن أبرزهـــا الخصوبة والخير والجمال والعطاء والتفاؤل والأمل[3].

ويظهر الإيحاء الرمزي عند صدوق للون الأخضر، إذ رمز به إلـــى التفـــاؤل والأمل، فهو في قصيدة الحزن أخضر دائما يجعل من الحزن أملا وتفاؤلا.

---

(1) صدوق، ديوان النار والطين، ص53.

(2) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص20-21.

(3) سيرنج، فيليبللرموز في الفن،الأديان، الحياة، ترجمة عبدالهادي عباس ط 1، دار دمـــشق، 1992م، دمشق، ص423.

يقول:

قل لي: هذا الخيطُ الأخضرْ
هل ينبتُ من أعماقٍ مجهولةْ؟
ألمحُ ورقا لا تبصره إلا عينُ الروحِ
وألمحُ، في الباطن، بعض جروحْ
هل ينبت هذا الخيطُ الأخضرٌ من غصنِ الدمْ؟
قالوا: قد ينبتُ شوكٌ من وردٍ والفرحِ الطفلْ
قد يزهو من أحزانِ الليلْ
أخضر هذا الحزنُ، يظلُّ، وأنتَ
الراحلُ في التيه، وحيداً تسألك الريح متى تُلقي المَرساةَ....
متى تحتضنُ الشطآنْ؟[1]

ويستخدم صدوق اللون الأخضر لدلالة على الخصب والجمال والسعادة والخير والعطاء.يقول في قصيدة "المدينة الصامتة":

السهل الساحلي ممتد إلى أعماق اللانهاية...
والربوة الخضراء متكئة على كتفي ذلك السهلِ
هناك تنطلق ملائكة الأبدية...
ترفرف في سماء تلك الربوة الخضراء![2]

ويصف صدوق مدينته طولكرم مُضفياً عليها اللون الأخضر، لخصوبتها وجمالها. يقول:

المروجُ الخضراءُ تتنفس شعاع الشمس، بملءِ أعشابها...
والعصافير الغريرة تزقزق، حالمةً، سعيدة...
أما الحمائمُ البيضُ في بيت جدتي، فأنها تنقر الحبَّ، بينما يدلجُ
الفلاحون إلى مزارعهم، وفي أيديهم الفؤوس العقفاء...[3]

---

(1) صدوق، ديوان الحزن أخضر دائماً، ص45.
(2) المرجع نفسه، ص71.
(3) المرجع نفسه، ص77.

أما الرموز الأدبية، عند صدوق فوجدناها قليلة تتمثل في الحديث عن قيس وليلى، وقد اتخذ الشعراء من قيس رمزا للعاشق المخلص في حبه، وكما استخدموه رمزاً لحب الوطن.

أما عند صدوق فنجد "قيس وليلى" رمزاً للفلسطيني الذي يعاني من التشرد والغربة والضياع وليل ى رمز لفلسطين والوطن الضائع. إذ يقول في قصيدة "دموع وعذاب":

فلا تبكِ؟ لا تبكِ يا منشدي

فإن كلينا على موعـــــــدِ

تثورُ الليالي بأضلاعنا

وتحرقُ بالتيه ما نرتـــــدي

ونحن كما كان قيسٌ وليلى

نضلُّ الطريقَ، ولا نهتـــدي

تبسمْ؟ ودعْ عنك هذا القنوطَ

لنمضِ سوياً إلى المورِد[1]

لقد تمكن الشاعر راضي صدوق من خلال استخدامه للرموز المختلفة ، أن يعبر عن رؤيته الشعرية ، وبأعاد تجربته التـ ي عاشها عبر مسيرة حياته الطويلة خير تعبير،ينجح في توظيف الرموز بإشكاله المختلفة للتعبير عن دلالات اي جابية وسلبية معا.

3.3 الصورة الشعرية.

1.3.3 مفهوم الصورة الشعرية:

الصورة الشعرية واحدة من الأدوات التي يستخدمها الشاعر في بناء قصيدته وتجسيد الأبعاد المختلفة لرؤيته الشعرية ، فبواسطة الصورة يشكل الشاعر أحاسيسه

(1) صدوق، ديوان كان لي قلب، ص37.

وأفكاره وخواطره في شكل فني محسوس ، وبواسطتها يصور رؤيته الخاصة للوجود والعلاقات الخفية بين عناصره[1].

ويقصد بالصورة الشعرية : "هي خلق جديد لعلاقات جديدة في طريقة جديدة من التعبير"[2]وأنها رؤ ية ولكنها ليست رؤية حالمة، أنه رؤية واعية لا تلـــتقط وتميـــل وتختار وتركب وتكون مشهدا كاملا"[3].

ويرى أحممطلوب أن الصورة هي : "طريقة التعبير عن المرئيات والوجدانيات لإثارة المشاعر، وجعل المتلقي يشارك المبدع بأفكاره وانفعالاته"[4].

والصورة هي ثمرة عاطفة الأديب الخاصة وما يشعر به في نفسه إزاء الأشياء بعد أن تمتزج بمشاعره وما يضيفه عليها من حالاته النفسية الوجدانية[5].

ونجد الصورة الفنية عند بشرى صالح هي "المرآة العاكسة للعلاقـــات ونمطهـــا وكيفية امتزاج عناصرها على نحو يكشف عن خصوصية ذهن الشاعر والمؤثرات فيه"[6].

وتعرف الصورة الشعرية بأنها : تركيب لغوي لتصوير معنى عقلـــي وعـــاطفي التجسيد أو التشخيص أو التجريد أو التراسل[7].

---

(1) زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص68.

(2) عباس، إحسان: فن الشعر، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص260.

(3) إسماعيل، عز الدين: الأدب وفنونه، ط6، مطبعة السعادة مصر، 1976، ص146.

(4) مطلوب، أحمد: الصورة في شعر الأخطل الصغير، دار الفكر للنـــشر والتوزيـــع، عمـــان، 1985، ص35.

(5) منصور، عبدالرحمن: اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس، مطبعة دار العلم، القـــاهرة، 1977م، ص368.

(6) بشرى، صالح: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ط 1، المركز الثقـــافي العربـــي، بيروت، 1994، ص44.

(7)أبو أصبع، صالح الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منـــذ عـــام 1948-1975م، ط1،، المؤسسة العربية للدراسات النشر،1979م، ص31-75.

والصورة الشعرية ليست اختراعا شعريا حديثا، وإنما هي أداة من الأدوات الشعرية التي استخدمها الشاعر منذ أقدم عصور الشعر، وشعرنا العربي القديم حافل بالصور الشعرية البارعة التي استخدمها الشعراء في تجسيد أحاسيسهم ومشاعرهم[1]

ولم يكن اهتمام النقاد والعلماء العرب بدراسة الصورة رد فعل لجهود اليونان القدماء في دراسة الصورة [2]، إذ لا يمكن تصور شعر خال من الصورة [3]، لأن الصورة هي جوهر الشعر وأداته القادرة على الخلق والابتكار، والتعديل لأجزاء الواقع، بل اللغة القادرة على استكناه جوهر التجربة الشعرية وتشكيل موقف الشاعر من الواقع وفق إدراكه الجمالي الخاص[4].

ونجد جهودا للنقاد القدامى في دراسة الصورة ومن هؤلاء النقاد: الجاحظ، وابن قتيبة، وقدامة بن جعفر، وابن طباطبا، والآمدي، وابن جني، وابن هلال العسكري، وابن رشيق القيرواني، وعبد القاهر الجرجاني.....وغيرهم.

والتفت النقاد المحدثون إلى أهمية الصورة الفنية في النص الإبداعي ، فتباروا في ميادين بحثها،فدرسوا جذورها ووظائفها وأنماطها وكل ما يتعلق بطبيعتها مفردين لها كتبا أو بحوثا أو فقرات.

أما منطلقاتهم متعددة بتعدد قناعتهم، فانطلق بعضهم من ثقافته التراثية مقراً بما أنجزه العقل العربي وانطلق الآخر من ثقافته الأجنبية ملمحاً إلى أثر الأجانب في نظرة العرب للصورة[5].

---

(1) زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص68.

(2) عبدالرحمن، نصرت: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، مطبوعات مكتبة الأقصى، عمان، 1976م، ص8.

(3) العشماوي، محمد زكي : فلسفة الجمال، دار النهضة العربية للطباعة والنشر في الفكر المعاصر، بيروت، 1980، ص169.

(4) الجبار، مدحت: الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، ط 2، دار المعارف، القاهرة، 1995، ص6.

(5) الصائغ، عبدالإله: الصورة الفنية معياراً نقدياً، ط 1، 1987م، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ص124.

والصورة الشعرية في الشعر العربي الحديث هي: "إبداع خالص الروح، وهي لا يمكن أن تتولد من التشابه وإنما من التقريب بين حقيقتين متباعدتين كثيرا أو قليلا ، وكلما كانت ا لصلات بين الحقيقتين اللتين يقرب بينهما الشاعر بعيدة ودقيقة كانت الصورة أقوى وأقدر على التأثير وأغنى بالحقيقة الشعرية[1].

2.3.3 الصورة الشعرية عند راضي صدوق:

يرى صدوق أن الصورة الشعرية هي : كيفية وجود من حيث هي بناء فني واتقاء بالرؤيا واحتواء لها وهذه الصورة ليست على نمط واحد ، لأن الصورة الشعرية، كما شاعت في العقود الماضية في أوساط الشعراء والنقاد والدارسين، لها مفاهيم وأنواع ودلالات، وهي عند شعراء الكلاسيكية غيرها عند شعراء الرومانسية أو الرمزية أو السريالية[2].

فالصورة الشعرية عند الكلاسيكيين أداة تعبيرية من تركيب الذهن والمعادلات التشبيهية أي أنها –في النهاية- مجرد صورة فوتوغرافية عن الواقع ، ويرى صدوق بأن العقل إذ تدخل مباشرة بتشكيل الصورة الشعرية في القصيدة يفسد الرؤية الشعرية، لأن الصورة العقلية ليست وليدة الإحساس المباشر، بل هي وليدة شاعرية مركبة من خيال وفكر ومفهوم الإبداع الشعري منذ القديم يقوم على ثلاث قوى هي: الشعور والخيال والعقل فلا بد من الشعور والخيال في تشكيل الصورة[3].

ويؤكد صدوق بأن الصورة المنتظمة الواضحة المركزة التي تعبر عن حقائق موضوعية تستند إلى قوانين العقل والطبيعة ، لأن مثل هذه الصورة تتعارض مع جوهر فنية الشعر وماهيته في الأصل. فالخيال فيها "مروص" والعاطفة "ملجومة"... إنها صورة نقلية ..لوحة جامدة لوجود جامد . إنها لا تتغلغل في جوهر الأشياء، بل تعكس صورها الخارجية، إنها مزركشات لفظية ومحسنات بديعية لا أكثر[4].

---

(1) زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص72.

(2) مقابلة شخصية أجريتها مع الشاعر بتاريخ 2008/2/25م.

(3) المرجع نفسه.

(4) مقابلة شخصية أجريتها مع الشاعر بتاريخ 2008/3/1م.

بينما الصورة في الشعر الرومانسي –مثلا– تقوم على مبدأ التداعي ، كما هي الحال في الأحلام وقد تكون خالية من الـ معنى... وقد لا تكون مترابطة الأجزاء، لأنها ليست وليدة الوعي في الشاعر، والصورة الشعرية المبدعة حلم يرفض مختلف أشكال الترتيب المنطقي.

أما الصورة الشعرية في المدرسة الرمزية، فهي غريبة خارجة عن المألوف لا تخضع لقوانين العقل ومقوماته ونتائجه، وشعراء الرمزية حاولوا العدول عن الصور الطبيعية العادية ولاحقوا الغريب من الصور، والصورة الشعرية عند أبناء المدرسة الرمزية تقترب من الرؤيا الصوتية[1].

ويرى السرياليون أن القصيدة مغامرة داخلية تنتهي بخلق الصورة من عدم ، وبعضهم يرأى الشاعر في نهاية هذه المغامرة، يأتي بصورة عاصفة متفجرة، قادرة على إشاعة حالة إيحائية في القارئ تتخطى العالم الراهن ..... خلق صور من لا شيء خلق من عدم . ويجمع بعضهم إلى حد القول أن الصورة في القصيدة يجب أن تكون عملية إعدام المادة وتحويلها إلى سراب.... إلى حلم موسيقي[2].

ويؤمن صدوق بالصورة الشعرية القادرة على احتواء العاطفة، ونقلها وإيصالها ، فالصورة عنده "آلة" أو "وسيلة" لإبراز الفكرة والخفقة والخاطرة، ووسيلة لإدخال موضوع مجرد وتقريبه من الذهن والتصور والاستيعاب.

ويجد القارئ أشكالاً شتى متباينة من الصور الشعرية في شعر صدوق ، إذ يجد الصورة الكلاسيكية التي هي أقرب ما تكون إلى صورة فوتوغرافية عن الواقع، والصورة الرومانسية الحسية المتجسدة بالبناء الموسيقي للقصيدة، ونجد الصورة الرمزية والسريالية في قصائد عديدة.

ويفضل صدوق نمطاً معيناً من الصور الشعرية، لكنه لا يتعصب لنمط أو لون أو نوع دون الآخر، فكما أن القصيدة عنده هي بنت اللحظة واللحظة هي التي تختار الوتيرة التي تحدد الصورة الشعرية، فالصورة تنبع من عالم الوجدان ، فهي لا تكون صورا ناجزة جاهزة واقعة من المكان.

---

(1) مقابلة شخصية أجريتها مع الشاعر بتاريخ 2008/3/1م.

(2) المرجع نفسه.

3.3.3 أنماط الصورة الشعرية عند راضي صدوق:

1.3.3.3 الصورة البصرية:

إن الصورة البصرية : هي نتاج تتعاون فيه كل الحواس، وكل الملكات، وإنها بمثابة الإلهام يأتي نتيجة قراءات الشاعر ومشاهداته وتأملاته ومعاناته، إلى جانب قوة ذاكراته وسعة خياله وعمق تفكيره[1].

فهي تخطف في حدس الشاعر المبدع لحظة فائقة تثير معالم نفسيته جميعا، لذلك يبدو وصفه الوجداني كثير التعقيد في الدلالة على غموض التجربة، فلحظة الحدس تضيء مضامير الشاعر وأعماق وجدانه الغائر المهم وتنقل فيه أحاسيسه والا ومضاعفات كثيرة العمق واللبس[2].

إن الإحساسات البصرية لا تتصح نعتها بالجمال على أتم وجهه ، هي الإحساسات البصرية لكونها تمثيلية تستمد عمقاً جديداً من المعاني الكثيرة التي ارتبطت بها حتى أصبحت مركزاً تجتمع حوله أجزاء كاملة من وجودنا، إنها الحياة كلها مكثفة ومختصرة، فالذكرى عند من وهبت له حاسة البصر سلسلة من اللوحات أي من الصور والألوان، وقد تماسكت هذه الصور فأصبحت كل صورة تستدعي الصورة الأخرى إن بين الإدراكات البصرية و الأفكار انسجاماً خفياً يدركه الشعراء ويراعونه في كل ما ينظمون[3].

والعين هي الأداة الأولى والكبرى للإحساس بالجمال والإحاطة بمعانيه ، إذ أكثر المجازات والتشبيهات مستمدة من عمل العين وإحساسها[4].

---

(1) نافع، عبدالفتاح، الصورة في شعر بشار بن برد ، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1983م، ص99.

(2) حاوي، إيليا، فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، ط 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1967م، ص15.

(3) ماري، جان، ترجمة سامي الدروبي، مسائل فلسفة الفن المعاصر، ط 2، دمشق، 1965م، ص79.

(4) المازني، عبد القادر، بشار بن برد، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، 1944، ص61.

وليس هناك من شك في أن البصر له قيمة عظمى في الإحساس بالجمال ، بل هو الوسيلة الأولى لذلك .فعن طريق العين تختزن الذاكرة آلاف الصور التي تريد ها نتيجة الرؤية، وكثيمن الأشياء التي تميز بالعين لا تمـ يز بالحواس الأخرى كالألوان والأحجام وغيرها[1].

ونجد عند صدوق الصورة البصرية بشكل واضح في دواوينه الشعرية ، إذ يقول في قصيدة "سلاما لأرض السلام":

إني ألمحُ عبرَ الليل الصُّبحا
ألمح رايات الثأر مزارعَ من حب ووئام
وأرى في أعين أحبابي أشواق غرام...
يا أهلي... يا كلَّ العطر العابق في الأكمام
هبُّوا كالفجر الساطع من خلف الأيام
سأضمُ العالم في صدري عنوان سلام[2]!

في هذه القصيدة نلمح صورة المنتصر الذي استطاع أن يـ خرج من أغلال الهزيمة التي كانت تدمي يديه ، وتغلّ قدميه عن المسير إلى الأقصى السليب وكنيسة القيامة الأسيرة التي تنتظر عودة أبنائها إليها من بعد تشريد ، لكنه المنتصر الذي يرتفع إلى ذروة التسامح والتسامي عن الجراح الماضية والعفو عن عدوه الذي استلب أرضه وشرد أهله وقتل منهم من قتل لقد حول الشاعر، هنا ، رآيات الثأر، إلى مزارع حب ووئام، وصور مواكب العائدين وكأنما هم موجات عطر تبهج النفس بدلا من أن تكون على عادة العائدين المنتقمين الحاقدين على أعدائهم ناراً وشواظا ودماً ودماراً. إنها صورة في غاية التطهر والترفع عن الأحقاد ونوازع الثأر والارتفاع إلى أرفع وأنبل ما يرتقي إليه الإنسان الأصيل النبيل.

ويقول في قصيدة "كلمات من قلب":

لكنني سوف أشق الحياة...
بقوةٍ وأنفها راغم!

---

(1) نافع، صورة في شعر بشار بن برد، ص101-102.

(2) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص85.

وسوف أبني عالمي شامخـــاً

كالشمسِ رغم الموت رغم العذابْ

فالشمسُ لا تطفئ نيرانهـــــا

كآبة الأرض وحزن السحـــاب[1]

في هذه الأبيات الشعرية تلتقي صورة الإنسان المكافح الذي يعاني من عـــذابات الحياة وخيباتها ومعاناتها مع صورة الإنسان الشجاع الذي لا يستسلم ولا يـ ضعف أو يهون، بل إنه يستمد من الضعف قوة ويصر على مواجهة الحياة بكل مـــا تنطـــوي عليه من مصاعب وعراقيل ومتطلبات، ساعياً بقوة لبناء عالمه الذي يليق بمثله ممن لا يستسلمون ولا يضعفون ولا ينهزمون أمام الصعاب ... وفي هذه الأبيات الشعرية نجد صورة الإنسان المادة وصورة الإنسان الروح، ثم ننتهي إلى حـ كمـــة التجربـــة المؤمنة الصامدة مع الحياة وهي أن كل ما في الأرض من ظلام وكآبات وســـحائب دكناء قاتمة لا يمكن أن تصمد في وجه الشمس... رمز النور والرفعة والوضوح.

وفي قصيدة "من قلب النار" يقول:

وأراكِ وهماً في الغيوب

ودماً تخثر في الشرايين الصديئة، في القلوب

وأراكِ عيناً أطفأتها الريح باردة الشحوب

وأراك كالشفة اليبيسة تبسم في

انتظار فم رطيب

وأراكِ حانية القباب، خفيتة الأجراس، تائهة الدروب

يا قدسُ... يا تاريخُ... أي غدٍ يطل وراء عالمك الرهيب؟[2]

إن القارئ يستطيع أن يرى القدس لحظـ ة سقوطها بين أيدي الأعـــداء، لكأنـــه يراها رأي العين... فقد ظلت هذه المدينة المقدسة الطاهرة على مدى الأجيال موئل سلامٍ ووئامٍ وحضناً رؤوما وثغراً باسماً وناصيةً عاليةً شماء... وقد استحالت إلـــى كل ما هو غير ذلك وفي هذا التصوير للقدس ،لحظة سقوطها تلتقي كل الـــصور

(1) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص60-61.

(2) صدوق، ديوان بقايا قصة الإنسان، ص32

النفسية والحسية والبصرية مثلما تلتقي الدمعة بالرؤية ، والانكسارة بصرخة النـــداء والاستغاثة التي تنطفيفي غياهب السؤال الكبير . والشاعر، هنا، يستخدم أهم وأبرز ما في المدينة المقدسة من رموز تجمع ولا تفترق ، تلك الرموز التي ظلت وســـتظل ضمير المدينة وشاهدها، وأية ر موز وأرفع وأطهر وأنبل من قباب الأقصى المبارك وأجراس القيامة المقدسة؟

ويقول في قصيدة "تسامح ":

رأيت بعينيكِ رحلةَ عمري

تسيرُ على زورقٍ من ضياء

وأشعلتُ من عمري شمعةً

لغيركِ ما كان شمعي يُضـــاء

ولكنه الحبُّ... لا يأتلي

يُزينُ للقلب حتى الريـــــــاء

راضيتكِ زيفاً... ويا ويلتا

من الزيفِ في مهج الأصفياء![1]

في هذه الأبيات المجتزأة من إحدى القصائد يسجل الشاعر تجربة من تجاربه مع حواء المدبرة بعد إقبال والمذ قطعة بعد اتصال ووصال، ونرى صـــورة حـــواء المعشوقة في الحالين خال الإقبال على الشاعر و التناغم معه والاتحاد فيه، وحـــال الخيبة فيما كان يعلّ قه عليها ويرجوه منها... وهو في هذه الأبيات يقدم لنـــا صـــورة حسية صادقة في الحاليضوزة المحب المقبل الغارق في حبه عنـــد الرضـــا ... وصورة المحب الغاضب الساخط عندما يكتشف أن عاطفته الـــصادقة وتـــضحياته المخلصة لم تثمر، ثم نجده ــ بعد هذه الخيبة الفاجعةــ يعزى نفسه ليهـــون عليهـــا مصيبةتجلوبة المرة وكأنه يهدهد جراحه ويـ واسي نفسه قائلا : لا عليك... هذه هي طبيعة الحبوأنه في النهاية لا مـ ناص لنا من الرضا بالكثير مما لا نرضى به في العادة، حتى يظل الركب سائرا في الطريق مهما يكلفنا ذلك من احتمال ومعاناة.

---

(1) صدوق، ديوان رياح السنين، ص30

ويقول:

ترى الصديقَ صديقاً ما بذلت لهُ

من ذات نفسك حتى ينضبَ المددُ

مثل الفراشاتِ حول الضوءِ حائمةً

ما دامت النارُ في المصباح تتقدُ![1]

لعل هذين البيتين يقدمان لنا صورة صادقة جلية للصداقة في كثير من المجتمعات التي ضعفت فيها القيم المتوارثة عبر الأجيال في الصداقة والصديق ، وصحيأنه في البيت الأول يحدثنا عن الصديق الجانح الجاحد ، بأسلوب إخباري تقريري بكائي معناه يكون شائعا في هذه الأيام بين الناس ، إلا أن هذه الإخبارية التقريرية تتزين بأجمل صورة تمثيلية يمكن أن تعكس صورة الصديق الجاحد الذي لا يحفظ إلاَّ ولا ذمة، عندما يمثله بالفراشات التي تظل حائمة هائمة حول المصباح ما دام يتوهج بالنور، فإذا جف فيه الزيت وانطفأ النور، أشاحت هذه الفراشات عنه، إلى غيره، لتعيد لعبة جحودها كرة ثانية وثالثة من جديد.

وتصوير الشاعر للجحود، يمثل هذه السوية، يلتقي فيه الحس بالتجربة والخبرة في دنيا الحياة والناس، لكن تصويره للجاحد بـ مثل الفراشة يعبر عن صفاء سريرة الشاعر وبعده عن استعمال التشبيهات التي تجرح الشعور وتمس مكانة الإنسان وصورته الإلهية التي يصر عليها الشاعر دائماً في قصائد كثيرة حتى ولو كان جاحدا.

ويقول:

لهفاً عليك... ألستَ تبصرني

كُذبالةٍ في الريح تُحتضرُ؟!

مترنح الخفقات... ينكرني

روح الوجودِ وقلبهُ الحجرُ

والعين تبخل في مدامعها

ودمي يشطُّ كأنه سقـــــرُ

---

(1) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص25.

أسقيهِ من ظمئي، وأطعمهُ

ضوءَ العيون، وليس يزدجرُ.[1]

إننا نلحظ في هذه الأبيات أكثر من صورة يمتزج فيها البصري بالحسي بالنفسي مثلما يلتقي ظاهر الطبيعة بباطن النفس. وتظل الثقافة والخبرة الحياتية العميقة ماثلة دائما وراء كل كلمة في كل قصيدة للشاعر صدوق، وهو في هذه الأبيات كما في غيرها من أشباهها يقدم أبسط ما تراه العين ويعاني منه القلب ويمور في الوجدان في صور يلتحم فيها الطبيعي المعروف الملموس بالباطن من الشعور المحسوس، ولكن في صورة جمالية تجمع بين البيان المشرق والحكمة المستنيرة في ما يشبه الحوار الداخلي مع نفسه ولنا أن نتصور كيف تكون حالة الشاعر - أي شاعر -عندما يكون حاله كذبالة في الريح العاتية، مترنح الخفقات جامد العينين في وجود حجري القلب ميت المشاعر، يسقيه الشاعر حتى من ظمأ عينيه ويطعمه ضوءهما، لكنه يظل على قسوته وجبروته لا يجدي معه بذل أو عطاء.

2.3.3.3 الصورة السمعية:

تعدّ حاسة السمع أكثر أهمية من حاسة البصر، فهي تستغل ليلا ونهارا وفي الظلام والنور، في حين أن المرئيات لا يمكن إدراكها إلا في النور والإنسان يستطيع أن يدرك عن طريق الكلام أفكارا أرقى وأسمى مما قد يدركه بالنظر الذي معها عبر فتعبيره محدود المعاني[2].

ولا يخفى ما لهذه الحاسة من أهمية في إدراك الجمال، فهي عماد كل نمو عقلي وأساس كل ثقافة ذهنية[3].

إن صدوق لم يعتمد على الصورة البصرية فحسب بل استخدم الصور السمعية، لأن الإحساس بالجمال لا يقتصر على العين فقط بل يمكن أن يحسه الإنسان بطرق مختلفة مثل السمع واللمس والشم والذوق.

---

(1) صدوق، ديوان رياح السنين، ص19-20

(2) أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، ط4، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1950م، ص15.

(3) نافع، صورة في شعر بشار بن برد، ص169.

ويركز صدوق على الصوت ويجعل منه وسيلة لفهم حقائق الوجود، والأ لم الذي يعبر عنه بالصوت يؤثر فين ا على وجه العموم تأثيرا روحيا أبلغ من تأثير الألم الذي يعبر عنه تق يمات الوجه، وحتى بالحركات .والشعر نفسه ليس في حقيقة أمـــره إلا جملة من الكلمات المختارة يقصد بها الشاعر إلى أن يهز الأذن هزا أقوى.[3] "

ومن الصور السمعية عند صدوق قوله:

أتسمعون صرخةَ الجراح في المنابر الحزينه؟!

أتسمعون صيحة المسيح في القيامة الطعينه؟

أتلمحون دمعة الأطفال في ربوعها يتامى؟

ترقرقت كنبعة العبير من محاجر الخزامى؟[4]

صحيح أن هه الأبيات تنطوي على صورة سمعية في البداية ، لكن سرعان ما تذوب في أصدائها دموع الأطفال اليتامى، الطاهرة كعبير الأزاهير، والصورة هـــذه التي تتكئ على السيد المسيح (عليه السلام) والأطفال اليتامى وعبير الخزامـــى، لا يصلح غيرها لتصوير طهارة القدس وطبيعتها السمحة وبراءتها من كـــل دنـــس ...

والذين يعرفون مدينة القدس معرفة عيان أو معا يشة يستطيعون أن يروا صورة هذه المدينة المقدسة الطاهرة تتبدى بجلاء وصفاء في هذه الأبيات حتى ولو لم يرد فيهـــا أيما ذكر صريح للقدس.

ويقول في قصيدة "بكائية ":

صوتكم يا أخوتي الطالعُ من خلف الظلامْ

صرخةُ الميلادِ في الأرض السليبةْ

أرضنا الخضراءُ ما عادتْ غريبةْ

صوتكم أطلعها كالفجر من خلف القتامْ

دمكم يمنحها نبضَ الحياة

يا أحبائي الذينْ

رفضوا ذلَّ السنينْ

---

(1) ماري، مسائل فلسفة الفن المعاصر، ص79.

(2) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص84.

يا بشاراتِ الندى تَسقي الروابي
يا دماً حراً يصب النارَ في روح الصغارِ الحالمينْ
يطلع الفجرُ على وهج الحرابِ[1]

إن هذه الصورة السمعية تختلف عن سابقتها التي كانت القدس موضوعها . فالشاعر يتحدث هنا عن المناضلين الخارجين من الجراح، الصارخين في وجوه الأعداء وكأن صراخهم هو صرخة الميلاد المؤذن بعودة الوطن السليب إلى أهله ... صحيح أنها صورة صوتية ولكنها هذه المرة، صورة القوة والعزيمة والثأر . صورة الغوإلى الأرض على أصداء الصرخة المدوية المنطلقة من حناجر الأجيال الطالعة، أجيال النصر. وقد اقتضت طبيعة هذه الصورة وهذا الموضوع أن يلجأ الشاعر إلى استخدام الكلمات المعبرة عن القوة والعزيمة الملائمة لموضوع القصيدة وصورها ومعانيها.

ويقول:

حنانك... أسمعُ صوت النذير وأسمعُ صوت الردى
يزلزلني اليأسُ... لكنني لم أزل في اللظى صامدا
إذا هزني الموتُ ثار الغرام بقلبي وروحي ندا
أخاف أناديك يوماً، فيفنى النداءُ... وما من صدى![2]

وفي هذه الأبيات ، نجد صورة سمعية جديدة، يتراوح فيها الصوت بين صعود وهبوط، بين شحوب وخفوت وغضب، فهو صوت الردى والنذر المستطيرة تارة، و صوتاليأس والضعف والاستسلام تارة أخرى لكنه اليأس الذي يظل متشبثاً بأحلام الصمود والأمل رغم تخوفه من أن يذهب نداؤه كما يضيع الصوت الصارخ في البرية.

في هذه الأبيات، بكل ما فيها من تعابير وتصاوير، يتبدى لنا إنسان ضائع حائر بين اليأس والأمل، بين نذر الموت وأحلام الحياة، لكنه مع هذه كله يظل الإنسان المصرُّ على المواجهة والصمود رغم عدم ثقته بالطرف الآخر الذي يحلم به.

---

(1) صدوق، ديوان بقايا قصة الإنسان، ص62.

(2) صدوق، ديوان أمطار الحزن الدم، ص63.

وفي قصيدة "وداع عند الشريعة". يقول:

أكادُ أسمعُ الأوراقَ والغصون في كرومنا
ضارعةً إليك بالنداءْ
أكادُ أسمعُ السماءْ
كأنما استمال صمتها إلى نداءْ[1]

إنها صورة سمعية أخرى لكنها من نمط جديد . فالصوت هنا صوت الحلم والأمل بعودة الغائب الشريد، الضائع في غياهب الصمت المطبق حوله، الذين يرون المأساة الفلسطينية بأم أعينهم، ومعاناة المشردين المبعدين عن وطنهم في أعقاب نكسة حزيران عام 1967م لا ينبض فيهم عرق أو يرتفع صوت ... إن الشاعر، هنا في هذه الأبيات ، كمن يبشر بأن أصوات أوراق الأشجار والغصون في الحدائق والكروم الفلسطينية هي صوت الصحوة والصوت الذي سيهتك سكينة الليل والهزيمة والخذلان.

وفي قصيدة "أمانك يا دنيا". يقول:

دعوتك يا دنياي.. هل تسمعيني؟
كأني بسمع الدهر عني غافـــل!
تنكر لي عمري وسيفي ولم أزل
أصارع دهري عنوة... وأقاتل...[2]

إن الصورة الصوتية في هذين البيتين، تعود بنا إلى الذاتية في خصوصية الشاعر نفسه الذي نجد في شعره كله حرارة التجربة وعمق الصراع وقوة المعاناة مع الحياة وأناسها، بفعل تنقله الطويل من قطر عربي إلى آخر أكثر من نصف قرن، إلى جانب اغترابه في أوروبا ثم في الولايات المتحدة الأمريكية.

ولعلنا في هذين البيتين نكاد نلمح صورة البائس المهزوم الذي تخلى عنه كل شيء وتنكر له كل شيء، لكنه ما يزال رغم كل ذلك يصارع ويقاتل في الحياة.

---

(1) صدوق، ديوان بقايا قصة الإنسان، ص50.

(2) صدوق، ديوان رياح السنين، ص86.

ويقول:

حذار أن تصرخ، أو تستغيث، أو تطلب الرفق والعطف...

لأن الكبير لا يموتُ إلا صامتاً...

مثل الأشجار الشامخة تموت وهي واقفة...

وأنت من فصيلة الأشجار التي تعطي ثماره، حتى للذين

يضربونها بالعصي والحجارة![1]

رغم أن الشاعر يقدم لنا صورا سمعية متنوعةمنها صورة القــ وة والعزيمــة والإرادة، وصورة الأمل والحلم، وصورة الحزن واليــأس والــشحوب، والــصور المتعلقة بالذات إلى جانب الصور المتصلة بالقضايا الوطنية والإنسانية ، إلا أنه هنــا يقدمّ لنا الصورة الصوتية التي يعـ بر فيها الصراخ والاستعانة ضد الكرامة والرجولة والإنسانية والشموخ.

والشاعر، هنا، يصور صراخ الاستغاثة على أنه خضوع وهبوط إلى مهــاوي الذل والهوان... وأن مواجهة التحديات بصمت ومن دون استغاثة حتى ولو أدى ذلك إلى الموت والنهاية تظل هـ ي الأكرم والأنبل ، لأن الإنسان الكبير مثله مثل الأشجار الشامخة لا يموت إلا واقفاً رفيع الهامة.

ويقول:

غننا يا صاحِ، أنغاماً عِذابا

نُرجع اللحنَّ شجياً مستطابـــــا

وأعدْ ترنيمةَ المجد على...

مسمع الدهر سعيراً والتهابـــــا

نحن أشبالَ فلسطين هنا

لم نزل نُصغي كهولاً وشبابا[2]

نلاحظ هنا، أن الشاعر عـ ندما يتحدث عن قضيته الفلسطينية يرفع صوته عاليــاً، ويلجأ إلى استخدام الكلمات الصاخبة ذات الجرس القـ وي المدويفلكل مقام مقــال ،

---

(1) صدوق، ديوان الحزن أخضر دائما، ص26.

(2) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص19

وهو عندما يدعو إلى الإنشاد للوطن والنداء لنجدته وإنقاذ ه يقدم لنا صورة صـــوتية كلاسيكية لا لبس فيها ولا إبهام، كما هو واضح في الأبيات السابقة.

ويقول في قصيدة "إلى ولدي":

تلفَّتُّ حولي... فما من صـــــدى

لصوتي سوى حشرجات الردى

حياتي سدىً... وسدىً أمنيات ـــــي

وإني لأعشقُ هــذا السُّـــــدى[1]

وهذا صوت أقرب إلى الصوت الذي يقدم لنا صورة إنسان متأمل فيلسوف قابع ، في عزلته، هارب من عناء الدنيا ومعاناة الناس، رضي لنفسه ــ في النهاية ــ مــن الغنيمة بالإياب، لكنه رغم وصوله إلى اكتشاف عدمية حياته،كما يراها هو ، لا يجد حرجا في أن يقول لنا إنه ــ رغم خواء حياته وهراء أمنياته ــ يعشق هذه الحيــاة حتى أنه ليعشق هذا الخواء والهراء.

ويقول في قصيدة "قصة شاعر ":

كلما قهقهت الأرضُ له

راح يبكي.. لاعناً حتى أباها

إنه آدمُ في حيرته....

ضل حواءَ ولم يَقْفُ خطاها[2]

إن قهقهة الأرض، هنا،هي تصو ير منه لسخريتها منه وهزئها به، وتلك صورة صوتية غريبة لعل فيها جديدا لكنه يجيب على سخريتها واستهزائها بصبّ لعناتــه عليها، ثم يصور حاله مع هذه الأرض و(لعله يقصد بها الدنيا) بحال آدم مع حــواء عندما يضل عنها فلا يلحق بها تعبيرا عن عدم ولعه بها، والق بول بها كقــدر إلهــي أملاه الله عليه فرضخ لمشيئته.

---

(1) صدوق، ديوان رياح السنين، ص11

(2) صدوق، ديوان كان لي قلب، ص26

3.3.3.3 الصورة اللمسية:

اللمس حاسة مهمة في إدراك الجمال، بل إن اللمس "يتيح لنا أن نشعر بإحساسات فنية من كل نوع ، حتى ليستطيع أن ينوب مناب البصر إلى حد بعيد، وإذا كانت حاسة اللمس عاجزة عن إدراك الألوان إلا إنها تطلعنا على ناحية جمالية لا تستطيع العين وحدها أن تطالعنا عليها كالنعومة والرخاصة والملامسة[1].

نوهم فالفنان إذا أراد أن يثير فينا انفعالاً قوياً، لا يكتفي بصورة بصرية وسمعية باردة، بل يحاول أن يوقظ فينا أعمق الإحساسات الجسمية من جهة، وأرفع العواطف الأخلاقية، وأسمى المعاني الفكرية من جهة أخرى، ولكنه عليه أيضا أن يفسح إلى جانب ذلك أكبر المجال للعواطف والأفكار[2].

وتظهر عند صدوق أمثلة كثيرة على الصور اللمسية، إذيقول في قصيدة " ارم ذات العماد ". يقول:

عيوننا التي توهجتْ على الرمالِ
تمسح الضبابَ
عن عيونهم وتصنع الخيالْ
زنودنا التي بنت قصورهم على السحابْ
لكننا نعيش في الترابِ
كالجرذانِ... كالذبابْ[3].

يقدم لنا الشاعر صورلقسية تضع المعنى والتجربة بين أيدينا، حتى لنكاد نحس بها وكأنها تنبض بين أصابعنا ، إنها صورة العربي المغترب الذي يبذل غاية الجهد، مواكلديه من معرفة وخبرة وكفاءة لخدمة من يعيش بينهم في أراضي الغربة ، فلا يجد عندهم في نهاية الأمر بعضا من وفاء أو عرفان.

---

(1) ماري، مسائل فلسفة الفن المعاصر، ص41.

(2) المرجع نفسه، ص88.

(3) صدوق، ديوان بقايا قصة الإنسان، ص40.

ويقول:

دمعي ودمائي في الكاسات خمور
ولقد كنتُ تقهقه يا ربَّ الأربابِ
تأنفُ أن تبصق في وجهي...
... أن تلمس جسدي بحذائك، تدفعني للحُجّابِ!
(يا عبدَ السوءِ، تمزقْ
ما أروع أن يتمزق عبدُ السوء)[1].

إن الصورة هي أقرب ما تكون إلى الدراما إذ يخاطب فيها العبد سيده بعد أن انقلبت الأمور وتغير الحال، وأصبح العبد في موقف القوة والقرار والجبروت، فيما أصبح سيده في موقف ضعف واستسلام لا يملك الدفاع عن نفسه. وفي الصورة نلمس كيف كان يتعامل "السيد" مع "عبده" أيام كان ينعم السيد في ألف ليلة وليلة " وفق ما يرويه ويتذكره ويذكره العبد في حواره مع سيده بعد شروق الشمس ونهاية ال "ألف ليلة وليلة" وطلوع فجر جديد.

والقارئ، هنا، يكاد-خلال قراءته أو سماعه لحديث العبد مع سيده - أن يلمس دموع ودماء هذا العبد وهي مزجاة في كأس السيد أيام مجده، وسخريته به واحتقاره إياه، إنها صورة " لمسية" بكل ما في الكلمة من معنى. تتحد فيها الكلمة بالصورة بالمعنى اتحاد عين وفكر وقلب ووجدان.

ومن الصور اللمسية في قصيدة " في بحر الرغوة ":

فصبي الموتَ يا صخرةْ....
على كتفيَّ، في زنديَّ، صبي الموتَ واحترقي...
يظلُّ الوهجُ في عينيَّ من خلف الزجاجِ، يشعُّ
بالألقِ[2].

إننا نلمس في هذه الصورة القوة والإصرار والعزيمة بقدر ما نلمس التحدي والمواجهة. إنها تعبر عن تجربة له، مع إحدى اللواتي عرفنه وتعرف إليهن كانت

---

(1) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص75.

(2) صدوق، ديوان بقايا قصة الإنسان، ص55.

ثقيلة كالصخرة على كتفيه، احتملها وصبر عليها رغم ما كان يستشعره من أذى وكيد، لكنه استهان بهذه الصخرة "المرأة" وتحداها أن تصنع به ما تحلو لها، لكنها لن تجد فيه ــ رغم كل الكيد ــ إلا التوهج والإشعاع.

في هذا المقطع الصغير نقرأ : الموت، الصخرة، الكتفين، والزندين، الاحتراق، الوهج، الزجاج، الإشعاع، والقلق، هذه الكلمات هي في الواقع النسيج التي صنع منها الشاعر صورة معبرة، كأنها تنطق متجسدة بين يدي القارئ بأبلغ لسان وبيان.

4.3.3.3 الصورة الشمية والذوقية:

نجد الكيفيات الحسية سواء كانت اللمس، أم الذوق، أم البصر، أم السمع، تنطوي على صيغة جمالية،ولكنها لا تنطوي على هذه الصيغة الجمالية على انفراد، بل من حيث هي مترابطة فهي ليست موجودات منفصلة، بل هي عناصر متداخلة متفاعلة[1].

لجأ صدوق إلى استخدام حاستي الشم الذوق، ليصور ما يلمسه وما يشمه وما يتذوقه، فتحدث عن الورود والأزهار والعطر والعبير لدى تصويره ما يشم، ولجأ إلى مختلف ألوان الطعوم ليصور ما يتذوق.يقول في قصيدة "جموح":

أنا أحبكِ... لا أرضي بمُخصبةٍ
ولا سمائي في أردانها مطرُ
بايعتُ فيك الندى والعطرَ، فانسكبتْ
في الروح قارورة راووقها خضرُ
كأنني الآن قبضٌ من مباخرها
ونسمةٌ من أثير الروح تنتشرُ[2]

رغم أن هذه القصيدة كلاسيكية المبنى، إلا أنها تمور بالصورة والمعاني الجديدة المتداخلة المتآخية بعضها مع بعض . ونحن إذ نقرأها نكاد نشم في أثنائها رائحة

---

(1) ديوي، جون،الفن خبرة، ترجمة د . زكريا إبراهيم. دار النهضة العربية، القاهرة، 1963م، ص202.

(2) صدوق، ديوان رياح السنين، ص38 .

المطر، والندى، وا لعطر، الذي يمتزج ذلك كله ويتحد مع ذات الشاعر وسمائه وروحه ويتحد معها حتى ليكايغدو نبضة، في مباخرها ، ونسمة من أثير الروح" في الفضاء، إنها صورة نشمها بالأنف أكثر مما نراها بالعين أو نسمعها بالأذن، أو نلمسها باليد.

ويقول في قصيدة "جسور في الآفاق":

لعل في جوارنا ينكشف القمرْ
ويفرشُ الدروبَ بالضياء والزهرْ
أشمُّ في خديكِ عنبر المساءِ في بلادنا الحبيبةْ
وفي جبينكِ الوضيء طلعةُ الصباحْ
يا نجمتي الغريبةْ.....[1]

هنا تمتزج رؤية القمر بشم العنبر، ويلتقي الضياء بالزهر ، ويتحد جبين المحبوبة الوضيء بطلعة الصباح في الوطن ، لكأن الشاعر في هذه المقطع من القصيدة يحيل "خدي" الحبيبة إلى قارورة من العطر، فلا يعود القارئ يتذوق القصيدة كلها إلا بحاسة الشم ، لقد وظف جماليات الطبيعة(القمر، الضياء، الزهر، المساء، طلعة الصباح والنجمة)، لتكثيف صورة التذوق للقصيدة كما لو أنها لا تفهم ولا تحس ولا تقرأ إلا عن طريق حاسة الشم . وقد نجح في تحقيق ذلك حتى لا نكاد نعثر بكلمة خارجة عن النسق أو لفظة شعرية دخيلة على المعنى والسياق.

وفي قصيدة "يا سادن الحب". يقول:

يا شاعرَ الحبِّ خلِّ الحبَّ ينفحُنا
لعلنا بعبير الحبِّ نبتردُ...
جفَّ الرحيقُ بثغر الروح، فانطفأت
لذاذة الحس فيها، وانطوى الرغدُ[2]

وفي هذه القصيدة وعلى الأخص في هذين البيتين - تتجلى" الصورة الشمية " في أجلى مظاهرها ، إذ جعل الحب ينفح بالعبير، وقرن جفاف الرحيق في ثغر

(1) صدوق، ديوان بقايا قصة الإنسان، ص69.

(2) صدوق، ديوان أمطار الحزن الدم، ص24.

الروح بإطفاء لذاذة الحس ...ونحن، هنا ، لا نستطيع أن نتذوق الحب إلا عن طريق النفوح كأن الحب قد صنع منه الشاعر بستاناً من الأزهار ، كما أننا لا تتوهج فينا لذاذة الحس في أرواحنا إلا إذا ظل الرحيق نديا يفوح في ثغرها.

ويقول:

لا تسأليني كيف الدهر شردني

وكيف ذابت مع الأنسام آهاتي

وكيف كان شبابي ريحهُ عبقٌ

فذاب كالنور في كهف الدُجنات[1]

وهنا، أيضا، نجد الصورة الشمية من خلال اسـ تخدام الشاعر لكلمتي "الأنسام" و"ريح عبق"، فجعل "الأنسام" الرمز المعبر عن سعادته وطمأنينته و هنائه، مثلما جعل من ريح الشباب ودوام عبقه وانتشاره هو نور حياته الذي يضيئها بالمسرات.

أما الصور الذوقية فهي كثيرة، إذ يقول في قصيدة "جموح":

شربتُ كأسي حتى عفتُ لذتها

وغصّ بالكأسِ ما روَّانيَ الكدرُ

ولا يزال دمي ظمآنَ من لهفٍ

يتوقُ للموردِ الأسمى ويستعرُ

قطفتُ من سره المكنون معجزةً

لو استحالت رؤىً لاخضوضر الحجرُ[2]

وهنا، بعد كل الصور الشعرية التي مرت بنلورصدناها وتحدثنا عنها ، في شتى أنواعها وتشكيلاتها، تأتي "الصورة الذوقية " التي نرى فيها جماليات الصورة من خلال حاسة التذوق، حيث لا يغني عن هذه الحاسة في تذوق العديد من القصائد وما تزخر به من صور، أية حاسة أخرى من البصر إلى السمع إلى اللمس إلى الشم.

---

(1) الديوان، كان لي قلب، ص 69 .

(2) الديوان، رياح السنين، ص40 .

والشاعر في هذه الصورة نجده يستخدم من قاموسه الشعري مـــا يخـــدم هد فـــه ويؤدي غرضه في أنه يلجأ إلى استحضار الأدوات المرتبطة بحاســـة التـــذوق، والصفات والكلمات المتصلة بها مثل : نشرب، كأس عـــاف ، لـــذة، غـــص، روي، الكدر، الظمأ، المورد) وهي جميعاً تشكل نسجاً شعرياً محكماً رائعاً يتذوقه القـــارئ ولكأنه هو الذي يشرب الكأس ويعاف لذتها ويغص بكأسها ، لأنـــه يتـــوق للمـــورد الأسمى الذي يحلم به ويطمح إليه.

وفي قصيدة"على أسوار بابل ". يقول:

افتحي الأبواب يا بابل، إن الليلَّ طالْ

رضعت أكبادنا الشمسُ، وعافتنا الدروبُ

نحن طوفنا متاه الأرض، رُدنا الريح، جوَّابين في

عرض البحار[1]

في هذا المقطع الشعري الصغير من قصيدة (على أسوار بابل العصر)، ينتقـــل الشاعر من الذاتي الخاص في الصورة الذوقية، إلى العام المتصل بقضيته الوطنيـــة الأساس. وهو هنا يصور الخارجين المنفيين من القدس، بعد احتلالهـــا مـــن قبـــل الصهاينة عام (1967م). وهم يطرقون أبواب مدينة "بابل" التاريخية المرتبط اسمها باحتضان الذين سبهم نبوخذ نصر من القدس في القرون الأولى. وينطـــوي هـــذا المقطع على صورة من أجمل الصور الذوقية حينما يصور طول رحلـــة المنفيـــين الجدد ومعاناتهم وإغلاق جميع الأبواب وجوههم في قوله "رضعت أكبادنا الـــشمس وعافتنا الدروب" وهو القول الذي يختصر الصورة بأكملها في أجمل بيان.

ويقول:

نحن في كل ظلامٍ مشعلٌ

يهتك الليل ويجتاحُ السحابا

من خيام الذل فجرنا المنى

وأحلناها رحيقاً وشرابا

---

(1) صدوق، ديوان بقايا قصة الإنسان، ص30.

وسقينا الأرضَ من أكبادنا

وملآناها جراحات خضابا

ورزايا الدهرِ لما أظلمت

شحذتْ أضلعنا الحرَّى حرابا[1]

وعلى مستوى آخر ، يقدم لنا الشاعر صدوق، صورة ذوقية أخرى متصلة بالوطن الفلسطيني وشعبه الصامد ، حيث يفجر في الأبيات السابقة من "خيام الذل" الآمال والأمنيات ويحيلها إلى رحيق وشراب للصابرين الصامدين من أبناء الشعب الشريد. مصوراً صمودهذا الشعب وإصراره على العود ة في صورة لعلها من أروع صور التذوق، إذ يقول إن الشعب سقى الأرض من أكباده، وخضبها بجراحه.

وفي قصيدة "إلى ولدي" يقول:

بُنيَّ اقترب من فمي... إنني

رويتُ من الوهم حتى الصَّدى

فلا الشهدُ من علقمٍ مُسعفي

ولست ألذُّ بقطر النَّدى[2]

وهذه صورة أخرى من "الصور الذوقية "التي نتملاها ونتفهمها بحاسة الذوق أكثر من سلها، إذ نراه ونسمعه يهيب بولده أن يقترب منه لتقبيله ، لأنه روي من الوهم الذي عاش فيه حياته كلها ، حتى بلغ حد العطش، لم يعد في مقدور الشهد أن يسعفه مما يغص به من علقم الحيا ة، كما لم يعد يستشعر بأية لذة حتى من "قطر الندى".

ويقول في قصيدة "الفلسطيني التائه":

أنا منفيٌّ بين الأهل

أكلوا زادي

---

(1) صدوق، ديوان أمطار الحزن والدم، ص20.

(2) صدوق، ديوان رياح السنين، ص11.

أطعمني أهلي ملحاً وسرابا[1].

وفي هذا المقطع يـ صور نفسه في منفاه بين أهله على اتساع أقطارهم، إذ تركو ه منبوذا يطعم الملح ويقتات بالسراب بعد أن أكلوا زاده ! وهي صورة ذوقيـــة حقـــا لكنها تنطوي على معنى سياسي غير خاف، ولعله أراد أن يقول إن "أهله" العـــرب أفادوا كثيراً من قضيته الفلسطينية واستثمروها لصالحهم، لكن نصيبه منهم ... كـــان الملح والسراب!.

4.3 الخاتمة

وبعد،

فإن دراسة متأنية لشعر راضي صدوق تكشف لنا عن جوانب عديدة أهمها:

1. برزت إسهامات الشاعر راضي صدوق واضحة في الشعر الأردني في وقـــت مبكر من هذا القرن، لاسيما فيما يخص قصيدة التفعيلة.إذ أفاد كثيرا من شعراء السبعينيات والثمانينيات من التجربة الشعرية والفنية لهذا الشاعر ولبعض مـــن معاصريه من الشعراء.
2. استقى الشاعر ثقافته من مصادر متنوعة تراثية وحـ ياتية، استطاع من خلالهـــا تكوين إرث ثقافي وظفه من خلال تجربته الشعرية التي عبر من خلالها عـــن قضايا أمته وهمومها.
3. راوح صدوق في دواوينه الشعرية بين القصيدة العمودية والحرة ، ونجح فـــي توظيفهما بشكل مميز، مما يعكس ثقافته الشعرية الواسعة.
4. يرى صدوق أن الحركة الشعرية في الأردن، شأنها شأن الحركـــات الـــشعرية في سائر أقطار العروبة ، تندفع إلى طريق غاشم غائم لا نهاية له، بعد أن تسلل إليها كل من هبَّ ودبَّ،وأخذ الدخيل يزاحم الأصيل، فـ ي غيبة من النقد الخبير المسؤول والنقاد المؤهلين الجادين المخلصين.

---

(1) صدوق، ديوان بقايا قصة الإنسان، ص46.

5. جمعالقصيدة عند صدوق بين الهمـــوم الوطنيـــة وا لقوميـــة، والاجتماعيـــة والوجدانية مما يدل على قدرة الشاعر العالية في الطرح والمعالجة من خلال لغة فنية راقية.
6. يعد صدوق واحداً من الشعراء الأردنيين القلائل الذين افردوا ديوانـــا مـــستقلاً للغزل إذ نجد من خلال متابعة شعر ه في الحب والمرأة، بأنه أسير هذه النظرة القديمة التي عبر عنها وجسدها في ديوانه الأول (كان لي قلب).
7. حمل صدوق في شعره لواء الغربة والاغتراب ،حيث ظهر غر يباً قلقاً منكسراً بفعل الأحداث ا لسياسية التي انتزعته من أرضه ويظهر هذا الانكسار جلياً في قصائده ذات الطابع الوطني والوجداني والفلسفي على السواء.
8. شغلت ظاهرة الحزن حيزاً كبيراً من قصائد صدوق ، إذ نجده في كثيـــر مـــن قصائده متشائما دائما، وقد عبر من خلال هذه الظاهرة عن المعاناة والتجربة الصعبة التي عاشها عبر مسيرة حياته الطويلة في أكثر من بلد عربي وأجنبي.
9. جاءلغة الشاعر في كل دواوينه الشعرية ، سهلة بسيطة بعيدة عـــن التعقيـــد والغموض، وذلك بفضل خبرته وتمرسه عبر مسيرته الشعرية.
10. استطاع صدوق أن يعبر عن رؤيته الشعرية وأبعاد تجربته التي عاشها عبر مسيرة حياتة الطويلة من خلال استخدامه الرموز الشعرية الدالة والهادفة في قصائده.
11. أفاد صدوق من التراث بجميع أشكاله ، سواء أكان التراث التاريخي أم التراث الأدبي أم التراث الديني وقد اتكأ عليه لإيصال كثيـــر مـــن أبعـــاده النفـــسية والشعورية وللتعبير عن تجربته الشعرية .
12. لت الصورة بأبعادها المختلفة محوراً مهما في قصائد الشاعر كلها ، وقـــد يعود ذلك لإيمانه الشديد بأ الصورة هي التي تحدث الهزة في نفس القـــارئ ، وتترك أثراً طيباً في الشعر.

المصادر والمراجع

القران الكريم

ابن منظورجمال الدين محمد بن مكرم . (د.ت). **لسان العرب**، تقديم الشيخ عبدالله العلايلي، إعداد وتصنيف يوسف خياط، المجلد الثالث، دار لسان العرب، بيروت.

أبو أصبع. صالح (1979م). **الأدب وفنونه**، ط6، مطبعة السعادة مصر.

أبو أصبع. صالح (1979م)**الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ عام 1948-1975م**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات النشر.

أبو خضرة، سعيد جبر محمد . (2001م).**تطور الدلالات اللغوية في شعر محمود درويش**، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان.

أبو ديب، كمال. (1984م)الحداثة، السلطة، النص، **مجلة فصول**، مجلد 4،عدد3،الهيئة العامة للكتاب.ص50-70

أحمد، محمد فتوح. (1978م). **الرمز والرمزية**، ط2، دار المعارف.

إسماعيل، عز الدين . (1967م).**الشعر العربي المعاصر** ، قضاياه وظواهره الفنية والاجتماعية، دار الكاتب العربي، القاهرة.

أنيس، إبراهيم. (1950م). **الأصوات اللغوية**، ط4، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.

باقر، محمد .(1990م). التناص المفهوم والآفاق "،**مجلة الآداب**، عدد6، بيروت.ص55-70

بشرى، صالح. (1994م)**الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث**، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت.

البصري، عبد الجبار داود . (1968م).**بدر شاكر السياب**، رائد الشعر الحر، دار الجمهورية بغداد.

الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل . (د.ت)**فقه اللغة وأسرار العربية**ضبطه وعلق حواشيه ياسين الأيوبي، ط 1، المكتبة العصرية، بيروت.

جميعان، محمد سلام . (2007م). الحلم المغدور في بقايا قصة الإنسان، **مجلة أفكار**، عمان، العدد 224. ص82-123

حاوي، إيليا. (1967م). **فن الوصف وتطوره في الشعر العربي** ، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

حداد نبيل. (1976م). **الحركة الشعرية في الأردن (1921-1948)**. رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، القاهرة.

الحصري، ساطع. (1984م)**آراء وأحاديث في الوطنية والقومية** مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

حمدان، أمية حمدان . (1981)**الرمزية والرومانتيكة في الشعر اللبناني**،منشورات وزارة الثقافة والأعلام، بغداد.

خليل، صالح. (د.ت)**الانتفاضة الفلسطينية في الشعر الأردني والفلسطيني** الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة.

داغر، شريل. (1997م)**التناص سبيلاً إلى النص الشعري وغيره** ، مجلة فصول، مجلد 16، القاهرة.

داود، أنس. (د.ت). **التجديد في شعر المهجر**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.

درويش، صالح. (1968م). الرمز في الشعر، **الأقلام**، السنة الرابعة، بغداد، العدد5.ص25-45

العكبري، أبو البقاء. (د.ت). **ديوان أبو الطيب المتنبي**، دار المعرفة، بيروت.

ديوي، جون. (1963م). **الفن خبرة**، ترجمة زكريا إبراهيم، دار النهضة العربية، القاهرة.

رضا، أحمد. (1960م)**.معجم متن اللغة**، المجلد الخامس، دار مكتبة الحياة، بيروت.

الرواشدة، سامح. (2001م). **إشكالية التلقي والتأويل**، ط1، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان .

الرواشدة، سامح. (2007م). النزوع الأسطوري في ديوان بقايا قصة الإنسان، **أفكار**، عمان، العدد224. ص82-123

زايد، علي عشري . (1977م)**عن بناء القصيدة العربية** ، دار الفصحى للطباعة والنشر.

زايد، علي عشري . (1978م). استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ط1، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع ولإعلان.

الزعبي، أحمد. (1995م). **التناص نظرياً وتطبيقياً**، ط1، مكتبة الكتابي، إربد.

الساعي، أحمد بسام . (د.ت)**حركة الشعر الحديث في سورية من خلال أعلامه**، دار المأمون.

سعيد ، خالدة . (1982م). **حركية الإبداع**واسات في الأدب العربي الحديث، ط 2، دار العودة، بيروت.

سيرنج، فيليب. (1992م). **الرموز في: الفن، الأديان، الحياة**، ترجمة عبدالهادي عباس ط1، دار دمشق، دمشق.

الشرع، علي. (1991م)**لغة الشعر العربي المعاصر في النقد العربي المعاصر في النقد العربي الحديث** ، منشورات عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، جامعة اليرموك.

شقيرات، أحمد. (1987م)**الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب**، ط1، دار عمار، عمان.

الشلبي، محمود. (1984م). **عبدالرحيم عمر شاعراً**، ط1، مطبعة الخالدي، عمان.

شهاب، أسامة. (1988م). **صحيفة الجزيرة الأردنية**، ط1، منشورات وزارة الثقافة والتراث القومي، عمان.

الشوابكة، محمد. (1989م). الغربة والاغتراب في شعر ابن دراج،**مجلة مؤتة للبحوث والدراسات**، سلسلة العلوم الإنسانية، م4، العدد2.ص129-145

شوقي، أحمد. (1986م). **الشوقيات**، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، الجزء الأول.

الصائغ، عبدالإله. (1987م)**الصورة الفنية معياراً نقدياً**، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد.

صدوق، راضي. (1962م). **ديوان كان لي قلب**، ط1، دار الكاتب العربي، بيروت.

صدوق، راضي. (1966م). **ديوان النار والطين**، ط1، دار الآداب، بيروت.

صدوق، راضي. (1974م). **ديوان بقايا قصة الإنسان**، ط1، دار العودة، بيروت.

صدوق، راضي. (1978م). **ديوان أمطار الحزن والدم**، ط1، دار العودة، بيروت.

صدوق، راضي. (1989م). **ديوان رياح السنين**، ط1، دار كرمة، روما.

صدوق، راضي. (1989م)**هوامش في الفكر والأدب والحياة** ، ط1، منشورات وزارة الثقافة، عمان.

صدوق، راضي. (1991م). **ديوان الحزن أخضر دائماً**، ط1، دار كرمة، روما.

صدوق، راضي. (1993م). **نظرات في الأدب السعودي**، ط1، دار طويق للنشر.

صدوق، راضي. (1999م). **ديوان الشعر العربي**، ط1، دار كرمة للنشر، روما.

صدوق، راضي. (2000م)**شعراء فلسطين في الـ قرن العشرين** ، توثيق أنطولوجي، دار كرمة للنشر، روما.

صدوق، راضي. (2001م). **مسيرة الشعر العربي في القرن العشرين**، ندوة الشيخ سعود المريبض، الرياض.

صيدح، جورج. (د.ت)**أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت.

الضمور، عماد. (2001م). **محمود فضيل التل حياته وشعره**، ط1 وزارة الثقافة ، عمان.

الطائي، أبو تمام . (1981م). **ديوان الحماسة**، تحقيق عبدالسلام عبدالرحيم عسيلان، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ج1.

الطائي، أبو تمام . (د.ت). **ديوان الحماسة**شرح العلامة التبريزي، ط 1، دار القلم، بيروت، لبنان، ج2.

ظبيان، تيسير. (1967م). **الملك عبدالله كما عرفته**، المطبعة الوطنية، عمان.

العامري، بهاء الدين. (1983م). **الكشكول**، دار الكتاب اللبناني، ج1، بيروت.

عباس، إحسان. (د.ت). **فن الشعر**، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

عبدالرحمن، نصرت. (1976م)**الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**، مطبوعات مكتبة الأقصى، عمان.

العبسي. (1969). **ديوان عنترة**تقديم وشرح محمد عبدالمنعم خفاجي، ط 1، مكتبة القاهرة.

عثمان، عبدالرحمن. (1968م)**في الأدب المعاصر** ، مطبعة دار النشر للجامعات المصرية.

العدوان، أمينة. (د.ت). **دراسات في الأدب الأردني المعاصر** ، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين.

العشماوي، محمد زكي . (1975م)**قضايا النقد الأدبي المعاصر** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية.

العشماوي، محمد زكي . (1989م). **فلسفة الجمال**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر في الفكر المعاصر، بيروت.

عطوات، محمد. (1998م)**الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر من (1918م) إلى (1968م)**، ط1، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

عطيات، محمد. (د.ت). **الحركة الشعرية في الأردن تطورها ومضامينها (1921م-1967م)**، الجمعية العلمية الملكية، عمان.

العودات، يعقوب. (1968م). البدوي الملثم، **أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، ط1.

عيسى، راشد. (2007م). راضي صدوق أديباً،**مجلة أفكار**، منشورات وزارة الثقافة عمان، عدد224.ص82-123

فضل، صلاح. (1989م). طراز التوشيح بين الانحراف والتناص، **مجلة فصول**، مجلد8، القاهرة.ص60-78

فضل، صلاح. (1995م). **أساليب الشعرية المعاصرة**، ط1، دار الآداب، بيروت.

فهمي، ماهر حسن . (1970م)**الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث**، معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة الجبلاوي.

القط، عبدالقادر. (1980م)**الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر**، ط1، منشورات جامعة اليرموك، إربد.

قطامي، سمير. (1981م). **الحركة الأدبية في الأردن (1921-1948)**، وزارة الشباب، عمان.

قطامي، سمير. (1989م). **الحركة الأدبية في الأردن (1948-1967)**، منشورات وزارة الثقافة والتراث القومي، عمان.

القيرواني، ابن رشيق . (1955).**أبو العباس الحسن، العمدة في محاسن الشعر ونقده**، ط1، السعادة.

الكبير، حسن أحمد . (د.ت)**تطور القصيدة الغنائية في الشعر العربي الحديث من (1881-1938م)**، دار الفكر العربي.

كرستيفا، جوليا. (1991م). **علم النص**، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبدالجليل ناظم، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب.

ماري، جان. (1965م).ترجمة سامي الدروبي :**مسائل فلسفة الفن المعاصر**، ط2، دمشق.

المازني، عبدالقادر. (1944م). **بشار بن برد**، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة.

محاسني، زكي. (1963م). المعرفة، **مجلة ثقافية شهرية**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، حزيران.ص148-165

مدحت عبدالجبار. (1995م)**الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي** ، ط2، دار المعارف، القاهرة.

مرتاض، عبدالملك. (1988م)في نظرية النص الأدبي، **مجلة الموقف الأدبي**، عدد201.ص56-79

مطلوب، أحمد. (1985م)**الصورة في شعر الأخطل الصغير** ، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان.

مغنية، أحمد محمود . (2004م)**الغربة في شعر محمود درويش (1972-1982)**، ط1، دار الفارابي.

مفتاح، محمد. (1986م). **تحليل الخطاب الشعري (إستراتجية التناص)**، ط2،،المركز العربي، بيروت.

ممدوح، مجدي. (2007م). التعبيرية في شـــعر راضـــي صـــدوق، **مجلـــة أفكـــار**، العدد224.ص82-123

منصور،عبد الرحمن. (1977م). **اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس**، مطبعة دار العلم، القاهرة.

موسى، خليل. (1991م)**الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصـــر** ، ط1، مطبعـــة الجمهورية، دمشق.

الناعوري، عيسى. (1980)**الحركة الشعرية في الضفة الشرقية** ، ط1، وزارة الثقافة والشباب.

نافع، عبدالفتاح. (1983م)**الصورة في شعر بشار بـــن بـــرد** ، دار الفكـــر للنـــشر والتوزيع، عمان.

النجار، عبدالفتاح. (1980م).**التجديد في الشعر الأردني** ، (1950-1978)، ط1، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، عمان.

هلال، محمد غنيمي . (1964م).**النقد الأدبي الحديث** ، ط3، دار النهـــضة العربيـــة، القاهرة.

هلال، محمد غنيمي. (1981م). **الرومنتيكية**، ط6، دار العودة، بيروت.

هيكل، أحمد. (1971م). **تطور الأدب الحديث في مصر**، ط2، دار المعارف بمصر.

الوحش، إبراهيم محمد. (1992م)**مأساة بيروت في الشعر العربي المعاصـــر**، ط1، المطبعة الاقتصادية، دبي.

الورقي، السعيد. (1984م). **لغة الشعر العربي الحديث**، دار النهضة العربية، بيروت.

ياغي، هاشم وآخرون . (د.ت)**ثقافتنا في خمسين عاماً** ، منـــشورات وزارة الثقافـــة، عمان.

ياكبسون رومان. (1988م). **قضايا الشعرية**ترجمة محمد الولي حنـــون، ط 1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.

السيـــــرة الذاتيـــــة

- **الاسم**: معتصم دحيلان عبدالنبي الضلاعين
- **الكلية**: الآداب.
- **التخصص**: اللغة العربية وآدابها.
- **السنة**: 2008م.
- **العنوان البريدي**: الكرك – مؤتة.
- **العنوان الإلكتروني**: www.mu3tasan.yahoo.com